جامعة الأزهر
كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنين بدسوق

محاضرات في

العقيدة الإسلامية

الجزء الثاني

النبوات

إعداد

فضيلة الأستاذ الدكتور
محمد رشاد عبد العزيز دهمش
أستاذ العقيدة والفلسفة
بكلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنين بالقاهرة

دكتور
ثروت حسين سالم
مدرس العقيدة والفلسفة
بكلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنين بدسوق

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وأن هذا صراطي مستقيما
فاتبعوه ولا تتبعوا السبل
فتفرق بكم عن سبيله
ذلكم وصاكم به
لعلكم تتقون﴾

صدق الله العظيم

سورة الأنعام الآية (١٥٣)

الوحـــى

إن علاقة السماء بالأرض تتم فى إطار الوحى الإلهى والذى حدده الشارع الحكيم فى كتابه الكريم وبينته السنة المطهرة على صاحبها أفضل الصلاة والســـلام فما هو الوحى؟ وما أدلته العقلية والنقلية؟ وماأنواعه؟ ومالفرق بينه وبين الإلهام؟وهل انقطع الوحى بختم النبوة به صلى الله عليه وسلم أم لا؟كـــل هـــذه التساؤلات إن شاء الله تعالى سنحاول الإجابة عليهامن خلال هذه النقاط التالية:-

أولا : مفهوم الوحى :-

إن المســتعرض لآياى الذكر الحكيم يجد أن كلمة الوحى وردت فى القرآن الكـــريم أكثر من سبعين مرة ولكل مقام معنى خاص به، ومن هذا المنطلق ذكـــر علماء اللغة رحمهم الله،أن كلمة الوحى مأخوذة من الفعل وحى وهى أصـــل يدل على إلقاء علم من أحد لغيره وله صور متعددة منها الإشارة و الكـتابة،والرســـالة،والإلهـــام والصوت يكون فى الناس وغيرهم والرؤيا الصادقة ، وكل ما ألقيته إلى غيرك فعلمه. ولقد غلب استعماله فيما يلقى إلـــى الأنبـــياء من لدن الله عزوجل [1] وقد قيد بعض العلماء الوحى بالخفة

(١) راجع المصباح المنير الفيومى ص (٢٥٠)وانظر الوحى المحمدى للشيخ رشيد رضا، طمكتبة القاهرة ص٣٤ ،٣٥ وكذا فتح البارى ج(١)ص (٢٧) .

والســـرعة فعرفوالوحى بأنه (الإعلام الخفى السريع بمن يوجه إليه الكلام بحيث يخفى على غيره وقد يطلق ويرادبه الموحى)(*).

صور الوحـــــى *

أولا:- الإلهام الغريزى (الفطرى)للكائنات ا لمختلفة،وهو من قبل الله الذى أعـد الكائنات عليه وهيأها لمعاشها من خلاله ومنه قوله تعالى (وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر و مما يعرشون ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا . . . .)[1]

ثانـــيا:-الإلهام الذى يقع فى النفس أوالإلقاء فى القلب،وقد وقع هذا الأمر لأم موســـى علـــيه الســـلام،وفيه يقول الله تعالى(وأوحيناإلى أم موسى أن ارضـــعيه فإذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولاتخافى ولاتحزنى إنا رادوه إليك وجعلوه من المرسلين) [2]

ثالــثا:- الإشارة السريعة أو الإيماء وهو خاص بالبشر وفى هذايقول الله تعالى حكاية عن زكريا عليه السلام (فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا)[3]

(*) انظر رسالة التوحيد للإمام لشيخ محمد عبده ص٩٤ ط دار الهلال .

(١) سورة النحل الآية (٦٧).

(٢) سورة القصص الآية (٧).

(٣) سورة مريم الآية (١١) .

رابعا :- الوسوسة الشيطانية (وهى تعنى الإعلام فى خفاء) ومنه قوله تعالى (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ٠٠)(٤)ولهذ لما قيل لابن عباس رضى الله عنه(إن المختار الثقفى يزعم أنه يوحى إليه فلما نفر السامعون بين لهم أنه يوحى إليه ولكن من قبل الشياطين لامن قبل الله تعالى)(٤)

وكل هذه الصور المختلفة للوحى لاعلاقة لها بما يوحيه الله تعالى لأنبياءه٠ يقول ابن حجر٠وهذا بفوره يطالبنابالوقوف على المعنى الاصطلاحى للوحى وفيه تعريفات عديدة نذكر منها : -قول ابن حجر:رحمه الله- يقول الوحى شرعا (الإعلام بالشرع وقد يطلق الوحى ويراد به اسم المفعول منه أى الموحى وهو(كلام الله المنزل على نبى من أنبيائه) ٠(١) وذكر الإمام القسطلانى رحمه الله أن الوحى(هو إعلام الله تعالى أنبيائه الشئ إما بكتاب أ و برسالة ملك أو منام أوإلهام)(٢)٠

وعرفه الإمام محمد عبده بأنه(مصدر وغلب فيمايلقىإلى الأنبياء من قبل الله وهو الإعلام فى خفاء ويطلق ويراد به الموحى ٠وعرفه شرعا بأنه

(4) سورة الأنعام الآية (١٣١) ٠

(4) تفسير القران العظيم ابن كثير ج٢ ص ١٧١

(1) فتح البارى ج١ص٢٧

(2) فتح البارى ج١ ص ٨

إعــلام الله تعــالى لنبى من الأنبياء بحكم شرعى ونحوه.[٣]وهذا الإعلام الخاص بالأنبياء ورد ذكره فى آيات عديدة .

منه قوله تعالى(وأوحى إلى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ ....) [٤]

وقوله (إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده....)[٥]

أنواع الوحـــــــــــى

أمــا أنـــواع الوحـــى فقد بينها الله تعالى فى آية جامعة وهى قوله تعالى (وماكـــان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه ما يشاء إنه على حكيم)[٥]وإليك تفصيل ذلك :-

١- النـوع الأول :- الوحى بطريق الإلهام و المنام أو الإلقاء فى الـــروع والأخـــير يشترك فيه النبى وغيره كما رأينا عند أم موسى عليه السلام. وأماأمر الإسماع بالوحى المتلو من الله فهوخاص بالمرسلين وقد فرق الإمام الصاوى بين إلهام الأولياء وإلهام المرسلين بالعصمة فإن إلهام الأولــياء قــد يخــتلط بالشــياطين بخلاف الأنبياء فإلهامهم محفوظ منه وينحصر .[*]

[٣] رسالة التوحيد ت محمود أبو ريه الطبعة الثالثة ص١٠٩

[٤] سورة الأنعام الآية (١٩)

[٥] سورة النساء الآية (٥١) .

[٥] سورة الشورى الآية (٥١)

[*]صفوة التفاسير الصابونى ج٣ ص١٤٦

/* النوع الأول:-ويندرج تحت الرؤيا الصادقةوهى جزء من ست وأربعين جزءا من النبوة [1]كما ورد فى الحديث الشريف ومنه قوله تعالى لإبراهيم عليه السلام (قد صدقت الرؤيا ٠٠٠)[٢] فمايراه النبى فى منامه وحى من الله تعالى ويلزم منه أمر تشريعى وكانت أول عهده عليه السلام الرؤيا الصادقة فكان لايرى رؤيا إلاجاءت مثل فلق الصبح[٣]٠ يقول الإمام الشهرستانى رحمه الله (وأمارؤيا غير الأنبياء فقد تكذب وقد تصدق ٠ إلا أنه لايقطع على صحة شى منهاإلا بعد ظهور صحته ٠ حاشى رؤيا الانبياء ،فإنها كلها وحى مقطوع على صحته)[٤]

/*النوع الثانى:-الإلقاء والقذف فى القلب حال اليقظة

ثالثا : التكليم من وراءحجاب وفيه يسمع الرسول كلام الولى عزوجل دون أن يراه سبحانه ،وقد وقع هذا الأمر لأنبياء الله.على سبيل المثال نجد سيدنا موسى وتكليم الله له وقوله (وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى ٠٠٠٠٠٠)[٥] وذلك أنه لماخرج بأهله حيث جبل الطور وكذا وقع لنبينا

(1)راجع صحيح البخارى ك التعبير باب الرؤيا الصالحة رقم (٦٤٧٢٠)

(2)سورة الصافات الآية (١٠٢)٠

(3) راجع صحيح البخارى ك التعبير ب أول مابدئ به النبى صلى الله عليه وسلم ٠

(4)راجع الفصل/ابن حزم/تح محمد ابراهيم عكاظ/ط الاولى /١٩٨٢م٠

(5)سورة طه الآية (١٣)٠

صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج وفيه يقول الله تعالى(ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ماأوحى ....)[١]

ثالثا :-إرسال الملك " وهذا النوع خاص بالمرسلين من قبل الله . وفيه يرى الرسول الملك على صورته الحقيقية، وإما أن يتمثل له فى صورة آدمى كأحسن الناس خَلقا وخُلقا،وإما ألايتمثل له فيسمع كلامه بصوت يشبه صلصلة الجرس فيعى النبى كلامه،وهذا النوع من أثقل الأحوال التى تنزل بالمرسل حتى إنه فى الجو الشديد البرد يتفصد جبينه عرقاوصدق الله إذيقول (إنا سنلقى عليك قولا ثقيلا)[٢] ويرى ابن حجرأن الوحى كله شديد ولكن هذه لصفةأشدهاوهوواضح لأن الفهم من كلام الصلصلة أشكل من الفهم من كلام الرجل بالتخاطب المعهودوالحكمة فيه" أن العادةجرت بالمناسبة بين القائل والسامع وهى هنا :إمابإتصاف السامع بوصف القائل بغلبةالروحانية وهوالنوع الأول،وإمابإتصاف القائل بوصف السامع وهو البشرية وهو النوع الثانى والأول أشدبلا شك [١] وهذه الطرق بكافة أنواعهاقد وقعت لرسولنا صلى الله عليه وسلم.

[١] سورة النجم الآيه (٨).

سورةالمزمل الآية(٥) .

[١] فتح البارى ج١ص٤٩

النبـوة — معناهـا — حقيقتهـا

النبوة ضرورة حياتية وأخروية:-

من المعلو م أن الله تعالى خلق الإنسان ومنحه شرف الخلافة الأرضيـة فضلا عن تسويته في أحسن تقويم ولكن الإنسان على الرغـم مـن هـذه الكمالات لا يستطيع بعقله القاصر تدبير أمور حياته الدنيوية فضـلا عـن معرفة الأمور الأخروية إلا من خلال وحي إلهي يستبين به معرفة خالقـه ما يجب ومايجوزوما يستحيل فى حقه تعالى ٠٠٠الخ إلى جانب معرفتـه باليوم الآخر وما فيه من بعث ونشر وحساب ومن هـذا المنطلـق كـان إرسال الرسل رحمة منه وتفضلا منه تعالى مبشرين ومنذرين بيـن يـدي الساعة فلو(تركت أزمة الفكر الإنساني للاجتهاد المحـض لضـل النـاس رشدهم ولما اتفقوا على حقيقة واحدة تصلح حالهم ومآلـهم)[١] وأنـزل إليهم الكتب لتبين للناس منهاج حياتهم وآخرتهم قطعا للتنازع وسدا لأبواب الفتن والتنا حرات ولهذا كان الرسل والأنبياء بمثابة الأطباء الحذاق الذيـن يعرفون الأدوية وطبائعها مما لا يمكن لغيرهم لتوصل إليه إلا في حقب كثيرة مم يعجل بضياع الأوقات وانعدام الفوائد كما أيدهـم سـبحانه بـالمعجزات ا لباهرة تصديقا لهم فى دعواهم انطلاقا من حاجات البشر طلب الدليل على صدق دعوى الأنبياء وفى هذا نقرأ قوله تعالى (٠٠٠ إن كان هـذا هـو

(١) عقيدة المسلم /محمد الغزا لى ص/١٨٧٠

الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم)[٢]فوجود النبي ضرورة للمجتمع وأفراده حينما يتبعون النبى تتحقق لهم سعادة الدارين ٠ وقد ذكر فلاسفة الإسلام كلاما حول النبوة وإثباتها من خلال مدنية الإنسان وحاجته إلى التعاون مع غيره من بنى جنسه يبرز فيها مهمة النبي كمصلح اجتماعي وكداعية إلى الله تعالى ومذكرا به تعالى ومرشدا إلي نعيمه لمن أطاع شرعه وعذابه لمن خالفه وإليك ما ذكره ابن سينا في مقاماته (النمط التاسع) يقول ابن سينا (لما لم يكن الإنسان بحيث يستقل وحده ، بأمر نفسه إلا بمشاركة آخر من بنى جنسه ، وبمعاوضة ومعارضة تجريان بينهما يفرغ كل واحد منهما لصاحبه عن مهم ، لو تولاه بنفسه لازدحم علي الواحد كثير وكان مما يتعسر إن أمكن،وجب أن يكون بين الناس معاملة وعدل يحفظه شرع يفرضه شارع متميز باستحقاق الطاعة لاختصاصه بآيات تدل على أنها من عند ربه ووجب أن يكون للمحسن والمسئ جزاء من عند ربه القدير الخبير . فوجب معرفة المجازي والشارع ومع المعرفة سبب حافظ للمعرفة ، ففرضت عليهم العبادة المذكرة للمعبود وكررت عليهم ليستحفظ التذكير بالتكرير ... إلخ) ([٣]).

[٢] سورة الأنفال الآية(٣٢)

[٣] الا شارات والتنبيهات ابن سينا ت/د ٠سليمان دنيا ٠القسم الرابع ص٦٠

وعصارة الأمر إن مهمة الرسل تتمثل فى بيان العقـــائد الإلهيـــة للنـــاس وتعريفهم بربهم على مامر وإصلاح حال الجماعة الإنسانية فـــي المعـــاش والمعاد).[٢]

فالناس محتاجون للنبي أو الرسول ليوضح لهم معالم التدين الصحيح فـــلا يرتدون إلى عبادة الشمس والقمر ٠٠٠٠٠٠ألخ والتي عبدها بنو البشـــر في غيبة الوحي وضلال العقـــل ٠ كذلـــك ينظـــم الرســـول حيـــاة النـــاس الاجتماعية فلا يحدث التنازع والتشاجر وصدق الله إذ يقول (فلا وربـــك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شـــجر بينـــهم ٠٠٠٠٠)[٢] كمـــا أن البشـــر محتاجون لمن يخبرهم بحقيقة اليوم الآخر ومافيه٠٠٠٠٠ألخ كذلك يربـــى الرسل والأنبياء القدوة الصالحة في نفوس البشر وبذلـــك تنعـــم الأفـــراد بالأخلاق الكريمة العالية والتي بها صلاح حياتهم وأُخراهم٠ يقول الـــرازى عن البعثة إنها (تنبيه للغافلين الذين سيطرت عليهم الأهواء والشـــهوات

الإرشارات والتنبيهات ٠ ابن سينا٠ تحقيق د/ سليمان دنيا [٢]
راجع قضايا النبوات ٠ الدكتور٠ محمود بركات ص١٧ وما بعدها ٠
[٢] سورة النساء الآية (٦٥)٠

حتى يبتعدوا عن مزالق الهاوية وفيها تذكير للعقول بأن فعل السوء يجــــر صاحبه إلى النار وعمل الخير يأخذ بيد صاحبه إلى الخيرة) [١]

أولا:- المفهوم اللغوي للنبي

تعددت اشتقاقات الكلمة ولكل منها مدلوله الخاص ٠

*المفهوم الأول :- قيل إنها مشتقة من (النبوة) بالفتح وتطلق على مـــا ارتفع من الأرض،ومن هذا المنطلق فالنبي مرفوع شأنه ومشهور بمكانتـــه التى حباه الله بها ٠ناهيك عن اصطفائه من سائر الخلق وجعله نبيا كمـــا أنه مصطفى من أشرف الناس مكانة ورفعة ٠

٠ *المفهوم الثاني :- أنها مشتقة من النبأ :وهو الخبر لأنبائـــه عــن الله تعالى فالنبي يعطى للنـــاس معـــاني وإخبـــارا عــن الله تعـــالى بـــالعقيدة والشريعة٠٠٠٠٠٠الخ ٠وهى غير الإلهام وليست من باب الظـــن والوهـــم والكهانة و النجوم بل إخبار الله بما يكون ٠قبل أن يكون [(*)]

[١] محصل أفكار المتقدمين الرازى ص ٣١٤،٣١٣ ٠

(١) الإلهام لغة الإعلام مطلقا واصطلاحا هو إلقاء المعنى في الروع بطريق الفيض ٠ راجع المعجم

(٢) [*] الوحي (قصد من الله إلى إعلام من يوحي إليه بما يعلمه به و يكون عند الوحي به إليه حقيقة خارجة عن الظن والكهانة والتوهم ٠٠٠٠الخ) راجع الفصل ج (٥)ص ٨٧٠

يقول الإمام الجليل عضد الدين الايجى (رحمه لله)(النبي لفظ منقول فـــى العرف واشتقاقه من النبأ فهو حينئذ مهموز لكنه يخفـــف ويدغـــم وهـــذا المعنى حاصل لمن اشتهر بهذا الاسم (لأنبائه عن الله تعالى وقيل) النبـــي مشتق من النبوة وهو الارتفاع) يقال تنبئ فلان إذا ارتفع وعلا والرســـول موصوف بذلك (لعلو شأنه (وسطوع برهانه (وقيل من النبي وهو الطريق لأنه وسيلة إلى الله تعالى) (*)

- **فروق معلومـة**

لما كان موضوع النبوة يدور معه مصطلحات ومفاهيم يزعم أصحابها مساواتها لمقام النبوة لارتباطها بالغيب كان لزاما علينا إبرازهـــا وبيانـــها ولوعلي سبيل الإجمال وقتئذ على أن ياتى تفصيلها فيما بعد ٠ مـــن هـــذه الأمور الإلهام والتوهم والكهانة٠٠٠٠٠٠ ألخ وإليك طرفامنها:-

النبوة والإلهام

إذا كان الإلهام كشفا فالنبوة استدلال وشهود كما أن الوحى(*) (٢) مختـــص بالأنبياء والإلهام يشمل الأنبياء وغيرهم كما في إلهام الله الكائنات عملـــها

(*) شرح المواقف الجرجانى الموقف السادس ص٢١٧ ٠

ومعاشها ومن هذا إلهام الله تعالى للنحل كما جاء في قوله تعالى(وأوحـي ربك إلى النحل)[١]

كما أن الوحي مشروط بالتبليغ والإلهام بخلاف ذلك ٠كما تختلـف النبـوة عن التوهم فى كون الأولى يقينة والثانية ظنية ٠كما تختلف النبـوة عـن الكهانة فى كون الثانية من استراق الشياطين والذين يبلغون أعوانهم مـن الأنس ويكذبون مع الخبر مائة كذ بة كما جاء فى الحديـث وقـد منعـوا استراق السمع ببعثته صلى الله عليه وسلم وفى هذا قوله تعالى

(وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا)[٢] والنبوة ليست من قبيل السحر والتخييل٠[٣] كما أن هؤلاء الكهان يعتمدون علـى النجوم في أخبارهم والنبوة ليست كذلك لأنها لا تخضع للعلم والاكتساب بل هي منحة وعطية من الله تعالى٠كما أن النبوة أخبارها صادقة لأنـها مـن الله٠ بينما علم النجوم لا يمثل إلا جانب التخمين والخرافة وما وافق فيـه الو اقع فبقدر الله كان وإلا لم يكن ٠ومن هنا كانت تلـك الحكمـة (كـذب المنجمون ولو صدقوا أو ولو صدقوا) كما أن الرؤيا الصادقة هى جزء مـن ست وأربعين جزءا من النبوة وليست هي النبوة وإنما انقطع الوحي بوفاته صلى الله عليه وسلم ولم يبقى من الوحي إلا الرؤيا الصادقة التي أخـبر عنها الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم فى قوله(٠٠ورؤيـا المسـلم

[١] سورة النحل الآية (٦٨)٠

(٣) سورة الجـن الآية (٩) ٠

[٣] راجع الفصل ٠(ابن حزم)٠ ج١ - ص١٧

جزء من خمس وأربعين جزءا من النبوة)[١]

المفهوم الثالث:- أنها مأخوذة من النبي وهو الطريق فالنبي هو الموصل إلى الله تعالى وتعاليمه. وقرى النبئ بالهمز من مثل ذلك قوله تعالى (وجعلني نبيئا)[٤]

النبوة فى الاصطلاح

عرف النبي في الاصطلاح بأنه إنسان يبعثه الله لتبليغ ما أوحى إليه [١] وهو عند الأشاعرة (من قال الله له ممن اصطفاه من عباده أرسلتك إلى قوم كذا وإلى الناس جميعا أو بلغهم عنى ونحوه من الألفاظ المفيدة لهذا المعنى كبعثتك وأرسلتك)[٢] وقد عرف بعض العلماء النبى بأنه :-إنسان ذكر حر من بنى آدم سليم من طبع منفر أوحى الله إليه بشرع ليعمل به سواء أمر بالتبليغ أولم يؤمر،أما الرسول فى اللغة فإنه يطلق على الوسيط بين المرسل والمرسل إليه وهو مأخوذ من الإرسال . وعرفوا الرسول اصطلاحا بأنه:- إنسان ذكر حر من بنى آدم سليم من طبع منفر أوحى الله إليه بشرع ليعمل به وأمر بتبليغه .[٥]

[١] أخرجه مسلم فى صحيحة . ك . الرؤيا . ج (١٥) ص ٢٠ ط دارالريان ١٩٨٧م

[٤] سورة مريم الآية رقم (٣٠)

[١] راجع المقاصد -التفتازانى .ج٢ ص١٢٨ وانظر العقائد العضدية ص٢،١ .

[٢] راجع شرح المواقف . الموقف السادس ص ٢١٨٠

[٥] راجع قضايا النبوا ت . ص١٩.

الفرق بين النبي والرسول

إن الذي يستعرض آيات الذكر الحكيم يجد فيها آيات تتحدث عن النبي وأخرى عن الرسول ولعلماء الكلام وغيرهم آراء حول الفرق بين النبي والرسول وهى على النحو التالي :-

الرأي الأول -*- يرى أنصاره أن النبي والرسول كلاهما بمعنى واحد وهذا الرأي بعيد عن الصواب ذلك لقوله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولانبى...) [٢]فقد عطف النبي على الرسول والعطف يقتضي المغايرة إذ الشي لا يعطف على نفسه وهذا دليل واضح على التباين بين الرسول والنبي .

الراى الثاني:-: يرى أصحابه أن الرسول من له كتاب وشريعة والنبي من آتاه الله الوحي بواسطة الملك فهو يوحي إليه وينزل عليه شريعة ولا يؤمر بتبليغها والرسول مأمور بتبليغ الشريعة للناس فالرسول أخص من النبي والنبي أعم فكل ر سول نبي وليس كل نبي رسول فبينهما عموم وخصوص مطلق يجتمعان في الرسول وينفرد(الأعم) النبي فيمن ليس له شريعة وكتاب .[٢]

[٢] سورة الحج الآية رقم (٥٢).

[٢] راجع أصول الدين للبغدادي .ص١٥٤ . وانظر الوحي المحمدي ص٢٧ .

الرأي الثالث :- ٠يرى أنصاره أن الرسل هم أصحاب الكتب والشرائع والأنبياء هم الذين يحكمون بالمنزل على غيرهم مع أنهم يوحي إليهم كما استدل فريق من العلماء الكرام ٠على التفرقة بين النبى والرسول بأن عدد الأنبياء مائة وعشرون ألفا وعدد الرسل ثلاثمائة وثلاثة عشر ٠

وقد ذكر أيضا بعض العلماء وجوها من الاختلاف بين النبي والرسول منها (أن الرسول مختص بالتبليغ إلى الخلق وبنزول جبريل عليه السلام بالوحي عليه وبشريعة خاصة وليس مأمورا بمتابعة شريعة من قبله وله كتاب ٠٠٠٠الخ) (*)

** وهناك رأى يرى أن النبي ماجاء لدعوة الناس إلى شرع رسول سابق وليمحو البدع التي لحقت هذا الشرع وذلك على هدى من الله عزوجل٠

وأما الرسول فهو ما جاء بشرع جديد يخالف شرع من قبله في بعض الأحكام (**).

**ويرى بعض المفسريين أن النبي أعم من الرسول ويلزم من كونه (صلى الله عليه وسلم) خاتم النبيين كونه خاتم المرسلين كذلك يرون أن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة وإذا كان لانبى بعده فلارسول بعده بطريق الأولى) (***)

(*) راجع كشاف اصطلاحات الفنون التهانوى ت / لطفى عبد البديع ج ٣ ص٧٤

(**) راجع قضايا النبوات ص ١٨، ١٩٠

(***) راجع تفسير روح المعانى الالوسى ج ٢٢ ص١٨٨ وابن كثير ج٣ ص٥٥

✍ من هذه الفروق التي عقدها العلماء نتوجه بـالقول بأن النبي والرسول كلاهما يؤدي مهمة جليلة قوامها الإصلاح بين الناس ولـم يخلو عصر منهم منذ آدم عليه السلام إلى رسولنا صلى الله عليـه وسـلم انطلاقا من قوله عز شأنه(وإن من أمة إلا خلا فيها نذير) (****)

✍ **حكم إرسال الرسل**

بعد أن استعرضنا في الصفحات السابقة أهمية النبوة ومفهومها والفـرق بين النبي والرسول نعرج الآن بحول الله تعالى وقوته على بيان حكم بعثـة الرسل من حيث الوجوب والجواز والاستحالة لنرى إلى أي الأحكام تسـير ،ناهيك عن إبراز الآراء الصحيحة من غيرها ٠فنقول بحول الله وقوته:-

اولا:- رأي الاشاعرة وممثلي أهل السنة .

إن إرسال الرسل وبعثتهم لطف من الله ورحمة منه وهو أعلم حيث يجعـل رسالته فهي من الأمور الممكنة فى حقـه تعـالى وليسـت مـن الأمـور المستحيلة ولا من الأمور الواجبة يقـول صـاحب المواقـف (فـالنبوة رحمةوموهبة متعلقة بمشيئته فقط وهوأ علم حيـث يجعـل رسـالته)[1] ويقول صاحب المقاصد (فالحق إن البعثة لطف مـن الله تعـالى ورحمـة

(****) سورة فاطر الاية رقم (٢٤)٠

(١) راجع شرح المواقف الموقف السادس ص ٢٢٠ومابعدها٠

يحسن فعلها ولا يقبح تركها على ما هو المذهـــب فـــي ســـائر الألطـــاف ولاتبتنى على استحقاق من المبعوث واجتماع أسباب وشروط فيه بـــل الله يختص برحمته من يشاء من عباده وهو أعلم حيـــث يجعـــل رســـالته)[١] يقول أيضا الشيخ البيجورى (٠٠٠٠الذى ذهب إليه المسلمون جميعـــا أن النبوة خصوصية من الله تعالى لا يبلغ العبد أن يكتسبها) [٢]وفى هذا نقـــرأ قوله تعالى (لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا منـــــهم يتلـــو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم ا لكتاب والحكمة وإن كانوا من قبـــل لفـــي ضلال مبين) [٣]وأيضا نقرا قول الله تعالى (رسلا مبشرين ومنذرين لئـــلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل٠٠٠٠) [٤]إلى غير ذلك من الآيـــات الكريمات فإرسال الرسل جائز عقلا وواقع فعلا ٠فالنبوة ليست صفة راجعة إلى نفس النبي ولادرجة يبلغ إليها أحد بعلمه وكسبه ولا اســـتعداذ نفســـه يستحق به اتصالا بالروحانيات،بل رحمة من الله تعالى ونعمة يمن بها على من يشاء من عباده،وكما قال نوح عليه السلام (ولا أقـــول لكـــم عنـــدي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إني ملك) إلى غيره من الأنبياء وســـيد

[١] راجع شرح المقاصد ٠ ج٢ ص ١٢٩ والآية منسورة الأنعام رقم (١٢٤)

[٢] راجع شرح جوهرة التوحيد الشيخ البيجورىص١٢٧ ،١٢٨

[٣] سورة آل عمران الاية قم (١٦٤) ٠

[٤] سورة النساء الآية رقم (١٦٥) ٠

البشر صلى الله عليه وسلم قال كما قال الأول (عليه السلام) (قل سبحان ربى هل كنت إلا بشرا رسولا) ... ألخ [١]

ثانيا : رأى المعتزلة

ذهب أرباب الاعتزال الى أن البعثة واجبة انطلاقا من قاعدتي الصلاح والأصلح فالنظام الذى يصلح للكون لايتم إلا من خلال النبي وهم أمر واجب ومالايتم الواجب إلا به فهو واجب[٢]

ثالثا رأى الفلاسفة

قرر الفلاسفة إيجاب إرسال الرسل واستند هولاء على قاعدة التعليل فيلزم على رأيهم من وجود الله وجود العالم ومن وجود العالم وجود من يقوم بشأنه من نحو الإصلاح بشأنه وإلا اختل النظام الحياتي فلابد من إرسال الرسل فذلك سبب للخير العام المستحيل تركه فى حقه تعالى. * وإذا كانت النبوة واجبة عند الفلاسفة فانهم قد زادوا على ذلك صفات ألحقوها بالنبي تجعل النبوة أمرا مكتسبا وتفتح باب النبوة على مصراعيه ولسنا بهذا الكلام نصادر على مطلوب لكننا نوكد ما قرره أهل الحق ومن تبعهم

(١) نهاية الأقدام فى علم الكلام . الشهرستانى ص ٤٦٢ . ط مكتبة زهرانوالاية من سورة الاسراء رقم (٩٣).

(٢) راجع شرح الجوهرة البيجورى ص١٤٠

من علماء الكلام كالإمام الامدى رحمه الله حيث يقول (ليست النبوة معنى يعود إلى ذات من ذاتيات النبي ولا إلى عرض من أعراضه استحقه بكسبه وعمله ولا العلم بربه فان ذلك مما يثبت قبل النبوة وولاعلم بنبوته إذ العلم بالشيء غير الشيء[١] ولكن الله يمن على من يشاء من عباده)[٢] واليك أيها القارئ الجليل ما قررة الفلاسفة من خواص خاصة بالنبي .

سمات النبي عند الفلاسفة

أولا:- أن يكون له إطلاع على المغيبات الكائنة والماضية وآلاتية ويستدل هؤلاء على دعواهم بخواص النفس الإنسانية فإنها متجردة فى ذاتها عن المادة غير حالة فيها فهي لامكانية تسبح في عالم المغيبات كيفما شاءت فلا يقف أمامها شيء مجهول كما أنها تتحد مع عالم ما وراء الحجب أو عالم المجردات العالية على حد تعبيرهم أو النفوس السماوية فلها نسبة فى التجرد إلى المجردات العالية فتتصل بها والمتصل لديهم يعرف بالنفس الناطقة واتصالها اتصالا معنويا لا ماديا فتشاهد مافيه من أسرار فتحكيها تماما فتصير كمرآة يحاذى بها مرآة أخرى [١]ويستند هؤلاء على قولهم

[١] غاية المرام في علم الكلام الامدى .ت. الأستاذ حسن عبد اللطيف ص٢١٧.

[٢] من سورة إبراهيم الآية رقم (١١).

[١] تتدرج العقول الإنسانية عند الفلاسفة فيولد الإنسان ولديه عقل بالقوة وحينما يأخذ في التعليم ينشا عنده شيئا فشيئا عقل بالفعل ثم إذا جهد نفسه بالبحث والتنقيب يصل إلى درجة المستفاد وهو عقل استفادة من إشراق الملا الأعلى وبه يتعرف الإنسان على أسرار ما بعد الطبيعة عن طريق

بأصحاب المجاهدات القليلة (جهاد عقلي (وهذا خاص بأرباب الفلسفة)
(جهاد بدنى (وهو خاص بأرباب التصوف) فأقل هؤلاء يرى أمورا غيبيه
كذلك المرضى يخبرون بأمور عاينوها لاوجود لها فى عالم الشاهدة. كذلك
ما يراه الإنسان أثناء نومه من مغيبات وتشهد التجارب العديدة بذلك
.[1]وقد تبنى الفارابي وغيره آراء أرسطو فى نظرية عن الأحلام فالمرء
عندما ينام تخمد حواسه وتنشط المخيلة التابعة للنفس الناطقة [*]المتحررة
عن البدن وعندئذ تبرز الصور الذهنية للاحساسات المختلفة وبتشكل الحلم
فالأحلام هى الممثل لعالم الغيب الناتجة عن نشاط المخيلة[2] وهذا التفسير
الارسطى لايمكن أن يفسر في ضوء الوحي الإلهي فأرسطو رجل واقعي
يرفض أى تفسير يقوم على الاستناد إلى قوى خفية وذلك لأنه لامكان في

اتصاله بآخر العقول العلوية وهو العقل العاشر،ولتوصلون إليه صنفان .الفلاسفةبالبحث وإعمال العقل والأنبياء بالمخيلة القوية . راجع التفكير الفلسفي فى الإسلام د/ عبد الحليم محمود ص ٢٥٩ . ط دارالمعارف .

[1] راجع شرح المواقف .الموقف السادس ص ٢٠ومابعدها.

[*] النفس الإنسانية هى النفس الناطقة عند الفلاسفة وتنقسم الى قوة عاملة وقوة عالمة وكل واحدة تسمى عقلا فالقوة العاملة تسمى عقلا عمليا والقوة العالمة هي القوة النظرية او العقل النظري . راجع النجاة ابن سينا .النفس الناطقة إحدى قوى لنفس وهى اشرفها غير منطبعة فى البدن ولافى غيره . راجع ايضا رسالة فى الكلام على النفس الناطقة ابن سينا بقلم أحمد ولى الدين الهندي المالكي ص١١٥ .

[2] راجع الإسلام بين الأديان د/محمد كمال جعفر ص ٣١٦ومابعدها

مذهبه للتنبؤ بواسطة الأحلام ولامحل لجعل الرؤيا (الصالحة) هي الوحـــي الإلهي.

المخيلة عند الفارابي

إن الفارابي يرى أن الأحلام نتيجة من نتائج المخيلة ولكنه في ذات الوقـت يرى أن أي إنسان ما وهب مخيلة ممتازة لا يشغلها شئ عن شئ يمكنـــها النفوذإلى عالم ما وراء الحجب.وهذا كلام له محاذير عديدة منها وأخطرهـــا فتح باب النبوة على مصراعيه بتساوي النبي مع غيره ولاعـــبرة بوحـــي السماء مع وجود المخيلة الخارقة لكننا نجد أن الفارابي يقول أيضا بقـــوة فكرية قدسية تمكن المرء من الصعود إلى عالم النور هـــذه القـــوة(.... تذعن لها غريزة عالم الخلق الأكبر كما تذعن لروحك غريزة عالم الخلـــق الأصغر فتأتى بمعجزات خارجة عن الجبلة والعادات ولا تصدا مرآتـــها ولا يمنعها شي عن انتفاش ما فيالوح المحفوظ من الكتاب الذي لا يبطـل،وذوات الملائكة التي هي الرسل فتبلغ مما عند الله إلى عامة الخلق)[1]فالنبي لـــه قدرة الاتصال بالعقل الفعال آخر العقول السماوية والمباشر لأمـــور عـــالم الكون والفساد وبذلك يطلع على المغيبات.فالنبي لديه له قوة في مخيلتـــه مستكملة ومعدة لتقبل الغيب إما في وقت اليقظة أوفي وقت النـــوم ،عـــن العقل الفعال) .ونجد الفارابي نفسه يقرر تلك المســـاواة بقولـــه (النبـــي والفيلسوف يرتشفان من معين واحد، والحقيقة النبوية والحقيقة الفلســـفية

(١) الثمرة المرضية ص٧٢ نقلاعن كتاب الفارابى .سعيدزايد ص٦٤ .

هما على السواء نتيجة من نتائج الوحي الإلهي وأثر من آثار الفيض الإلهي على الإنسان عن طريق التخيل أو التأمل)[1] والحق إن مساواة النبي للفيلسوف كما علمنا تفتح باب النبوة لكل من تميز فيه النظر العقلي في الوقت الذي أغلق الشرع فيه باب النبوة ببعثته صلى الله عليه وسلم وفي هذا يقول الله تعالى (. . . وخاتم النبيين)[2] والرؤيا الصالحة لاترفع صاحبها إلى مقام النبوة فهي صورة من صور الوحي وليست هي الوحي بمعناه الاصطلاحي الخاص بالأنبياء وقد مر بنا حديثه صلى الله عليه وسلم عن الرؤيا الصالحة . وإليك مجمل ما سلف ذكره والذي يمكن وضعه في النقاط التالية .

١-الاطلاع على جميع المغيبات لا يجب للنبي اتفاقا وإذا كان الغيب لله فهو يجتبى إليه من يشاء من عباده وصدق المولى إذ يقول على لسان حبيبه (. ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء . . . .)[3]

٢-يلزم على قولكم عدم تمييز النبي عن غيره من المرتاضين من أصحاب المجاهدات ناهيك عن المرضى .

---

[1] فى الفلسفة الإسلامية .د/ مد كور ج١ ص٩٦ .

[2] سورة الأحزاب الآية رقم ٤٠

[3] سورة الأعراف الاية رقم (١٨٨) .

٣-انتقاش الصور العليا أمر قرره الأفلاطونيون وغيرهم حيث رأى هـؤلاء أن الرؤيا الصالحة مشاهدة النفس صورا حقيقة موجودة فى عـالم المثـل الذي هو الوجود أحق ٠٠٠٠٠)[1]

ثانيا:- أن تظهر منه الأفعال الخارقة للعادة لكـون هيولـى [*] عـالم العناصر منقادة له لتصرفاته انقياد بدنه لنفسه،ويستل هؤلاء علـى ذلـك بتغيرات الوجه من نحو الاحمرار والاصفرار عند الخجل أو الوجـل إلـى جانب القوة التحكمية من الإنسان لجسمه من نحو تحكمه في السـير فـي موضع قليل العرض مرتفع الطول ، كما نرى من يمـرون علـى الحبـال الرفيعة ويتحكمون فى توازنهم فهو كذلك تظهر على يديه الأفعال الخارقـة للعادة فيحدث الزلازل والحرق والغرق والإهلاك لأشخاص ظالمـة٠٠٠الخ وبالجملة تتصرف نفسه فى العنصريات خصوصا العنصـر الـذي تكـون مناسبته لمزاجه أشد وأقوى بمجرد الإرادة والتصور من غير أن يسـتعمل آلة . ويستدل هؤلاء أيضا بما يحدث على أيدي أرباب الرياضات يقول ابن سينا (ولعلك قد يبلغك عن العارفين أخبار تكاد تأتى بقلب العادة فتبادر إلى التكذيب :- وذلك مثل ما يقال إن عارفا استسقى للناس فسقوا أو استشفى

(١) الروح فى دراسات المتكلمين والفلاسفة د / محمد المسير ص١١٤ .

(*) الهيولى شي قابل للصور مطلقا من غير تخصيص بصورة معينة ويسمى بالمادة٠٠٠الخ راجع المعجم الفلسفي ص ٣٧٠

لهم فشفوا ،أو دعا عليهم فخسف بهم وزلزلوا ... فتوقف ولا تتعجـل ، فان لامثال هذه أسبابا في أسرار الطبيعة) [١]. والحـق إن هـذا اختـلاق وضلال فلا مؤثر فى الأشياء إلا الله تعالى [٢](قل لله الآمر جميعا) ولو كان الآمر كذلك لأصبح الكون ملي بالآلهة المختلفة من البشر .ومن هنا فـلا فائدة من الرسل وإرسالهم .وحتى أرباب المجاهدات المخلصين لم يؤثـر عنهم انهم أحدثوا الإهلاك وغيره .أيضا جاء القران الكريم فىغيرما آيـة من كتاب ربنا ليبن بشرية الرسول صلى الله عليه وسلم وصدق المولـى إذ يقول (قل لوأن عندي ما تستعجلون به لقضى الأمر بين وبينكم والله أعلـم بالظالمين)[١]كما أن اختلاف الحالة المزاجية لايعنى انقياد بدن الإنسان لـه فالعاطفة تتبدل حسب ما يكون فيه الإنسان فذلك أمر عادى .يحـدث لكـل إنسان ولا يختص به المرسل دون غيره.

ثالثا :- أن يرى الملائكة بصورة محسوسة ويسمع كلامها وحيا مـن الله تعالى وهذا الأمر مردود أيضا بمايلى.

[١] الإشارات والتنبيهات . ابن سينا ت د/ سليمان دنيا النمط العاشر ص ٨٨٦-٨٨٧ .

[٢] راجع شرح المواقف الموقف السادس ص ٢٢١.

[١] سورة الأنعام الآية رقم (٥٨).

١- تضارب أقوال الفلاسفة في كنه النفوس المجردة أو الملائكة على نحو ما يسمونها فهم في كل الأحيان لا كلام لهم يسمع أنه من خواص الأجسام فكيف يسمع كلامهم.

٢- إن ما ذكروه هو نوع من التخيل الذي يصيب المرضى والمجانيين فإنهم يخبرون بأمور لاوجود لها في عالم المحسوسات.

٣- كيف يكون التخيل أساسا لشريعة النبي ولوكان أحدنا آمرا من قبل نفسه بما يوافق المصلحة لم يكن نبيا باتفاق .(٢)

ويعد .....

فان الرأي المختار من هذه الآراء السالفة هو رأى أهل الحق لقوة أدلته العقلية والنقلية .يقول صاحب الجوهرة رحمه الله :-

فلا وجوب بل بمحض الفضل * لكن بذا إيماننا قد وجبا(٣)**

واليك أيها القاري الجليل جملة منن الفوائد التي ذكرها الإمام السعد رحمه الله :- يقول رحمه الله البعثة من الله تعالى لطف ورحمة لما فيها من حكم ومصالح لا تحصى منها:-

١- معاضدة العقل فيما يستقل بمعرفته مثل وجود البارى وعلمه وقدرته لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل .

(٢) راجع شرح المواقف .الموقف السادس ص ٢٢٠ .

(٣) راجع شرح الجوهرة ص ١٤٠

٢- استفادة الحكم من النبي فيما لايستقل العقل به مثل الكلام والرؤيا والمعاد الجسماني.

٣-إزالة الخوف الحاصل عند الإتيان بالحسنات لكونه تصرفا في ملك الله بغير إذنه وعند تركها لكونه ترك طاعة .

٤-بيان حال الأفعال التي تحسن تارة وتقبح أخرى من غير اهتداء العقل إلى مواقعها.

٥-بيان منافع الأغذية والأدوية ومضارها التي لاتفى بها التجربة إلابعد أدوار وأوطار مع ما فيها من أخطار.

٦- تعليمهم الأخلاق الفاضلة الراجعة الى الأشخاص والسياسات الكاملة العائدة الى الجماعات من المنازل والمدن

٧- الإخبار بتفاصيل ثواب المطيع وعقاب العاصي ترغيبا في الحسنات وتحذيرا عن السيئات إلى غير ذلك من الفوائد [١]. ونكتفى بهذا القدر من هذه الفوائد الجمة التي تنبى عنه فضل الله ورحمته بعباده..

[١] شرح المقاصد ص(١٢٨)

المنكرون للنبوة

ذكــرا لائمــة الأعلام من علماء الكلام وغيرهم حديثا عن المنكرين للنبوة وهــذا الأمر ممتد عبر العصور والأزمان قديما وحديثا وهذا الإنكار ينصب أحيانــا عــلى الرسالة وأخرى على المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فمن المنكرين للنبوة البراهمة (من الهنود) [١] فإرسال الرسل في رأيهــم لاداعى له ولا فائدة منه ولاحاجة إليه ولانفع فيه لأن الرسول في رأيهــم إما أن توافق دعواه العقل وإما ألا توافق فإن وافقت دعواه العقل فــلا فائدة ترجى من دعواه ، وإما ألا يوافق فعندئذ لاصحة لما جاء به ولا يمكــن تصــديقه فالعقل هو المعيار الرئيسي فى الحكم على الأشياء ٠كما أضــاف هؤلاء القوم قولهم إن الرسل قد وردوا بإباحة ما حظره العقل من ذبــح الــبهائم وإيلام الحيوان بلا ذنب وتحميل العاقلة الدية ٠[٢]٠ ٠وتلك سفســطة روج لهــا هــؤلاء القوم ومن سار على دربهم ليعطوا لأنفسهم الحــرية فيمــا يفعــلون ،وهذا الرأي أيضا شرب منه المعتزلة جين تركوا الأمــر للعقل بناء على تحسينه وتقبيحه للأشياء٠ففوائد البعثة تتعدى بيان حســن الأشياء وقبحها إلى جانب الفوائد السالفة الذكر التي ذكرها الإمام السعد وغيره من العلماء الكرام رحمهم الله٠[١]

[١] قبلة بالهند من ولد برهمي ٠ ملك من ملوكهم ولهم علامة ينفرد ون بها وهى خيوط ملونة بحجرة وصفرة يقلدونها تقلد السيوف) راجع الفصل ٦٣ ٠

[٢] أصول الدين البغدادى ،ص ١٥٥ ط دار المدينة،الأولى ١٣٤٦ - ١٩٢٨ م

[١] راجع الإرشاد الإمام الجوينى ص ١٢٤ ٠

✍ ما يجب للرسل إجمالا وتفصيلا:-

إذا كنا قد علمنا من هو الرسول ووقفنا على الفرق بينه وبين والنبي فإننا بحول الله تعالى نستبين معا عن هولاء المصطفون وشروط تأهيلهم لهذه المهمـــة الشاقة فنقول وبالله التوفيق :-من الشروط التي ينبغي أن تكون في المرسل ٠

✍أولا: - البشرية :-

تدلنا الآيات والأحاديث الشريفة على كون المرسل بشرا فمن مثل ذلك قوله تعــالى(قل إنما أنا بشر مثلكم يوحي إلي ٠ ٠ ٠ ٠)[١] ولذلك مغزى عظيم ذلك لأن المرسل إليهم من البشر ومن هنا تتحد الأفكار وتتألف القوى ولا يكــون فى ذلك إنكارا وعاندا فهو يحقق القدوة لهم فهو من جنسهم يرونه ويتحسسون أحواله فيأخذون عنه سنته الخلقية والخلقية فله نفس الميول والدوافع ومن هنا فلا استنكار لرسالته، ولأن الإنسان لا يقوى على رؤية غيــره مــن الملائكة مثلا ولأن(طاعات الملائكة قوية فيستحقرون طاعة البشر وربما لايعذرورنهم فى الإقدام على المعاصي ولأن النبوة فضل من

[١] سورة الكهف الآية (١١٠)

الله فيختص بها من يشاء من عباده سواء كان ملكا أو بشرا) [٢] . .أما الرسل فهم مهيئون من الله تعالى لهذا الأمر على الرغم من بشريتهم فأحيانا يرون الملائكة على صورتهم الحقيقية كما حدث مع رسولنا صلى الله عليه وسلم وأخرى يرونهم في صورة بشرية كصورة أحسن الرجال خلقا وخلقا والنبي نفسه أخبر في غير حديث له بالرهبة التي كانت تلازمه أثناء نزول الوحي عليه وفى هذا يطالعنا قوله عليه الصلاة والسلام (أحيانا يأتني مثل صلصلة الجرس وهو أشد على فيفصم عنى وقد وعيت عنه ما قال . وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول : قالت عائشة رضى الله عنها ولقد رأيته في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا)[١] هذا هو حال النبي أثر نزول الوحي عليه إن دل هذا فإنما يدل على تهيئة الله للنبي لهذا الأمر فظهر أثر ذلك على النبي .ومن هذا المنطلق كان قوله تعالى مبينا فيه أنواع الوحي الخاص بالأنبياء (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء ....) [٢] ومن هذا المنطلق كان قوله تعالى (الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس...) فرسل الله إلى البشر من البشر ورسله إلي الأنبياء من الملائكة وإذا كان رسول الله بلغ الثقلين وأقصد بذلك مجتمع الإنس والجن) بالدعوة فذلك من منطلق عالمية

[٢] التفسير الكبير الرازى ج (١٢) ص١٧١ . ط دار الفكر .

[١] أخرجه البخارى فى صحيحه ج(١) ص ٣ .

[٢] سورة الشورى الآية (٥١) .

الإســلام فالجن يرون مجتمع الناس ويعرفون أحوالهم جيدا(إنه يراكم هو وقبيلــه مــن حيث لا ترونهم ٠٠٠)[٣] كما أن الجن وأشياعهم لايمكن أن يكونوا دعاة لبنى الإنس لأنه لايمكن رؤيتهم أو سماع كلامهم لغير الأنبياء فكيــف يكــون الــبلاغ الإلهــي منهم لبنى البشر فكون المرسل من جنس المرســل إليهم ليس واجبا على الإطلاق لكنه فى جانب البشر لا يكون إلا مــن جنســهم فهــم لا يطيقون رؤية غير البشرى ٠ وقد عرض القرآن الكريم طرفا من أقوال المعاندين حول هذا الموضوع(٠٠ وقالوا لولا أنزل عــليه مــلك ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر ثم لا ينظرون ٠ ولو جعلناه ملكا لجعلــناه رجــلا وللبسنا عليهم ما يلبسون)[١] يقول الإمام الفخرالرازى رحمــه الله (أعــلم أن هــذا مــن النوع من شبه منكري النبوات ٠فإنهم يقولــون لو بعث الله إلى الخلق رسولا لوجب أن يكون ذلك الرسول واحدا مــن الملائكة فإنهم إذا كانوا من الملائكة كانت علومهم أكثر وقدرتهم أشد ومهابتهم أعظم وامتيازهم عن الخلق أكمل والشبهات والشكوك في نبوتهم ورسالتهم أقل ٠٠٠٠٠ألخ وأجاب رحمه الله عليهم بقوله :

أولا:٠ إن إنــزال المــلك عــلى البشر آية باهرة فبتقدير إنزال الملك على هولاء الكفار فربما لم يؤمنوا كما قال (ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة ٠٠)[٢] وإذا لــم يؤمنوا وجب إهلاكهم بعذب الاستئصال ، فإن سنة الله جارية بأنه

(٣) سورة الأعراف الآية (٢٧) ٠

(١) سورة الأنعام ألآية (٧الى٩) ٠

(٢) سورة الأنعام الآية (١١١) ٠

عـند ظهور الآية الباهرة إن لم يؤمنوا جاءهم عذاب الاستئصال، فههنا ما أنزل الله تعالى الملك إليهم لئلا يستحقوا العذاب ·

الوجـه الـثاني:- انهـم إذا شـاهدوا الملك زهقت أرواحهم من هول ما يشـهدون · وتقريـره أن الآدمي إذا رأى الملك فإما أن يراه على صورته الحقيقيـة أو على صورة البشر · فان كان الأول لم يبقى حيا ، ألا ترى أن رسـول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى جبريل على صورته الأصلية غشـى عـليه ، وان كـان الثاني فحينئذ يكون المرء شخصا على صورة البشـر وذلك لا يتفاوت الحال فيه سواءأكان هو فى نفسه ملكا أو بشرا · ألا ترى أن جميع الرسل عاينوا الملائكة فى صورة البشر كأضياف إبراهيم وأضـياف لـوط وكالذين تسوروا المحراب وكجبريل حيث تمثل لمريم بشرا سويا ·

الوجـه الثالث :- إن إنزال الملك آية باهرة جارية مجرى الإلجاء وإزالة الاختيار وذلك مخل بصحة التكليف ·

الوجـه الثالث:- إن إنزال الملك وإن كان يدفع الشبهات إلا أنه يقويها من وجه آخر وذلك لأن أي معجزة ظهرت عليه قالوا هذا فعلك فعلته باختيارك وقدرتك ولو حصل لنا مثل ما حصل لك من القدرة والقوة والعلم لفعلنا مثل مـا فعلـته أنـت؟[1]ويقول الإمام القرطبى رحمه الله (إن كل جنس يألف بجنسـه ويـنفر من غير جنسه،فلو جعل الله تعالى الرسول إلى البشرملكا

[1] التفسير الكبير ج(١٢) ص (١٧١)·

لنفروا من مقابلته ولما آنسوا به ولداخلهم من لرعب من كلامه والاتقاءله مـــا يكفيهم عن كلامه ويمنعهم عن سؤاله فلا تعم المصلحة ،ولو نقله عن صورة الملائكة الى مثل صورتهم ليانسوا به ويسكنوا اليه لقالوا لست ملكا وانما انت بشر فلا نؤمن بك وعادوا الىمثل حالهم حيث كانوا يقولون عن محمد صلى الله عليه وسلم إنه بشر وليس بينه وبينكم فرق فيلبسون على الناس بهذا ويشككونهم٠٠٠٠٠٠٠)[١]فهؤلاء القوم لافائدة منهم لأنهم في جميع الأحوال منكرون للرسالة ٠

ثانيـــا : الذكـــورة :- قال تعالى (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا ٠٠٠)[١] فالرســـول لايكون إلا رجلافمهمة الرسالة مهمة ثقيلة تحتاج لعزم الرجال وصـــلابتهم فى تكـــليف شاق لاتتحمله طبيعةالنساء٠وفى هذايقول صاحب الجوهرة رحمه الله

وماكنت نبيا قط أنثى ولاعبدا قبيحا فى الفعال[٣]

ثالثا :- الحرية :- فالرسول لا يكون عبدا لبنى البشر وإلا لم يستطع آداء مهمته لأنه وملكت يداه ملك لسيده ٠

[١] تفسير القرطبى ج٢ ص ٣٩٤٠
[١] سورة النحل الاية ٤٣٠
[٣] راجع شرح الجوهرة

رابعــا :-السلامة من المنفرات التي تخل بمقام النبوة فلا ينبغي أن يكون غــليظ القــلب فظ اللسان وغير ذلك من الصفات الخبيثة وعلى كل ينبغي استقامة أخلاقه وطهارة نسبه من الفواحش بشتى صورها .

رابعا كمال العقل :- ولم يشترط المتكلمون البلوغ ولكنهم اختلفوا فى بعثته وســنه قــبل البلوغ كما نرى في شأن يحيى وعيسى عليهما السلام فقد نطــق عيســى فــي المهــد معلنا نبوته فقال (إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلــني نــبيا ...)[٢] وهذا الكلام المعجز ينبئ عما سيكون عليه عيسى عــليه السلام في المستقبل عندما يشب ويبلغ وكلامه فى هذا الموقف كان إيذانــا بتبرئة ساحة أمه من الزنا وإرهاصا لدعوى النبوة وليس هناك أدل ولا أعجز من هذا .

الواجب والجائز والمستحيل فى حق الرسول

*يجب للرسل إجمالا كل كمال بشرى خلقي وخلقي يليق بمنزلتهم السامية ودرجــتهم الــرفيعة فالكمال الخلقى يشمل كل ما يؤثر في التفات الناس حولهم واتباعهم وذلك بالخلومن الأمراض المعدية وغيرها التى تنفر منها الطــباع البشرية والكمال الخلقي فيتمثل فى التمثل بسائر الأخلاق الحسنة كــالعدل والشــجاعة ...الــخ وذلك لانهم القدوة فلو اختل شى من هذه الصــفات لفسدت القدوة وذلك من كمال الا صطفاء.والريادة الصالحة فهم

الذين يشرعون للناس قانون التعبدالذى يسمو بالأرواح إلى أوج الصفاء). وعــن الأمرين نجد قوله تعالى (فإنك بأعيننا)[*] وقوله (وإنك لعلى خلق عظيــم) [١]وقولــه_(وما ينطق عن الـهوى) [٢]وقوله(ألم نشرح لك صدرك)[*] وقــد وصـــف أنس ابن مالك رضى الله عنه الرسول بصفتيه الخلقية والخـــلقية بقو له (ما شممت عنبرا قط ولامسكا ولا شيئا أطيب من ريح رســـول الله صـــلى الله عليه وسلم ولامسسست شيئا قط ديباجا ولا حريرا ألـيـــن مسا من رسول الله صلى الله عليه وسلم) [٣] وعن البراء أنه قال كان رســـول الله صلى الله عليه وسلم رجلا مربوعا بعيد ما بين المنكبين عظيم الجمـــة إلى شحمة أذنيه عليه حلة حمراء مارأيت قط أحسن منه صلى الله عـــليه وســـلم)[٤]وقـــد كـــان النبى صلى الله عليه وسلم وإخوانه الأنبياء والمرســـلين مـــن خير الناس وفى هذا المقام نقرأ قول الله تعالى أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده)[٥] وقبل أن نقف على هذه الصفات الواجبة لهم تفصيلا نستئنس بما ذكره صاحب الجوهرة عن هذه الصفات :-

وواجب فى حقهم الأمانة * وصدقهم ضف لها الفطانة

---

* . سورة الطور الآية (٤٨).

(١) سورة القلم الاية (٤).

(*) سورة الشرح الآية (١) .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحة . ك الفضائل .ب طيب ريحه ولين مسه صلى الله عليه وسلم ص ٨٦٠

(٤) نفسه ص ٩١

(٥) سورة الأنعام الآيه (٩٠)

الذين هدى الله فبهداهم اقتده)[١] وقبل أن نقف على هذه الصفات الواجبة لهم تفصيلا نستناس بما ذكره صاحب الجوهرة عن هذه الصفات :-

وواجب في حقهم الأمانة * وصدقهم ضف لها الفطانة

ومثل ذا تبليغهم لما أتوا * ويستحيل ضدها كما رووا

وجائز في حقهم كالأكل * وكالجماع للنسا في الحل [٢]

مايجب لهم تفصيلا

يجـب لهم تفصيلا أربع صفات ٠ الصدق والأمانة والتبليغ والفطانة كما يستحيل عليهم أضدادها من نحوا لكذب والخيانة والكتمان والبلادة٠ واليك طرفا إجماليا من هذه الصفات:-

الصـدق :- مطابقـة الخبر للواقع ولو بحسب الاعتقاد وهذا القيـد وإن كان واقعا فيصح الإخبار به ومثل العلماء لهذا الأمر بقصة ذى اليدين فإنه حينما سأل الرسول صلى الله عليه وسلم حينما سلم من ركعتين من صلاة رباعية اقصرن الصلاة أم نسيت يارسول الله؟ فقال عليه الصلاة والسـلام(كل ذلك لم يكن)[*] وهذا صدق بحسب الاعتقاد وإن كان مخالفا للواقع٠ وقد كان الصدق علامة بارزة على صحة نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم واستقرئ به مافى القلوب تجاهه فنطقوا قائلين ما جربنا عليك كذب

[١] سورة الأنعام الآية (٩٠)

[٢] شرح الجوهرة ص ١٤٤،١٤٥

قــط . يقول الشيخ محمد عبده عن هذه الصفة(ولابد للرسول من الصدق ولو كذب الرسول لضعفت ثقة الناس به ولكان مضللا لا مرشدا)[١]

أدلة الصدق :-

مــن الأدلــة النقــلية التي تثبت صدق المرسل قوله تعالى (وصدق الله ورســوله)[٢] وقوله (واذكر فى الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا)[٣] وقوله عن إسماعيل (إنه كان صادق الوعد)[٤] وقوله عن إدريس (إنه كان صديقا نبيا)[٥] وقوله عن رسولنا (وما ينطق عن الهوى)[٦] وقوله (ولــو تقول علينا بعض الأقاويل.لأخذنا منه باليمين،ثم لقطعنا منه الوتين. فما منكم من أحد عنه حاجزين)[١]الى غير ذلك من الآيات

*اما ا لدليل العقلى بمكننا تقريره على النحو التالى :-

لوكــان الرسل كاذبون لانصب الكذب على المعجزة التى هى خبرعن الله (بصدق رسله لكن الكذب في خبره محال فكذب الرسل في تبلغيهم خبر الله

[١] الرسالة

[٢] سورة الاحزاب الآية ٢٢

[٣] سورة مريم الآية (٤١)

[٤] سورة مريم الاية (٥٤)

(٥) سورة مريم الآية (٥٦)

(٦) سورة النجم الآية (٣)

(٦) سورة الحاقة الآيات ٤٤ إلى ٤٧

محــال فثبت صدقهم واستحال كذبهم أو بمعنى آخر (لو لم يكن ا لرسول صادقا للزم الكذب على الله تعالى؛ لأن تصديق الكذاب كذب وهو محال عليه تعــالى؛ ثم إنهم لو كذبوا لما وثق الناس فى أخبارهم ولما انتشرت دياناتهم وضــاعت فــائدة رســالتهم ٠والواقع شاهد إثبات على صدق الرسل فى دعواهــم فقــد بلغوا رسالات ربهم وبلغت دعوتهم أقوامهم فمنهم من آمن بهم ومنهم من صد عنهم ٠[٢]

✍ **الأمانة**:- وهى حفظ الله ظواهر الرسل وبواطنهم من التلبس بمنهي عنه أوترك مأموربه ولو ندبا أوفعل منهى عنه كراهة أو خلاف الأولي سواء قبل الرسالة أو بعدها ٠

فالظاهــر مــن الزنا وشرب الخمر والفجور والغش والخداع وما إلى ذلك، وأمــا الــباطن فمــن الكبرياء والحقد والحسد وما إلى ذلك يقول صاحب المواقــف (أجمع أهل الملل والشرائع على عصمتهم فيما دل المعجز على صدقهم فيه كدعوى الرسالة وما يبلغونه عن الله ٠)[١]

✍ الدليــل عــليها من النقل قوله تعالى (إني لكم رسول أمين)[٢] ولقد وصف عليه السلام بين قريش بالصادق الأمين وقوله تعالى (فآمنوا بالله

---

* راجع شرح المواقف ص ٣٥٨

(٢) سورة الشعراء الآية ١٠٧٠

ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته لعلكم تهتدون) [*]

**

واما الدليل العقلى فيتمثل فى كونهم لو خانوا بفعل المعصية لكنا مأمورين باتباعهم تبعا لامر الله لنا باتباع النبي والله لايامر بالفحشاء فبطل مادى إليهم وثبت لهم العصمة كما أن العصمة تتفق مع مكانة النبوة فلو صدر عنهم منهي عنه لم نكن مأمورين باتباعهم فهم القدوة لغيرهم وصدق الله إذ يقول (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا ليطاع بإذن الله) [**]. يرى الإمام الفخر الرازى أن النبوة والخيانة لا يجتمعان وذلك لان الخيانة سبب للعار في الدنيا والنار في الآخرة فالنفس الراغبة فيها تكون في الدناءة والنبوة أعلى المناصب الإنسانية فلا تليق إلا بالنفس التي تكون فى غاية الجلالة الشرف والجمع بين الصفتين فى النفس الواحدة ممتنع فثبت ان ان النبوة والخيانة لا تجتمعان .[1]

التبليغ :-وهو تبليغ ما أمرهم الله بتبليغه مما أوحى إليهم .

الدليل عليه من الكتاب آيات عديدة منها قوله تعالى (إن عليك إلا البلاغ) [2]وقوله (يا أيها الرسول بلغ ما انزل إليك من ربك) [3] وقوله (رسلا

[*] سورة الاعراف الآية (١٥٨).
[**] سورة النساء الآية (٦٤)

(١) التفسير الكبير الرازى ج (٩) ص ٧٤٠
(٢) سورة الشورى الآية (٤٨)
(٣) سورة المائدة الآية (٦٧)

مبشـــرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل)[١] وقوله (اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا)[٢] وهناك العديد من الآيات التي تتحدث عن بلاغ الأنبياء لأقوامهم ٠

الدليل العقلي فله وجهان ٠

الوجــه الأول : أنهم لو كتموا شيئا مما أمروا بتبليغه لكنا مأمورين بكـتمان العــلم والــلازم باطل لأن كاتم العلم ملعون ولايامر الله تعالى بما يجب اللعن ٠

الوجــه الــثاني :٠ تشير الآيات العديدة على صحة تبليغ الأنبياء كل مايوحى إليهم حتى مافية من لوم او عتاب إليهم كقواه تعالى (ماكان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض٠٠٠)[٣] وقوله ((عفا الله عنك لـم أذنــت لهــم ٠٠٠)[٤] وقوله ماكان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ماتبين لهم أنهم أصحاب الجحيم)[٥] وقــولـه (يــا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغى مرضاة أزواجك ٠٠٠)[٦] وقــد ثــبت ذلك فلو كتموا ما بلغوا مثل هذه الأمور ومنها أمور

١- سورة النساء الآية (١٦٥)
٢- سورة المائدة الآية (٣)
٣- سورة الأنفال الآية (٦٧)
٤- سورة التوبة الآية (٤٣)
٥- سورة التوبة الآية (١١٣)
٦- سورة التحريم الآية (١)

تشـــريعة تضبط حياة الأنبياء وتهذب سلوكيات المدعويين ناهيك عن عدم اخـــتيار الله للرسالة من يجوز عليه الكذب أو الخيانةلأنه نقص محال عليه تعالى .

. الفطانـــة :-عـــرفها العلماء الكرام بأنها حدة العقل وذكاوه والتيقظ بحيث يتمكن من إلزام المخالفين ورد دعا ويهم الباطلة وإفحام المعاندين. الدليل عليهامن الكتاب قوله تعالى (وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه ...)[1] وقوله (قالوا يا نوح قد جاد لتنا فأكثرت جدالنا ..)[2]وقد لبث فيهـــم ألـــف ســـنة إلا خمسين عاما يحاورهم ويدعوهم للإيمان بالله سرا وعلانية فما آمن معه إلا قليل وقوله (وجادلهم بالتى هى أحسن)[3].

ومـــن العقـــل :- أنهـــم لولم يكونوا فطناء لكانوا عاجزين عن إقامة الحجـــة عـــلى دعواهم فيكون إرسالهم عبثا والعبث محال على الله تعالى ولـــو لـــم يتصفوا بالفطانة لاتصفوا بضدها من نحو البلادة والغفلة وهذا نقـــص يخـــل بمكانة الرسالة ومرسها وهو محال عليه تعالى فبطل ماأدى إليهم وثبت فى حقهم الفطانة .

١ - سورة الأنعام الآية (٨٣) .
٢ - سورة هـــود الآية (٣٢)
٣ - سورة النحـــل الآية (١٢٥) .

• الجائز في حق الرسل

تجوز على الرسل الأعراض البشرية التي لا تؤدى إلى نقص منهم كالأكل والمشى في الأسواق والزراعة والتجارة والصناعات الشريفة والمرض غير المـنفر وامـتداد أيدي الظلمة إليهم بالأذى. فقدعلمنا أن الرسول أو النبي بشـر وهـذه الصـفة لها خصائصها العامة والتي لايستغنى عنها أحد من الناس كالأكل والشرب والنكاح .... ألخ وقد تعرض القرآن الكريم للحديث عـن تقول الكافرين وإنكارهم ما يفعله المرسلون فقال تعالى (وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق ....)[1] وقال أيضا (وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها ....)[2] فمـثل هـذه الصفات الخمسة لاتقدح بمقام النبوة فليس له سبيل البـتة إذ الطعن عليه إنما يكون فى المعجزة التى أدعاها لا بهذا الجنس من القول[3] وكذا خرج النبى صلى الله عليه وسلم على الذين عدو عبادته قليلة ببيان بشـريته كنـبى مرسل بقوله (أما أنا فأصوم وأفطر وأصلى وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس منى)[*] والزواج سنة السابقين فهـو أمر حياتى يحفظ النوع الإنساني وفيه قوله تعالى (ولقد أرسلنا رسلا

[1] سورة الفرقان الاية(٢٠).
[2] سورة الفرقان الاية (٨).
[3] التفسير الكبير ج٢٤ ص٥٣
[*] اخرجه البخارى فى صحيحه ك. النكاح . باب الترغيب فى النكاح(رقم ٤٦٧٥).

مـــن قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية)[٤]وقدكان النبى يعمل فى خدمة اهله الى جـــانب قيادته لدولة الاسلام ولم يؤثر ذلك على الرسالة ودورها الرائد فدعـــوى بشـــرية المرسلين وممارستهم حقوقهم دعوة قديمةرددها سفهاء الأقـــوام المنغمســـون فى لذات الدنيا والذين لاطائل من ورائهم نقراها فى قولـــه تعـــالى (وقـــال المـــلأ مـــن قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الاخرة وأترفـــناهم فى الحياة الدنيا ما هذا إلا بشرا مثلكم يأكل مما تأكلون ويشرب مما تشربون ولئن أطعتم بشرا مثلكم إنكم إذا لخسرون ٠)[١]

المستحيل فى حق الرسل

يســـتحيل على الرسل إجمالا كل نقص بشرى يخل برسالتهم أو يؤدى إلى نفرة الناس منهم كقسوة القلب ودناءة الأصل والجبن والظلم والغدر والجور ٠٠٠٠ألــخ وســـائر المـــنفرات ويســـتحيل عليهم تفصيلا الكذب والخيانة والكتمان والبلادة لأنها نقائص تخل برسالتهم وتؤدى إلىنفرة الناس عنهم وكـــل مـــايخل بالرسالة يستحيل على الرسل ولأن الصدق والأمانة والتبليغ والفطانة قدثبت وجوبها لهم بالدليل فتستحيل اضدادها عليهم ٠

[٤] سورة الرعد الآية(٣٨)٠

[١] سورة المؤمنون الآيتين ٣٣،٣٤

الإيمان بالرسل

بعـــد أن استعرضـــنا مفهوم النبي والرسول وتحدثنا عن حاجة الناس إلى وحى السـماء والصـفات الخاصة بالرسل إجمالا وتفصيلا يتحتم علينا أن نــنوه إلى حكم الإيمان بهؤلاء المرسلين صلوات الله وسلامه عليم أجمعين فنقول بحول الله وقوته إنه يجب الإيمان برسل الله وأنبيائه لأنَّ الإيمان بهم ركـن مـن أركـان الإسـلام من أخل به أو أنكره فهو كافر وكذا لو آمن ببعضهم وجحد البعض الأخر فهو كذلك كافر مارق خارج عن دائرة الإيمان والـتوحيد والدليـل على هذا الأمر قوله تعالى (قولوا آمنا بالله وما أُنزل إلينا وما أُنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسـى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون[١])وقوله (آمن الرسول بما انزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعـنا غفـرانك ربنا وإليك المصير)[٢] وجاء في الحديث الشريف عن الإيمـان ومفهومـه قولـه عليه الصلاة والسلام (الإيمان أن تومن بالله وملائكته وكتبه ورسله ٠٠٠٠٠)[٣]فيجب الايمان بان الله أرسل رسلا بين

[١]سورة البقرة الآية (١٣٦)

[٢]سورة البقرة الآية (٢٨٥)

(٣)اخرجه البخارى فى صحيحه ك الايما ن باب سؤال جبريل النبى ﷺ رقم (٤٨)٠

يـدي السـاعة لايعلـم عددهم إلا الله تعالى منهم من قص الله نبأه على رسوله ومنهم من لم يقصص امتثالا لقول الله(" ولقد أرسلنا رسلا من قبلك مـنهم مـن قصصـنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك ....-)[١]وأما الأنبـياء الذين ورد ذكرهم فى القرآن الكريم فهم على النحو التالي خمس وعشـرون (سيدنا محمد وإبراهيم وموسى وعيسى ونوح وآدم وإدريس وهود وشعيب وصالح وذو الكفل وإسحاق ويعقوب وداود وسليمان وأيوب ويوسف وهارون وزكريا ويحي وإلياس وإسماعيل واليسع ويونس ولوط عليهم السلام كما يجب الإيمان بأن هؤلاء المرسلين قد بلغوا رسالات ربهم وبشـروا أقوامهم بمثوبة الله لمن أطاعه تعالى وأنذروهم عقاب الله لمن أُعـرض عـن ذكره ونأى عن نهجه تعالى. وأنهم تحملوا أذى أقوامهم وكان منهم أولو العزم الذين تحملوا أذى أقوامهم بصورة كبيرة وهم كما حكى القرآن الكريم عنهم (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا)[٢]

---

(١) سورة غافر الآيه (٧٨)

(٢) سورة الاحزاب الآية (٧)

* روى الامام احمد رحمه الله عن ابى ذر الغفارى رضى الله عنه انه قال قلت يارسول الله اى الانبياء كان أول ؟ قال آدم .قلت يا رسول الله ونبي كان قال نعم نبي مكلم قلت يا رسول الله كم المرسلون ؟ قال ثلاثمائة وبضعة عشر جما غفيرا وفى رواية أبى امامة قال أبو ذر قلت يا رسول الله كم وفاء عدة الانبياء قال : مائة وعشرون ألفا الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جما غفيرا .

* عدد الانبياء والرسل *

*أمـــا عن عدد الانبياء كما يقول صاحب الجوهر ة ففيه خلاف فقيل إنهم مائـــة ألـــف وأربعةوعشرون ألفا وقيل مئتا ألف وأربعة وعشرون ألفا) والأول علـــيه كمـــايقول البغدادى إجماع أصحاب التواريخ من المسلمين أولهم أبونا آدم وآخرهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم [١].

*وأمـــا أعـــداد الرسل فقد اختلف فيه ايضا -فقيل ثلثمائة وثلاثة عشر أو أربعةعشـــر أو خمســـة عشـــر يقـــول صـــاحب الجوهرة الإمام اللقانى (والأسلم الإمساك عن ذلك لقوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (منهم مـــن قصصـــننا عليك ومنهم من لم نقصصص عليك)[٢].وقدجمع هؤلاء الأ نبياء فى آية كريمة ذكر منهم فيها (١٨) والسبعة الباقون ورد ذكرهم فـــى آيـــات مـــتفرقة من كتاب ربنا نقرأ فى هذا قوله تعالى (وتلك حجتنا اتيـــناها ا براهـــيم علـــى قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم ووهبنا له اسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وايوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزى المحسنين وزكريا ويحـــيى وعيســـى والـــياس كل من الصالحين واسماعيل واليسع ويونس ولوطـــا وكـــلا فضـــلنا علـــى العالميـــن ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم

---

(١) اصول الدين للبغدادى ص ١٥٦٠

(٢) الجوهرة اللقانى ص ٨،٩ والاية من سورة غافر رفم (٧٨)

واجتبيـــناهم وهديناهم الى صراط مستقيم)[٣]وقد جمع الشعر بقية الرسل فى بيتين منظومين وهما :

فى تلك حجتنا منهم ثمانية * من بعد عشر ويبقى سبعة وهموا
إدريس هود شعيب صالح وكذا * ذو الكفل آدم بالمختارقد ختموا

العصمـــة

* بعــد أن وقفنا على الصفات الواجبة للرسل إجمالا وتفصيلا وعلمنا أن الرسل هم وجهة الحق تبارك وتعالى اصطفاهم من سائر خاقه نسبا وشرفا وخلقــا ووخلقــا وأعدهــم لحمل رسالته علىمر العصوروالأزما ن، فهم المـــربون لأممهم ومن أجل هذا فلايليق بمكانتهم وقوع المعصية منهم بل كيف يتأتى هذا منهم وهــم القــدوة لغيرهم. كما علمنا سابقا فالاصطفاء الإلهــى لايضل ولايغوى بالناس؟ كيف وهوالقائل فيهم (وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار)[1] فليس فى سجلاتهم الماضية قبل إرسالهم مايشوبهم أو يضــعف حجــتهم تجــاه أقوامهم ليعيروا به ولقد صدق الكافرون على صـــدق النبى صلى الله عليه وسلم كما علمنا سلفا، وكل ما حاج به هؤلاء الأقــوام لم يكن لشى يتصل بوقوع الذنب منهم، كما أن بشريتهم المساوية لأقوامهم لاتعنى وقوع الذنب منهم فهم من أشد الناس خوفا من الله تعالى ولذا نجد القرآن الكريم يحدثنا عن رسولنا صلى الله علي وسلم بقوله (قل إنـــى أخـــاف إن عصـــيت ربى عذاب يوم عظيم)[2] وكذا القول فى سائر الأنبياءفهذا رسولنا صلى الله عليه وسلم يقوم من الليل حتى تتورم قدماه وهـــو المغفـــور له ماتقدم من ذنبه وما تأخر ويسئل عن هذا فيقول(أفلا

---

(1) سورة ص الاية (٤٧)

(2) سورة الزمر الاية (١٣)

أكون عبدا شكورا)[٣] فالوجل والخشية من الله كانت آية فى قلوبهم وآية واضحة فى سلوكياتهم ولكن على الرغم من هذا الإعداد الإلهى للمرسلين ظهرتقول السفهاءحول الذات الإلهية وأنبياء الله تعالى وكتبه المنزلة وهذا الافتراء ات كانت تعلن عن عنادالقوم وكفرهم بآيات الله. ولقد جند أدعياء الباطل مااستطاعوامن قوة للوقوف ضدالحق وأهله ومازال هؤلاء ينفثون سمومهم ليدحضوا بباطلهم الحق عن فكر المسلمين وليصبح الدين فىنظرهم أمر لافائدة من ورائه ولقدجندهؤلاء قواهم الظاهرة والباطنة لهذا الشأن. فحرفواالكلم عن مواضعه، وفهموا آيات الله على هواهم، فالصقوا بالله الجسمية والآلية ناهيك عن رفضهم الاعتراف به سبحانه وأسندوا الأمرللطبيعةالمخلوقة افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين. والحديث حول افتراءات المستشرقين وأعوانهم حول الذات الإلهية يطول بنافنكتفى با لإشارةإليه فى موضعه.ونقول إنه لم يكتف هؤلاءبالتقول على الله تعالى بل ألصقوا الفواحش ماظهرمنها وما بطن بأنبياء الله دعاةالحق وأرباب الكمال ومن هنا كان مبحث العصمة إعلانا ساطعا عن براءة هؤلاء المرسلين التى قررها رب العالميين من خلال كتابه الكريم وحكتها السنة المشرفة وإن جحد الجاحدون وأنكر المنكرون ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

---

[٣] أخرجه مسلم فى صحيحه(ك)صفة القيامة والجنة والنار(ب)إكثار الأعمال والا جتهاد فى العبادة رقم(٥٠٤٥٠).

:- العصمة ومفهومها:-

عــرف العلماء العصمة لغة:- بأنها مطلق الحفظ. واصطلاحاعند جمهور المتكلميــن (حفظ الله ظواهر الرسل وبواطنهم من التلبس بمنهى عنه ولو نهــى كراهة أو ترك مامور به ولو ندبا بعد البعثة وقبلها ولو فى الصغر فهم محفوظون ظاهرا من الزنا وشرب الخمر والفجور والغش وغير ذلك مــن المنهــيات الظاهرية وهم كذلك محفوظون باطنا من الرزائل الباطنية كالحقد والحسد والكبر والرياء وغيرها من المنهيات)[1] وقيل إنها (حفظ اللـــة المكلف من الذنب مع استحالة وقوعة وقيل فى حقيقتها أن لا يخلق الله فيهم ذنبا) وقال الحكماء ملكة تمنع عن الفجور وتحصل بالعلم بمثالب ومناقب الطاعات وتتاكد بتتابع الوحى بالأوامر والنواهى والجمهور على وجوب عصمة الانبياء عما ينافى المعجزة لأنها تقتضى الصدق فى دعوى النــبوة وما يتعلق بها من التبليغ وهم معصمون من تعمد الكذب فيما دل المعجز على صدقهم فيه.

ومذهــب أهــل الحــق منع وقوع الانبياء فى الكبائر بعد البعثة مطلقا والصــغائر عمدا وذهب أهل الشيعة إلى نفى الصغائر ولو سهوا[2] ويقول صاحب الجوهرة فى عصمة الأنبياء ما نصه(أعتقد أن عصمة البارى لكل

---

[1] العقيدة الاسلامية د عبد السلام محمد ص ٥٣

[2] المقاصد التفتازانى ج(٢) ص١٤٢

واحـــد من الأنبياء واجبة بمعنى أنها لا تنفك ولا تقبل الانتفاء) (٣) ويرى إمـــام الحرمين وجوب عصمتهم عما يناقض مدلول المعجزة أعنى الصدق وهـــذا يدل عليه دليل العقل كذلك يجب عصمتهم عن الفواحش الدالة على سقوط وضعف الدين أما الصغائر ففى تجويز العلماء لها خلاف يقول إمام الحرمين (تجب عصمتهم عما يناقض مدلول المعجزة وهذا ما نعلمه عقلا ودلـــول المعجـــزة صـــدقهم فيما يبلغون فإن قيل هل تجب عصمتهم عن المعاصى ؟قلنا أما الفواحش المؤذنة بالسقوط وقلة الديانة فتجب عصمتهم عـــنها إجماعـــا (*)، وجوزت فرقة الفضيلية الكفر فى حق الانبياء وهذا الـــراى فاســـد لأنه لو جاز الكفر عليهم لكنا مأمورين بالاقتداء بهم وهو باطل(٢)

وهـــناك مـــن جوز الكفر فى حقهم تقية دفعا للاهلاك وهو باطل أيضا لأنه يفضى إلى خفاء الدين بالكلية ،ناهيك عن إعلان الأنبياء التوحيد أمام الجبابرة كفرعون والنمروذ فى زمان موسى وابراهيم عليهما السلام فلم

---

(3) الجوهرة – اللقانى ص ٨،٩ ط دار الكتب العلمية .

(*) الارشاد الجوينى ص ٣٥٦.

(2) المحصل – الرازى ص ٢١٩ط مكتبة الكليات الأزهرية.

يمتنع هؤلاء عن إعلان الدعوة ولم يعلنا التقية كما يرى أصحاب هذا الرأى ·[٣]

موقع النبى من العصمة :

وفى هذا الاطار يطالعنا رايان[١]:

الاول : يرى أربابه أن العصمة ثابتة للأنبياء قبل الاصطفاءوبعده. وذلك لأن سلوكياتهم قبل البعثة توثر على دعوتهم فيما بعد الإرسال فلابد من عصمتهم · حتى لايكون ثمة طعن حولهم واستدل هؤلاء بقوله تعالى (ولتصنع على عينى) وقوله(وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار)فهم معصومون قبل النبوة وبعدها ·

الثانى : ويرى أنصاره أن العصمة للأنبياء تكون بعد الارسال والاصطفاء لأنهم قبل إرسالهم ليسوا مأمورين بالبلاغ لأن الذمة خالية من التكليف ولاتبيعة للخلق إياهم ومع هذا فان سيرتهم تأبى الوقوع فى الفاحشة أو المعصية فهم محفوفون بعناية الله تعالى ليكونوا نماذج رفيعة خلقا وخلقا بين أقوامهم وتشهد سير هؤلاء الأنبياء بحسن خلقهم ·يقول الإمام القرطبى (قال الفقهاء إنهم معصومون من الصغائر كلها كعصمتهم من الكبائر أجمعها لأنا أمرنا باتباعهم فى أفعالهم وآثارهم وسيرهم أمرا

---

(٣) نفسه ص ٢١٩ ·

(١) راجع النبوة والانبياء ص ٥٣ وما بعدها ·

مطلقــا مــن غير التزام قرينه فلو جوزنا عليهم الصغائر لم يمكن الاقتداء بهــم إذ لــيس كــل فعل من أفعالهم يتميز مقصده من القربة والإباحة أو الحظر والمعصية ولايصح أن يؤمر المرء بامتثال أمر لعله معصية ،

وقد علل بعض المتأخرين مايوهم وقوعه منهم على أنه باب (من حسنات الأبرار سيئات المقربين) وهى وإن وقعت فعلى سبيل النسيان والخطأ إذ قد يؤاخــذ الوزيــر بما يثاب عليه الأجير قال القرطبى رحمه الله (وهذا هو الحــق فهــم صلوات الله وسلامه عليهم وإن كان قد شهدت النصوص بوقوع ذنوب منهم(الصغائر) فلم يخل ذلك بمناصبهم ولاقدح فى رتبتهم بل تلافــاهم واجتــباهم وهداهــم وزكاهم واختارهم واصطفاهم صلوات اللله وسلامه عليهم [١].

✍ : وقــد ذكر العلامةالرازى و الإيجىوغيرهما من المتكلمين جملة من الوجوه القوية والتى تثبت بالعقل والنقل عصمة الأنبياء نذكرها على سبيل الاستئناس منها :-

اولا:-لوصدرمنهم الذنب لحرم اتباعهم فما صدر عنهم ضرورة انه يحرم ارتكاب الذنب (وانه)أى اتباعهم فى أقوالهم وأفعالهم (واجب للإجماع)عليه (ولقوله تعالى (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله . . . . .)[٢].

---

[١] تفسير القرطبى ج(١) ص ٣٠٨ .

[٢] سورة ال عمران الاية ٣١ .

ثانيا:_لو أذنبوا لردت شهادتهم إذلا شهادة لفاسق بالاجماع ولقوله تعالى (إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا)[1] واللازم باطل بالاجماع ولأن من لا تقبل شــهادته فى القليل)الزائل بسرعة (من متاع الدنيا كيف تسمع شهادته فى الدين القيم)أى القائم (إلى يوم القيامة) .

الثالــث:_إن صدر عنهم ذنب (وجب زجهم) وتعنيفهم لعموم وجوب الأمر بالمعــروف والــنهى عن المنكر ولا شك أن زجرهم إيذاء لهم وإيذؤاهم حرام إجماعاولقوله تعالى (إن الذين يؤذون الله ورسوله..)[2]الآية وأيضا لــو أذنبوا لدخلوا تحت قوله تعالى (ألالعنه الله على الظالمين) [3]وقوله (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم...[4]) فيلزم كونهم مؤذين بعذاب جهنم وملعونين ومذمومين وكل ذلك باطل إجماعا .

الرابع :-لو صدر منهم الذنب لكانوا أسوا حالا من عصاة الأمة إذبضاعف لهم العذاب على الذنب وذلك فى مقابلة أعظم النعم وهى الاجتباء للرسالة ولذلــك ضوعف حد الحر وقيل لنسا ء النبى (لستن كأحد من النساء.)[5]

---

(1) سورة الحجرات الاية (٦).
(2) سورة الاحزاب الاية (٥٧).
(3) سورة هود الاية (١٨) .
(4) سورة البقرة الاية (٤٤).
(5) سورة الاحزاب الاية (٣٢) .

ومـــن المعلـــوم أن مقـــام النبوة أجل من كل نعمة فمن قابلها بالمعصية استحق العذاب اضعافا مضاعفة .

الخـــامس :- لو أذنبوا لم ينالوا عهد النبوة فالمذنب ظالم لنفسه وهذا على جعـــل المراد بالعهد فى قوله تعالى (لاينال عهدى الظالمين)[1] وإن حمل على الإمامة فبطريق الأولى لأن من لايستحق الأدنى لايستحق الأعلى .

السادس :-لو أذنبوا لكانوا من غير المخلصين واللازم باطل لقوله تعالى (إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار)[2] وقوله (إلاعبادك منهم المخلصين)[3]

الســـابع :-إن الانبيـــا ء لم يتبعوا الشيطان فلم يصدر عنهم الذنب لقوله تعـــالى (ولقد صدق عليهـــم إبليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين)[4] ولوكان ذلك الفريق غير الانبياء لكانوا افضل من الأنبياء لقوله تعالى (إن أكرمكم عند الله اتقاكم)[5] وتفضيل غير الانبياء عليه باطل بالاجماع فوجب القطع بأن الأنبياء لم يتبعوه ولم يذنبوا . اويقال إن الذين لم يتبعوه إن كانوا

---

(1) سورة البقرة الآية(١٢٤) .

(2) سورة ص الآية (٤٦) .

(3) سورة ص الآية (٨٣) .

(4) سورة سبأ الآية(٢٠) .

(5) سورة الحجرات الآية (١٣) .

هم الأنبياء فذاك مطلوبنا وإلا لم يكونوا إياهم بل كانوا غيرهم فالأنبياء لم يتبعوه بطريق الأولى .

الثامن:-أنه تعالى قسم المكلفين إلى حزب الله وحزب الشياطين فلو أذنبوا لكانوا من حزب الشياطين، وذلك لأن المطيعين حزب الله اتفاقا فلو كان المذنب منه أيضا لبطل التقسيم فيكونون أى الأنبياء المذنبون خاسرين لقوله تعالى (ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون)-[١]مع أن الزهاد من آحاد الأمة داخلون في المفلحين فيكون واحد من آحاد الأمة أفضل بكثير من الأنبياء وذلك مما لاشك فى بطلانه.

التاسع:- قوله تعالى في إبرهيم وإسحق ويعقوب والأنبياء الذين استجيبت دعوتهم(إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات ...)[٢]والجمع بالألف واللام للعموم فيتناول جميع الخيرات من الأفعال والتروك وقوله (وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار)[٣]وهما يعنى قوله المصطفين وقوله الأخيار يتناولان جميع الأفعال والتروك لصحة الاستثناء إذ يجوز إن يقال فلان من المصطفين الأخيار فى كل الأمور فلا يجوز صدور ذنب عنهم .لا يقال الاصطفاء لا ينافى صدور الذنب بدليل قولة تعالى(ثم أورثنا الكتاب الذين

---

[١]- سورة المجادلة الآية (١٩).

[٢] سورة الأنبياء الاية (٩٠)

[٣]سورة ص الآية (٤٧).

اصـــطفينا مـــن عبادنا فمنهم ظالم لنفسه[1]...)الآية فقسم المصطفين إلى الظالم والمقتصد والسابق لأنا نقول الضمير فى قوله فمنهم راجع إلى العباد لا إلى المصطفين لأن عودته إلى أقرب المذكورين أولى فهذه حجج العصمة أوردهـــا الإمام الرازى فى الأربعين وغيره من تصانيفه [2].فهم معصومون عـــن الشـــرك بالله قبل البعثة وبعدها واما الكبائر فالراى الراجح فيها انها مســـتحيلة فى حقهم قبل البعثة وبعدها لما سبق بيانه سالفا نمن أدلة الرازى وغـــيره مـــن علمـــاء الكلام والكبائر وان كانت لم تعلم إلابعد البعثة إلاأن صـــدورها عـــنهم يؤدى إلى النفرة منهم بعد بعثتهم وربما أخذ ذلك مطعنا عليهم بعد إرسالهم وكذا القول فى الصغائر التى تشعر بالخسة هم معصومون عـــنها عمـــدا أو سهوا وذلك كسرقة شى تافه دون النصاب ...الخ فذلك مؤذن بعدم اتباعهم .وأما مالايشعر بخسة فهو جائز عليهم بعد البعثة سهوا إما عمدا فلا وأما قبل البعثة فهو جائز عمدا أوسهوا وذلك كعدم إلقاء السلام على مسلم على أصح الأقوال.[1].

---

[1]سورة فاطر الآية(٣٢).

[1]راجع الأربعين للرازى (العصمة) والمحصل ص ٢١٩

[1]راجع قضايا النبوات ص١٧٧

مزاعم مفندة

جرت ألسنة السفهاء بالتقول على أنبياء الله تعالى كما علمنا سابقا وإليك طائفة مما افتراه هؤلاء حول المطهرين الاخيار ٠

أولا:- آدم عليه الصلاة والسلام٠

يقولون إن آدم عليه السلام قد عصى المولى تعالى باكله من الشجرة ولقد صرح الذكر الحكيم بها فى غير آية منه ومنها قوله تعالى (وعصى ادم ربه فغوى)[١] وقد أُجيب على ذلك بوجوه كثيرة منها :-

*-إن هذه المخالفة كانت قبل الاصطفاء بدليل قوله تعالى (ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى)[٢]والمتامل فى الآيتين يجد مقابلة بيانة رائعة فكلمتى عصى وغوى قابلتهما كلمات تكريم فعصى قابلتها اجتباه اى قربه وادم قابلتها كلمه ربه وغوى قابلتها فتاب عليه وزيد وهدى فاى معصيه هذه التى تجلب ذلك كله ؟[٣]

*أوانّه عليه السلام قد أكل من الشجرة ناسيا[*] بدليل قوله تعالى (ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجدله عزما)[٤] فسمى ما وقع منه

---

(1) سورة طه الآية (١٢١)

(2) سورة طه الآية (١٢٢)

(3) راجع قبس من العقيدة الإسلامية د/ محمد رشاد دهمش ص١٤٤

(*) راجع النبوة والأنبياء محمد الصابونى ص٦٢ وما بعدها٠

عصـــيانا تفخيما لأمْره والنسيان والسهو مما لاينافى العصمة[١] .ويذكر العلامـــة القرطـــبى رحمه الله قوله (لما كان الانبياء صلوات الله وسلامه علـــيهم يلزمهم من التحفظ والتيقظ لكثرة معارفهم وعلو منازلهم ما لايلزم غيرهم كان تشاغله عن تذكر النهى تضييعا صاربه عاصيا اى مخالفا .

اوان ادم علـــيه الســـلام ظن أن المراد عين هذه الشجرة بعينها فأكل من غيرها اجتهادا منه لاعن سابق تعمدوهذا تأويل الجبائى . ([٢])

**ومممـــا سبق يمكن القول بأن آدم عليه السلام لم يتعمد مخالفة أمر الله تعـــالى وإنمـــا اكل من الشجرة متأولا بطريق الاجتهاد أو ناسيا لأمر الله تعالى فعاتبه ربه بإخراجه من الجنه وأنزله إلى أرضه تعالى لحكمة يعلمها ســـبحانه فـــلا يجـــوز إقـــرانه بالمعصية لوقوع هذا الأمر منه على سبيل النسيان واجتباء المولى له بعد ذلك (... فتاب عليه وهدى)[٣]

---

[٤] سورة طه الآية (١١٥) .

[١] تفسير المنار ج/ (١) ص ٣٨٠

[٣] راجع النبوة والانبياءص٦٤

ثانيا:سيدنا نوح عليه السلام:

*قولــه إن ابنى من أهلى مع إخبار المولى أنه ليس من أهله فيكون كما يــرى هؤلاء السفهاء كاذبا فى قوله وعن هذا يقول المولى عزوجل (قال يانوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح)[*] والجواب عن هذه الفرية بمايلى

أولا:-إنــه ابنه والمعنى إنه ليس من أهلك الناجين لأن أهل نوح أعم من أن يكونــوا ناجيــن أو غــير ناجين فهو من الذين سبق عليهم القول كما فىقوله (...إلامن سبق عليه القول ومن آمن)[*] فالأهلية مقيدة بالنجاة فهى المؤمنين سرا وعلانية .

ثانــيا :-إنــه ابنه من صلبه والنفى للأهلية عائد للدين أى ليس من أهل دينك الذين يتبعون منهج الله تعالى ومن مثل هذا قول النبى صلى الله عليه وسلم لفاطمة إعملى فإنى لاأغنى عنك من الله شيئا) [**]فالصلة الدموية لامكان لها مع من حاد الله ورسوله ونأى عن دينه . وهناك وجوه أخرى أصــوبها ماســلف بيانه [١]. فنوح عليه السلام لم يرتكب إثما وإنما دعا

---

[*]سورة هود الآية (٤٦).

[*] سورة هود الآية (٤٠).

[**] أخرجه مسلم فى صحيحه ك(الايمان) ب(وانذر عشيرتك الأقربين) ح(٣٠٤)

[١] قضايا النبوات ص١٩٠

المولى عزوجل أن ينجي ولده وأخذته الشفقة والعاطفة الأبويه بكونه بشرا وأبـا رحـيما فطلب من الله أن يلهم ولده الإيمان لينجومن الغرق فأخبره المولـى بأنـه قد سبقت له الشقاوة وأنه من الهالكين [٢]. ولعلنا في هذا المقـام نتذكر قول الله تعالى لنبيه(ماكان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانو ا أولى قربى من بعد ماتبين لهم أنهم أصحاب الجحيم)[٣]

إنه عليـه السـلام سأل سؤالا منهي عنه وبعدها قال (٠٠٠أعوذ بك أن أسالك ما ليس لي به علم ٠٠)[١] والجواب أن النهي هنا على سبيل التوجيه ومـن ثم فلا يكون معصية تقدمت منه عليه السلام ونظير هذا في القرآن الكـريم كثير ومنه قوله تعالى لرسولنا (ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قـبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين ٠ بل الله فاعبد وكن من الشاكرين)[٢] وأما قوله تعالى (٠٠٠٠وإلا تغفرلي وترحمني أكن مـن الخاسرين)[*] فلايلزم منـه وقوع الذنب فالتوبة مطلوبة في كل حين وعند وقوع الذنب ألزم لصاحبها فقد تكون عن الصغيرة وقد تحسن ابتداء والاستغفار قد يكون لترك الأولى وقد يكون ابتداءومن ذلك قوله تعالى

---

[2] راجع تفسير النسفي (ج٢) ص ١٩١، ١٩٢
[3] سورة التوبة الآية (١١٣)
[1] سورة هود الآية (٤٦).
[2] سورة الزمر الآية (٦٥، ٦٦) .
[*] سورة هود الآية(٤٧).

إذا جـــاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا فســبح بحمــد ربــك واســتغفره إنه كان توابا)[١] (فنصر الله وبركته على المؤمنيــن بالفــتح وباتمام الدين به عليه السلام لايوجب الاستغفار ومن شبيهه قوله تعالى(واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمومنات)[**] فليس جميع المؤمنين مذنبين [٣].

ثالثا : سيدنا إبراهيم عليه السلام .

الأمر الاول :-

-إنه كان متاثرا ببيئته وإنه عبد فى بدء دعوته الكواكب كما عبد الشمس والقمــر وهذا فهمهم لقوله تعالى (فلما جن عليه الليل راى كوكبا قال هذا ربى فلم أفل قال لاأحب الأفلين . فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى فلما أفــل قـــال لئن لم يهدني ربى لأكونن من القوم الضالين.فلما رأى الشمس بازغـــة قال هذا ربى هذا أكبر فلما أفلت قال ياقوم إنى برى مما تشركون إنى وجهت وجهى للذى فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين)[١] أرأيــتم سفســطة مــثل هذه؟ أين هؤلاء الغافلون من قوله تعالى عن إبراهــيم علــيه الســلام (إن ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يكن من

(**) سورة محمد الآية (١٩).

(٣) راجع قضايا النبوات ص ١٩٢

(١) سورة الأنعام الآيات (٧٥ الى ٧٩).

المشـــركين *شـــاكرا لانعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم)[٢] وقوله (وابراهيم الذى وفى ([٣]) وقوله (واتخذالله ابراهيم خليلا)٠[٤]٠٠٠٠٠٠ ألخ وقبل هذه الآيات يقول الله تعالى (ولقد آتينا ابراهيم رشده٠٠٠٠٠)[٥] وتوجيه هذه الآيات*أن ابراهيم عليه السلام من المؤمنين الموحدين بشهادة الله رب العالمين وانه تعالى قدوهبه الحجة البالغة الدامغه فهويجادل قوما قـد أشربوا عبادة تلك الكواكب وقد كان كلامه هذا على سبيل التدرج بهم للوصول إلى الحق فأحد الفريقين على حق والآخر على ضلال و منه قوله تعالى (وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين) [٥] وقد ذكر العلامة الزمخشرى وجمله من المفسرين كلاما طيبا يفيد انه عليه السلام قد سلك مع قومه أيسر الطرق لبلوغ دعوته فلم يجابهم بالضلال وإنما تدرج معهم فـــى بلـــوغ هدفه من إثبات بطلان آلهتهم فكأنه عليه السلام قد ولد فيهم الاعـــتراف بالله رب العالمين[١] وبذلك نجد النسق القرانى الجدلى قد سبق أئمة المحاورين وأرباب الألسن كما رأينا عند سقراط اليونانى والذى

---

[٢] سورة النحل الآيتين (١٢٠، ١٢١)٠

[٣] سورة النجم الآية (٣٧)٠

[٤] سورةالنساء الآية ٠(١٢٥

[٥] سورة الانبياء الآية (٥١)

[٥] سورة سبا الآية (٢٤)

[١] تفسير الكشاف (ج٢ص٤٠)٠

والذى استخدم التوليد للأفكار لاثبات هدفه من خلال أقوال مخالفيه[٢] وهذه الخطـوات التى قررها ابراهيم عليه السلام تعبر تماما عن خطوات البحث العلمـى الـتى نـادى بها أرباب التجربة والتى تقوم على تحديد المشكلة وحصـر نقاط الصعوبة وفرض الفروض ثم الوصول فى النهاية إلى الفرض السليم .

وبهذا أيضا يكون ابراهيم عليه السلام قد سبق "بيكون" وأرباب التجربة فى العصـر الحديـث (*) فكـأنه عليه السلام فى مقام الاستدلال وإقامة الحجة والبرهان على وجود الله من خلال ابراز صفات هذا الإله وكأن لسان الحال يقـول إذا كانت هذه آلهتكم التي تدعون من دون الله تغيب ويذهب نورها فهـى فى المقام الاول لاتصح أن تكون إلها لهذا الكون الذى يحتاج لمدبر لاتأخذه سنة ولانوم . يقول صاحب العقائد العضدية (ولك أن تقول إنما قال ذلـك علـى سبيل الفرض كما فى برهان الخلف إرشادا للصابئة إنحاصل ماذكره ، أن الكواكب لو كانت أربابا كما تزعمون لزم أن يكون الرب متغيرا

---

[2] التحكم: - طرح معنى ينافى المعنى الأول ويناقضه وهو أسلوب فى الجدل اتخذه سقراط لنفسه وأثار عليه عليه حفيظة أهل اثينا وهو ماكان ظاهره جدا وباطنه هزلا والهزل الذى يراد به الجد بالعكس والتوليد أسلوب جدلى قائم على على الحوار وادعاء الجهل بالشئ ومن ثم يطرح على خصمه أسئلة منشأ ماأن تستخلص الحقيقة منه راجع المعجم الفلسفى عبد المنعم الحفنى ص٦٩

(*) راجع علم النفس نظرية علمية اسلاميه د/ محمود بركات ،، ، راجع محاضرات فى الفلسفة الحديثة د/ثروت حسين سالم .

آفلا وهو باطل)(**) وما أجمل ماقصه لنا القرآن الكريم عن سيدنا ابراهيم علـــيه السلام فى بيانه لخالقه أمام الجاحدين للنكرين من قومه حيث يقول المولـــى عزوجل (فإنهم عدو لى إلا رب العالمين الذى خلقنى فهو يهدين والذىهـــو يطعمنى و يسقين ٠وإذا مرضت فهو يشفين والذى يميتنى ثم يحيين والذى أطمع أن يغفر لى خطئيتى يوم الدين٠٠٠٠٠٠)(١)فهو عليه الســـلام فى قمة إيمانه بربه لم ينفك عنه قيد أنملةوذلك واضح فى نهاية الحديـــث القـــرآنى حيث يقول المولى تعالى (وتلك حجتنا آتيناها ابراهـــيم علـــى قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم)(١) وهذه الأقـــوال التى افتراها هؤلاء كانت جهلا منهم وخطأ واضحا فى فهم آيات الذكـــر الحكـــيم ناهـــيك عن مقام الخليل عليه السلام وإخوانه المرسلين صلوات الله وسلامه عليه أجمعين يقول ابن العربى رحمه الله (والذى أوتـــيه الخلـــيل عليه السلام من العلم بالحجة بظهور دلالة التوحيد وبيان عصمة إبراهيم عن الجهل بالله تعالى والشك فيه والاخبار أن ما جرى بينه وبين قومه إنما كان احتجاجا ولم يكن اعتقادا)(٢)

(**)المواقف الموقف السادس ص٢٧٠ ٥

(١) سورة الشعراء الآيات ٧٧الى ٨٢٠

(١) سورة الأنعام الآية ٨٣٠

(٢) أحكام القرآن (ج٢ص ٧٢٣) ٠

**الأمـــر الثانى :- إنه شك فى قدره الله تعالى على إحياء الموتى بدليل قولـه تعالى (وإذقال ابراهيم رب أرنى كيف تحيى الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى ....)

والجواب أن سؤال الخليل عليه السلام ربه إحيا ء الموتى لم يكن شكا ولم يكن سؤاله عن الماهية/وإنما كان سؤاله عن الكيفية بقصد الشوق والتطلع لرؤية أسرار الصنعة الإلهية . وهو مثل قولك كيف يحكم زيد فى الناس ؟ فهـو لايشك فى حكمه ولكنه يسأل عن الكيفية التى يحكم بها [*]وقدقطع النـبى علـيه السلام دابر الوهم قوله (نحن أحق بالشك من إبراهيم إذقال ربى أرنى كيف تحى الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى)[1] أى ونحـن لم نشك؛ إنه التشوف إلى ملابسه الصنعة الالهية وهو يكشف عما يختلج أحيانا من الشوق والتطلع لرؤية أسرارالصنعة الإلهية فى قلوب أقرب المقربين [*]يقول العلامة الايجى رحمه الله (إن ذلك السؤال لم يكن عن شك فى الإحياء أو القدرة عليه بل فى الآية تصريح بأنه طلبه لأن فى عـين اليقيـن مـن الطمأنينة ما ليس فى علم اليقين فإن للوهم بإحداث الوساوس والدغادغ سلطانا على القلب ماليس فى علم اليقين أو أن سؤاله عن كيفية الإحياء لا عنه لأن الإحاطة بالكيفية المفصلة أقوى وأرسخ من

---

[*] تفسير الكشاف ج (١) ص٣٠٨

[1] أخرجه البخارى فى صحيحه ك تفسير القران ب/واذقال ابراهيم ربى ارنى كيف تحى الموتى ح(رقم (٤١٧٣) .

[*] فى ظلال القرآن ج٣ ص ٤٥ .

المعرفة الإجمالية المفضية إلى التردد بين الكيفيات المتعددة مع الطمأنينة فى أصل الإحياء والقدرة عليه)[**]وقد ذكر العلامة الرازى وجوها متعددة توجيها لهذه الاية منها :-

١-كان مطلوبه أن يصير العلم بالاستدلال ضروريا وهذا الوجه أورده عن الحسن وقتادة وعطاء ٠٠٠الخ وذلك قوله رب أرنى كيف تجمع أجزاء الحيوان من بطون السباع والطيور ودواب البحر فقيل اولم تؤمن قال بلى

٢٠- إن قوله لم يكن شكا ولكن سأل ذلك مواجهة للنمروذ الذى سأله ذلك بقوله (قل لربك حتى يحيى وإلا قتلتك فسأل الله ذلك وقوله ليطمئن قلبى بنجاتى من القتل أو ليطمئن قلبى بقوة حجتى وبرهانى ٠

٢- إن الله تعالى أوحى إليه إنى متخذ بشر اخليلا فاستعظم ذلك إبراهيم وقال إلهى ماعلامات ذلك ؟ فقال علامته أنه يحيى الموتى بدعائه فخطر بباله أن يكون هو فسأل الله ذلك فيكون قوله٠٠٠٠(٠٠٠٠ ولكن ليطمئن قلبى ٠٠) على أنى خليل الله ٠

٣- تقدير الآية أن جميع الخلق يشاهدون الحشر يوم القيامة فأرنى ذلك فى الدنيا ٠[*] فذلك نوع من التشريف ٠)[١] وهذه الوجوه وإن كان فى

[**]راجع المواقف (الموقف السادس)٠

(*)علــى سبيل المثال [*]لاحظ الآية السالفة الذكر فقد أرى المولى عزوجل صاحب القرية الخاوية علــى عروشها إحياء الموتى فى قوله(٠٠٠٠٠٠٠وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما ٠٠٠)البقرة الآيه ٢٦٠،وراجع تفسير البحر المحيط ج(٢)ص٦٣٧ط دار الفكر ١٩٩٢موقد أجرى الله إحياء الموتى لموسى وعيسى عليهما السلام كما هو ثابت فى آى الذكر الحكيم ٠

بعضها قوة وبعضها قد يخرج فى دلالته عن إطار القوة إلاأنها تصب فـــى إطار واحد فحواه أن سؤاله عليه السلام لم يكن شكا وحاشاه أن يـــتطرق الشــك إلى قلبه عليه السلامفهو موقن بذلك الأمر بقلبه ولكـــن ســـؤاله عـــن كيفيه إراءة الاحياء ليشاهد عيانا ما كان يعلمه بالقلب وأخبر به نمروذ ٠فى قوله (ربى الذى يحيى ويميت)فطلب من الله تعـــالى رؤيـــة ذلـــك لما فى معاينة ذلك من رؤيةاجتماع الأجزاء المتلاشـــية والاعضـــاء المتبددة والصور المضمحلة واستعظام باهر قدرتـــه تعـــالى والسؤال عن الكيفية يقتضى تيقن ما سأل عنه وهو الإحياء وتقرره والإيمان به [٢].

الأمـــر الثالـــث :- قـــول النبى فى الحديث (لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات . . . .)[***]فهذا يشعر بعدم العصمة والجواب إن هذه الأمور لاتشعر بالكذب المقصودلذاته لقوله عليه السلام مامنها كذبه إلا حل بهـــا ابراهـــيم عن دين الله عزوجل(أى جادل ودافع) فكأن الكذب هنا غير مقصود لذاته،أوكما قال وحكاه الرازى نفسه ومن قبله ابن قتيبة من تأويل مشـــكل القـــرآن (إن فى المعاريض لمندوحة عن الكذب)٠إن قوله (إنى سقيم)أراد به السقم من عبادتكم لهذه الأصنام التى لاتسمع ولاتنفع ولاتغنى

---

(1) التفسير لكبير الرازى (ج٧)ص(٤٢ ،٤٣)

(2) راجع تفسير البحر المحيط ج(٢)ص ٦٤٢

(***) اخرجه البخارى ك أحاديث الأنبياء ب قول اللهواتخذالله ابراهيم خليلا)ح(٣١٠٨)

عن صاحبها شيئا كما يكون الإنسان سقيم الجسم كذلك يكون سقيم النفس أو سأسقم لأن من كتب الله عليه الموت فلابد أن يسقم ومنه قوله تعالى(إنك ميت وإنهم ميتون)أى ستموت ويموتون فأوهمهم إبراهيم بمعاريض الكلام أنه سقيم عليل ولم يكن عليلا سقيما ولا كاذبا [٢]،وقد أراد الخليل الاعتذار عن الخروج معهم فكان ماأراده [٣]"وأما قوله (بل فعله كبيرهم هذا لم يكن نوعا من الكذب بل أراد أن يقيم الحجة على قومه تهكما وسخرية منهم لما رأهم متعجبين من كلامه فى قوله (فسئلوهم إن كانوا ينطقون)[١]وقد أراد بل فعله الكبير أن كانوا ينطقون فسلوهم فجعل النطق شرطا للعقل أى إن كانوا ينطقون فقد فعله وهو لايعقل ولاينطق)[٤]وقد أراد ابراهيم عليه السلام أن يدلل من خلال الحس الذى لاتجاوزه عقولهم على تهافت معتقداتهم وأقام الدليل من خلال هذه التجربة على أنها لاتدرأ الضر عن نفسها هذا بالنسبة لما تكسر أماهذا الكبيرفقد أثبت وقوفه مكتوف الأيدى" إنه عاجز عن نفع غيره من بنى جنسه "وبهذه الوسيلةأثبت الخليل عليه السلام للعيان عجز هذه الآلهة عن أن تنفع نفسها وغيرها.. الخ)[٢]ويكون بذلك قد أبر بيمينه فى قوله تعالى حكايه عنه (وتا لله

---

[2]راجع تاويل مشكل القران ابن قتيبه ص ١٧٦ نقلا عن قضايا النبوات ص ٢٠٠

[3]التفسير الكبير الرازى ج(٢٢) ص(١٨٦) .

[1]سورة الأنبياء الآية (٦٣).

[4]تاويل مشكل القران ص ١٦٨

[2]قضايا النبوات د/ بركات ص ١٩٠.

لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين) وأما قوله عن السيدة سارة رضي الله عنها إنها أخته فقصد به أخوة الدين والإيمان،وكله من باب التعريض لامـــن الكذب وقد قال عليه الصلاة والسلام(إن فى المعاريض لمندوحةعن الكذب)[**] ويرى صاحب الكشاف العلامة الزمخشرى رحمه الله (إن ذلك مـــن باب الحيل الشرعية التى يتوصل بها إلىمصالح ومنافع دينيه وقول عن السيدة سارة إنها أخته لتسلم من يد الكافر ٠٠٠٠وما الشرائع كلها إلا مصـــالح وطرق إلى التخلص من المفاسد[***] ونستأنس برأى الحافظ ابن حجـــر رحمه الله إذ يقول (وإما اطلاقه الكذب على الأمور الثلاثة فلكونه قـــال قـــولا يعـــتقده الســـامع كذبا لكنه إذا حقق لم يكن كذبا لأنه من باب المعاريض المحتملة للأمرين فليس بكذب محض ٠)[1]

[**] أخرجه البخارى ك(الأدب) باب المعاريض مندوحة عن الكذب٠

[***] تفسيرالكشاف ج(٢) ص(٢٣٥)٠

[1] راجع موقف لعلماء من حديث لم يكذب ابراهيم سوى ثلاث كذبات د/عبد المنعم رماح ص٨٥ د (ح كلية أصول الدين المنوفية العدد التاسع ١٩٨٩م

لوط عليه الصلاة السلام

واما لوط عليه السلام والذي ناهض الفاحشة بكل ما أوتى من قوة كما تحدث القرآن الكريم عنه وعن قومه والذين كانوا يأتون الذكران من دون النساء فى أوديتهم وأنديتهم دون استحياء ودون خوف من الله تعالى يقول الله تعالى (ولوطا إذ قال لقومه إنكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين • ائنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر .فما كان جواب قومه إلا أن قالوا ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين)[1]•فالبرغم من مدافعته عليه السلام لهؤلاء اللا ئطين إلاأنهم اتهموه بالمتاجرة بعرضه وذلك لفهمهم القاصر لقوله تعالى (••• هؤلاء بناتي إن كنتم فاعلين) وقد غفل هؤلاء عن الآيات السابقة واللاحقة لهذه الآيات أو ما ورد مفسرا فى آيات أخرى ونعود إدراجنا الى الحدث الفعلي فقد جاءت ملائكة الله عز وجل لإهلاك قوم لوط عليه السلام تنقية للأرض من دنسهم وفحشهم، هنالك استبشر اللائطون بالوجوه الحسان والتي أتت بها الملائكة كما ذكر المفسرون،وأرادوا مراوداتهم عن نفسهم عندئذ عرض عليهم لوط عليه السلام بناته للزواج منهن طهارة لهم من فحشهم فقال (هؤلاء بناتي هن أطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون فى ضيفي أليس منكم رجل رشيد)[2] وفى سورة الحجر يقول الله تعالى (وجاء أهل المدينة يستبشرون • قال إن هؤلاء ضيفى فلا تفضحون • واتقوا الله ولاتخزون • قالوا أولم ننهك عن العالمين • قال هؤلاء

[1] سورة العنكبوت الايتين ٢٨ ،٢٩.

[2] سورة هود الآية ٧٨ .

بناتى إن كنتم فاعلين • لعمرك إنهم لفى سكرتهم يعمهون فأخذتهم الصيحة مشرقين •)[٢] ••ولكن لافائدة منهم حيث أصروا على المراودة ولكن لاطاقة للوط عليه السلام بهم فقال (••• لو أنى لي بكم قوة أوً آوى إلى ركن شديد،) وفى الحديث الشريف قوله عليه الصلاة والسلام (يرحم الله لوطا لقد كان يأوى الى ركن شديد)[*]عندئذ أخبرت الملائكة لوطا عليه سلام بأنهم رسل الله جاؤا لإهلاك قومه وبشروه بنجاته هو ومن آمن معه إلا امرأته فقد كانت من الغابرين ولما أراد هؤلاء هذا الأمر طمس الله على أعينهم فلم يبصروا شيئا أمامهم •وصدق المولى إذ يقول (ولقد راوده عن ضيفه فطمسنا أعينهم•)[١] فقوله هؤلاء بناتي دلاله على الطهارة ولاطهارة في الزنا أوً اللواط فكلام ليس فيه عرض للفاحشة لكنه إشارة إلى النكاح الصحيح بدليل قوله هن أطهر لكم• ثم إنه كيف يمنعهم من اللواط ويدعوهم إلى الزنا وكلاهما حرام• ثم إنهم قد أجابوه قائلين (لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد ••)[٢]فلم يطلبوا بناته للزواج وانما أراد وا فعل الفاحشة مع ضيوف لوط عليه السلام • فصبحهم الله عذاب مستقر• ولقد تقول كتبه العهد القديم على سيدنا لوط عليه السلام فنسبوا إليه الزنا بابنتيه والسكر والعربدة ولاغرابة فيما كتبه البشر افتراء على الله وعلى رسله فهو عليه السلام كغيره من الأنبياء والمرسلين ليسوا

سورة الحجر الايات ٦٨ الى ٧٣ •

[*] أخرجه البخارى فى صحيحة ك تفسير القران ب قوله تعالى فلما جاءه الرسول ••ح ٣٢٦٤

[1] سورة القمر الايه ٣٧

[2] سورة هود الاية ٧٩

معصومين من الفواحش بل هم أربابها، ومن ذلك ما يذكره سفر التكوين (،،،،،،،
،،،،، وصعد لوط من صوغر وسكن فى الجبل وابنتاه معه ، إنه خاف أن يسكن في صوغر فسكن المغارة هو وابنتاه ،وقالت البكر للصغيرة أبونا قد شاخ وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض ، هلم نسقى أبانا خمرا ونضطجع فنحيى من أبينا نسلا ، فسقتا أباهما ،خمرا في تلك الليلة ، ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها ولم يعل باضطجاعها ولا بقيامها ، وحدث في الغد أن البكر قالت للصغيرة إني قد اضطجعت البارحة مع أبى ، نسقيه خمرا الليلة أيضا فادخلي اضطجعي معه فنحيى من أبينا نسلا،،،،،،،)[٣] فأي سخافة هذه وأي افتراء هذا والظاهر إن كتبة التوراة المحرفة كانوا يحاولون إشباع غرائزهم من خلال الاستناد إلى أنوار الأمم وهم الأنبياء فهذه الاتهامات الرخيصة قصد بها هؤلاء فتح باب الإباحة على مصراعيه وجعل الفواحش من دعائم الأخلاق المؤيدة في نظرهم بوحي السماء ولكن كذبوا والله فما كان لوط عليه السلام زانيا ولا شاربا للخمر ولكنه رسول أمين نجاه الله وأهله من الكرب العظيم وأدخله في رحمته وذلك لأنه من عباد الله المخلصين ، فسلام على لوط عليه السلام في العالمين ،

[٣] سفر التكوين – الاصحاح التاسع عشر – الفقرة ٣٠-٣٧ ص ٢٩

** سيدنا يوسف عليه السلام :-

وأما تقول السفهاء وغيرهم علي فهو زعمهم أنه هم بالمعصية مع امــراة العزيز وراودها لنفسه بدليل قول الله تعالى (ولقد همت به وهــم بها ٠٠٠٠)[١] ولقد جال هؤلاء القوم وصالوا فى حق سيدنا يوســف عليه السلام فوصفوه بصورة العاشق المحب الخائن لولى نعمــته وأولى لهؤلاء أن يفهموا النسق القرآنى فهما صحيحا بعيدا عــن أى تاويلات فاسدة أومصالح خاصة بهم والجواب:- إن الهم الــذى وقع من امرأة العزيز كان هم سوء كانت تدعوه لنفسها من أجــل الفاحشة ولأجل ذلك هيأت الأسباب بإغلاقها الأبواب وفى هذا يقول الحق (وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله ٠٠٠٠)[٢] وأما هم يوسف عليه السلام فلــم يكن هم سوء وإنما كان هما بدفع العدوان والسوء عن نفسه ولذاقــال (معاذ الله إنه ربى أحسن مثواى ٠٠٠)أو يقال همت به طلــبا وهــم بهــا دفعا ويرى بعض المفسرين إن فى الآية تقديما وتأخــيرا والمعــنى (لــولا برهان ربه وهو اليقين والإيمان وشدة مراقــبة الله لفتــن ووقع فى الفاحشة ومن هنا كان ثناء الله عليه بقولــه (إنه من عبادنا المخلصين)أو يقال إن الهم وقع منها فعلا

---

[1] سورة يوسف الايه(٢٤)

[2] سورة يوسف الايه (٢٣)

وأما هم يوسف عليه السلام فكان كما ذكر العلامة النسفى رحمه الله بالطباع مع الامتناع فالنفس ترغب هذا الأمر ولكنه امتنع عنه ولم يعـــزم عليه وإن كان هذا الأمر حيويا فى نفسه .وهناك أدلة عديدة اســتنبطها المفســرون مـــن النسق القرآنى ومن القصص النبوى نذكرمنها مايلى :-

الاول :- امتناعه عن المراودة لإمرأة العزيز بدليل قوله تعالى (قال معاذ الله ...)

الــثانى :- فــراره من امراة العزيز ويدل على ذلك قوله (واستبقا الباب وقــدت قميصــه من دبر) ولو كان يريد الفاحشه لما فرمنها فلايعلم أحد مكانه وليس يطلع عليه أحد فى هذا المكان المعد للفاحشة فكيف يرواد من ينأى عن السوء .

الثالث :-الشهادة العيينيه الواضحة من بعض أقرباء المرأة عليها (وشهد شـــاهد من أهلها ...) والدليل المادى الواضح على مدافعته عليه السلام للمرأة وفيه شقت قميصه من الخلف ولو كان يريد الفاحشة معها لما كان هناك أثر للمقاومة ولما احتاج الأمر لشق القميص...الخ

الــرابع :-لوكان يريد الفاحشة لهيأ لها أسبابها بالقرب من المعشوقه كما يقولون وملازمتها حتى يتهيا له هذا الأمر،أما وقد رفض المعصية وفضل السجن على الملازمة فهذا دليل دامغ على عصمته عليه السلام قال تعالى (قال رب السجن أحب إلى مما يدعوننى إليه ......)

الخـامس:-ثـناء المولـى علـيه فى أكثر من موضع بأنه من عباد الله المحسنيين والمخلصين

السـادس:- اعـتراف المـراة الصريح الذى حكاه القران فى قوله تعالى (...ولقدراودتــه عن نفسه فاستعصم ..)وقوله(قالت امراة العزيز الآن حصص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين)واعتراف النسوة مـن قبل مما لايدع ذرة من شك فى براءته عليه السلام(قال ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاشا لله ما علمنا عليه من سوء...).

السـابع : لو كان له رغبة فى مطاوعه امراة العزيز لما طاب من الله ان يصرف عنه كيدهن.

الثامـن : إنـه لم يقبل الخروج من السجن حتى يقر الحميع ببراءته من المعصـيه ودلنا هذا الأمر على نزاهته وترفعه عن الفواحش وعفته عليه السلام.(*)

(*) راجع النبوة والأنبياء الصابونى ص ٧٥وما بعدها.

سيدنا يونس عليه السلام :-

يقــول بعض السفهاء إن ظاهر آية الأنبياءوهى قوله تعالى (وذا النون إذ ذهــب مغاضــبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات إن لاإله الإأنت سبحانك إنى كنت من الظالمين)[(1)]يوهم أنه عليه السلام قد فعل المعصية حيــث خــالف أمر الله تعالى فخرج مغاضبا له فابتلعه الحوت بسبب هذا الذنب ففعل مايغضب الله تعالى ،و شك فى قدرة الله تعالى·

والجواب :-إن براءة يونس عليه السلام واضحة فقد أنذر قومه بعذاب الله تعــالى فــتمادوا فى غيهم فلُوعدهم بالعذاب العاجل فلما تأُخروقت العذاب خــرج من بينهم كالمستورحتى لايسخروا منه بطلب العذاب الذى أُنذرهم منه فقد كان مغاضبا لقومه لالربه والمعنى كما يقول الشيخ النسفى رحمه الله (إذ ذهــب مغاضــبا) أى مــراغما لقومه ومعنى مغاضبته لقومه أنه أغضــبهم بمفارقــته فظن ألا فائدة منهم فخرج من بينهم غضبا لله تعالى وبغضا للكفر وأهله وكان عليه أن يصابر الأذن من الله تعالى فى المهاجرة عــنهم فابــتلى بالحوت)[(2)]فالمعاتبة كانت لعدم الصبرولذا نجد أن الصبر و آياته فى القرآن الكريم كثيرة جدا هدفها تعليم رسولنا ذلك وتعليمه أمته هــذا الخلــق الــرائع ومــن ذلك قوله تعالى (فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصــاحب الحــوت إذ نادى وهو مكظوم لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ

---

(1) سورة الأنبياء الآية(٧٨) •

(2)تفسير النسفى ج(٣) ص (٨٧) •

بالعــراء وهو مذموم فاجتباه ربه فجعله من الصالحين)[١] فقد ألهمه الله تعــالى الدعاء وأجابه له(فنادى فى الظلمات إن لاإله إلاأنت سبحانك إنى كنت من الظالمين. فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين)[٢] وأمــا قو له تعالى (فظن أن لن نقدر عليه) فالمعنى أن لن نضيق عليه فهــى مــن القدر لامن القدرة ومنه قوله تعالى (ومن قدر عليه رزقه)[٣] وبذلــك تبرء ساحه عليه السلام مما تقوله السفهاء فى حقه عليه الصلاة والسلام .[٤]

سيدنا داود عليه السلام :-

لقــد تقــول المفترون على ذى الإيدى داود عليه السلام فنسبوا إليه الزنا والفجر والتحايل والقتل وفعل الموبقات فهو فى نظرهم رجل شهوانى وقد أورد سفر صموئيل تقول هؤلاء عليه فأوردوا ماجاء فى الذكر الحكيم من قرآن حول الرجلين اللذين تسورا المحراب عليه وسئلا عن حكم شرعى من خلــيفة الأرض آنذاك ولندع الذكر الحكيم يحدثنا بأسلوبه المعجز يقول الله تعالى (وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب إذ دخلوا على داود ففزع مــنهم قــالوا لاتخــف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولاتشطط واهدنا إلى سواء الصراط * إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة

---

(١) سورة القلم الآيات (٤٨،٤٩، ٥٠).
(٢) سورة الأنبياء الآية (٧٩).
(٣) سورة الطلاق الآية (٧)
(٤) راجع النبوة والأنبياء للصابونى ص ٨١

ولـــى نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزنى فى الخطاب قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه وان كثيرا من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض إلا الذين آمـــنوا وعملـــوا الصالحات وقليل ماهم وظن داود إنما فتناه فاستغفر ربه وخـــر راكعـــا وأناب فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى وحسن ماب ٠٠) فالقصـــة لرجلين تسلقا جدار المحراب الخاص بالعبادة بداود عليه السلام فـــى يـــوم عبادته وكان قد خصص زمانه كما يقول ابن عباس رضى الله عـــنه[٢] أربعة أجزاء يوما للعبادة ويوما للقضاء ويوما للاشتغال بخواص أمـــوره ويومـــا لجميع بنى اسرائيل فيعظهم ويبكيهم وقد تسورا الرجلان علـــيه المحـــراب فجـــاءوه فى غير القضاء فلما رآهما فزع منهما فقالا لاتخـــف نحن خصمان بغى بعضنا على بعض فبدأ أحدهما بالكلام قائلا إن هذا اخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة فاعتدى هذا الرجل على حقى وأخذ نعجتى ليضمها إلى نعاجه الكثيرة عندئذ حكم داود بجور الرجل وأمره أن يرد نعجة الرجل إليه وأما استغفاره وفتنته فكانت بدون معصية فليس فى الاستغفار ما يشعر بارتكاب أمر يستغفر منه وما زال الاستغفار شعار الأنبياء المشهود لهم بالعصمة فالحال ومقامه يقولان إن فصلك بين الـــناس فى حد ذاته عبادة فلا داعى لتخصيص يوم دون يوم،ومن هنا كان استغفاره، أو أن داود عليه السلام ظن أنهما أتيا إنفاذا لأمر الله باغتياله فلم يقـــع ماكان فى ظنه فاستغفر من ذلك الظن حيث أخلف ولم يقع مظنونه وخر

---

[٢] البحر المحيط (ج ٩) ص ١٤٧ .

ســاجدا أو رجع إلى الله فغفر له ذلك الظن ولذلك أشار بقوله (فغفرنا له ذلك ولم يقدم سوى قوله (وظن داود إنما فتناه)[١]ولقد تقول القصاص على داود علــيه الســلام ولذلك كان على رضى الله عنــه يقول (من حدثكم بحديث داود علــيه الســلام على ما يرويه القصاص جلدته مائه وستين جلدة)[٢]فالمتحدث يقــذف داود علــيه السلام فله الجلد المضعاف لتعلق الامر بنبى من أنبياء الله تعالى وإليك أيهاالقارى الكريم ماورده سفر صموئيل عن دا ود عليه السلام [٣].

يذكــر أن داود عليه السلام كان (فى وقت المساء قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك فرأى من على السطح امرأة تستحم وكانت المرأة جميلةالمنظر جدا،فارسل داود وسأل عن المراة فقال واحد اليت هذه بثشبع بنت بلعام امراة أوريــا الحثى فأرسل داود رسلاوأخذها فدخلت اليه فاضجع معها وهى مطهرة مزطمــثها ثم رجعت إلى بيتها وحبلت المراة فارسلت وأخبرت داود وقالت انى حبلى فارسل داود الى يواب يقول أرسل إلى أوريا الحثى فأرسل يواب أوريا إلى داود فاتى أوريا إليه فسأل داود عن سلامة يواب وسلامه الشعب ونجاح الحرب وقــال داود لأوريــا إنزل إلى بيتك واغسل رجليك فخرج أوريا من بيت الملك

---

(1) تفسير البحر المحيط ٩ ص ١٤٩

(2) الأسفار المقدسة د/ على وافى ص ٥٢٠ * راجع أيضا تفسير القرطبى (ج ( ) ص

(3)سفر صموئيل أحد أسفار العهد القديم (التوراة) والتى اعتمدها اليهود ويقع هذا السفر ضمن القسم التاريخى والخاص بتاريخ بنى اسرائيل بعد استيلائهم على بلاد الكنعانيين وبعد استقرارهم فى فلسطين وتفصل تاريخ قضاتهم وملوكهم وأيامهم والحوادث البارزة فى شئونهم .وهى سفر يوشع والقضاة وراعوثوصموئيل (سفران)والملوك (سفران)وأخبار الأيام (سفران)وعزرا ونحميا واستير .راجع الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للاسلام د/وافى ص١٤وما بعدها.

وخرجت وراءه حصة من عند الملك ونام أُوريا على باب الملك مع جميع عبيد سـيد ،ولم ينزل إلى بيته فأُخبروا داود قائلين لم ينزل أُوريا إلى بيته فقال داود لأُوريا،أما جئت من السفرفلماذا لم تنزل إلى بيتك فقال أُوريا لداود إن التابوت واسـرائيل ويهوذا ساكنون فى الخيام وسيدى يواب وعبيد سيدى نازلون على وجـه الصـحراء وأنا آتى إلى بيتى لأكل وأشرب واضطجع مع امرأتى وحياتك وحياة نفسك لاأفعل هذا الأمر فقال داود لأُوريا أقم هنا اليوم أيضا وغدا أُطلقك فأقام أُوريا فى أُورشليم ذلك اليوموغده ودعاه داود فأكل وشرب أمامه وشرب وأسـكره وخـرج عند المساء ليضطجع مع عبيد سيده وإلى بيته لم ينزل ،وفى الصباح كتب داود مكتوبا إلى يواب وأرسله بيد أُوريا وكتب فى المكتوب يقول اجعلوا أُوريا فى وجه الحرب الشديدة وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت وكان فى محاصرة يواب المدينه أنه جعل أُوريا فى الموضع الذى علم أن رجال البأس فـيه فخـرج رجال المدينه وحاربوا يواب فسقط بعض الشعب من عبيد داود ومـات أُوريا الحثى أيضا ....فلما سمعت أمراة أُوريا أنه قد مات أُوريـا رجلهـا ندبـت بعلها ،ولما مضت المناحة أرسل داود وضمها إلى بيته وصارت له امرأة وولدت له ابنا واما الأمر الذى فعله داود فقبح فى عينى الرب)[1]

وبعد هذه القصة الدامية المثيرة وما فيها من سقطات لاينبغى ذكرها فى جانب النـبوة والأنبياء ولنا عودة لها فيما بعد ولكننا نعود لشاهدنا والذى بنى عليه أعداءالديـن معـتقدهم وفسروا استغفار داود عليه السلام عليه ومن ذلك إن

---

[1] سفر صموئيل الثانى الأصحاح الحادى عشر الفقرات من ٢الى ٢٦ .

الإصحاح التالى لهذا الأمر يحدثنا أن الله أرسل ناثان إلى داود وقص عليه قصه رجليـن يملـك أحدهما قطعانا كبيرة من الأبقار والنعاج بينما لايملك الآخر إلا نعجـة واحـدة وفى أحد الايام قدم ضيف على الغنى فمد يده إلى نعجة الفقير واغتصبها منه وذبحها لضيفه فغضب داود من فعلة هذا الغنى وقال لناثان إن هذا الرجل يستحق الموت فقال له ناثان إنك أنت نفسك هذا الرجل وأخذ يؤنبه ويـتوعده بما سيحيق به وبأهله من عذاب ونكال فاعترف داود بذنبه واستغفر ربـه وتـاب إلـيه فغفر له والقصة على هذا الوضع محض افتراء ولايتصور صـدور وقائعهـا من رجل عادى ذى خلق كريم فضلا عن نبى كريم ومن هنا كانـت الطامـة أن بعض المفسرين نقلوا هذه القصة المفتراه على داود عليه السلام ليفسروا بها آيات سورة ص فى حديث الخصمين .[1] يقول الإمام الفخر الرازى رحمه الله تعالى: اعلم أن الذى اقطع به عدم دلالة هذه الآية على صدور الكبيرة من داود عليه السلام وبيانه من وجوه :-

<u>الأول</u> :- إن الذى حكاه المفسرون عن داود وهو أنه عشق امرأة أوريا فاحتال حـتى قتل زوجها فتزوجها لايليق بالانبياء بل لو وصف به أفسق الفساق لكان منكرا .

<u>الـثانى</u> :- إن الدخـول فى دم أوريا أعظم من التزوج بامرأته فكيف تـرك الله الذنب الأعظم واقتصر على ذكر الأخف .

---

(١) راجع سفر صموئيل الثانى الاصحاح الثانى عشر الفقرات(١ الى ٣٠)
راجع ايضا الأسفار المقدسة فى الاديان السابقة للاسلام د/على عبد الواحد وافى ص ٥٢ ط نهضة مصر ١٩٨٤م .

<u>الثالث</u>:- إن السورة من أولها إلى آخرها فى محاجة منكرى النبوة فكيف يلائمها القدح فى بعض أكابر الأنبياء بهذا الفسق القبيح .

<u>الرابع</u> :- إن الله تعالى وصف داود عليه السلام فى ابتداء القصة باوصاف حميدة وذلك ينافى ماذكروه فى الحكايه(*) ٣

*ويرى ابن حزم رحمه الله إنَّ القائلين بذلك كاذبون متعلقون بخرافات ولدها اليهود) [٢] ويظهر أن مفهوم النبوة كان مفهوما مضطربا فى العهد القديم فلقد استخدم دون تحفظ حتى إنه أطلق على أولئك الذين تكلموا باسم آلهة الوثنيين فلا فرق بينهم وبين المشعوزين والدجالين والمتنبئين ... ألخ ففى سفر أرميا قولهم (لاتسمعوا لكلام الذين يتنباؤن لكم فإنهم يجعلونكم باطلا يتكلمون برؤيا قلبهم لاعن فم الرب)ولذا يقول هيتون (إن مثل هذا التشهير بالأنبياءعليوقعنا فى أشد الحيرة مانعلم أن الفاظا مثل نبي ويتنبألها معانى واسعة فى العهد القديم)[٤]فان تعجب من قولهم هذا على الأنبياء فعجب قولهم وزعمهم على الله تعالى فالامر لديهم لايختلف فيه النبى عن غيره فكل له حق معرفة الغيب من يعبد العجل ومن يعبد غيره فعناصر الإلهام متعددة لديهم ففى أشعياء الكاهن والنبى ترنحا بالسكر ...)[٤]وكذا ينضم للخمر الوسيقى كعنصر من عناصر الإلهام فالنبى صموئيل يقول لشاول (ويكون عند مجيئك إلى هناك إلى المدينة أنك تصادف زمرة من الأنبياء نازلين من المرتفعة وأمامهم رباب ودف وناى وعود

---

* (١) راجع التفسير الكبير الرازى ص١٩١،١٩٠

(2) راجع الفصل ابن حزم ج(:ص١٨)

(٣) ٣النبوة والانبياء فى اليهودية والمسيحة والاسلام ص ط مكتبة وهبة

(4) اشعياء الاصحاح الثامن فقرة ٧

وهم يتنباؤن فيحل عليك روح الرب فتتنبا معهم وتتحول إلى رجل وإذا أتت هذه الآيـات علـيك فافعل ما وجدته يدك لأن الله معك)[١] الى اخر هذه السخفات وهـى فـى اصلها تبين اضطراب مفهوم النبى عند بنى اسرائيل أو فى العهد القديـم المحـرف والمبدل فمن يقول إن حزقيال وهو نبى عندهم يأكل الشعير لمـدة ٣٩٠ ثلاثمائة وتسعين يوما وقد نجسه ببراز الإنسان ليكون ذلك علامة وآية لبنى اسرائيل)[٢]وأعجب من هذا أن يصير أشعياءوهو نبى أيضا عندهم عـريانا لمـدة ثلاثة أعوام آيه وأعجوبة على مصر وعلى كوش ويشاركه فى العـرى شـاول الـذى يعدونه من الأنبياء)[٣]فلا عجب أن نجد أقوالا كاذبة قد امـتلابها كـتابهم المحـرف عن أنبياء الله تعالى ورسله الذين اصطفاهم الله وطهـرهم فـلا مكان للعصمة عندهم ولافصل بين النبى والدعى ولذا هان أمر المرسـلين فـى نظرهم فـنوح عليه السلام يشرب الخمر ويفرط حتى تنكشف عورته ولايبصر كلامه فليعن أحد ابنائه ويجعله عبدا وخادما لاخوته ؟[٤] وكذا القول فى لوط عليه السلام والذى يشرب الخمر حتى الثماله ويزنى بابنتيه [٥] وكذا ابراهيم عليه السلام يفقد حميته ويتاجر بعرضه[٦] وسليمان عليه السلام يعبد الأوثان من دون الله تعالى وهارون عليه السلام يصنع العجل ويأمر بنى اسرائيل بعبادته ٤

---

[١] صموئيل الاول الاصحاح العاشر الفقرة ٥-٧

[٢] حزقيال الاصحاح الرابع الفقرة ٩-١٥

[٣] صموئيل الأول ١٩ :٢٤

[٤] راجع سفر التكوين الاصحاح التاسع الفقرة ٢٠-٢٧

[٥] نفســه .

[٦] نفسه .

سيدنا سليمان عليه السلام :-

لقد نشأ سيدنا سليمان فى بيت النبوة وشب على تعاليم السماء فكان مستجاب الدعوة وقد أعطاه الله ملكا عظيما خص به إلى قيام الساعة فضلا عن شرف النبوة ولكنه مع شرف مقامه وعلو سلطانه لم يسلم من تقول السفهاء وأرباب الرجس فاتهموه باتهامات عديدة منها :-

قولهم فى معنى قوله تعالى (ووهبنا لدواد سليمان نعم العبدإنه أواب ۰ إذعرض عليه بالعشى الصافنات الجياد۰ فقال إنى أحببت حب الخير عن ذكر ربى حتى تورات بالحجاب ردوها علىفطفق مسحا بالسوق والأعناق ۰)[1]فلقد زعم هؤلاء القوم وعلى رأسهم الحشوية[2] إنه عليه السلام غزا أهل دمشق فأصاب ألف فرس فقعد يوما بعدما صلى الأولى على كرسيه واستعرضها . فلم تزل تعرض عليه حتى غفل عن صلاة العصر أو عن ورد كان له من الذكر وقت العشى حتى غربت الشمس وهو المراد بقوله

(١) سورة ص الآيات من ٣٣:٣٠

(٢) راجع عصمة الإنبياء – الرازى – ص ٧٨ وما بعدها ** الحشوية (بسكون الشين وفتحها) قوم تمسكوا بالظواهر فذهبوا الى التجسيم وغيرة وسموا بذلك لانهم كانوا فى حلقة الحسن البصرى فوجدهم يتكلمون كلاما فقال ردوها الى حشاء الحلقة ۰ فنسبوا الى الحشاء وقيل سموا بذلك لأن منهم المجسمة والجسم حشو فسموا بذلك على هذا القياس بالحشوية وقيل سموا بذلك لأنهم يطلقون الحشو على الدين المعجم الفلسفي – الحفنى ص ٩٩

(ردوها على ٠٠) ثم عقرها تقربا الى الله تعالى وهو المراد بقوله (فطفق مسحا بالسوق والاعناق)٠

والجواب على هذه الشبهة--: -

•-إنه من غير المناسب أن يأمر الله تعالى نبيه بالاقتداء بسليمان عليه السلام وهو مرتكب لما نهى الله عنه وعليهم أن يقرعوا الآيات مرة ثانية ٠

•-إنه تعالى وصف سليمان عليه السلام فى مقدمة الآية بأن الله تعالى وهبه لداودعليه السلام فى معرض الإكرام وذلك في قوله (نعم العبد) فأنة من أدل الدلائــل على أن من ابعد الأمور أن ينشغل بالدنيا عن ذكر الله وطاعته [١]

•-إن هذه خرافة موضوعة ومكذوبة وقد جمعت افُاتين من القول والظاهر أنها من اختراع زنديق بلا شك لان فيها معاقبة الخيل (لاذنب عليها) والتمثيل بــــها واتلاف مال منتفع به بلا معنى ونسبة تضييع الصلاة إلى نبي مرسل ثم يعاقب الخيل على ذنبة لاعلى ذنبها وهذا امر لايستجيزة صبى ابن سبع سنين فكيف بنبي مرسل [٢]).

•- إن ماقاله هؤلاء اختلاف وضلال فى حق سليمان عليه السلام والحق إن سليمان عليه السلام جلس على كرسيه بالعشي وأمر بإحضار الخيل لالحب الدنيا ولكن لما هو معقود بها من الخير فرباط الخيل كان مندوبا فى شرعهم كما هو مندوب في شرعنا

عصمة الانبياء ٠الرازى ص٨٠

(2) راجع الفصل -ج(٤)ص ٢٠

(ففى الحديث الشريف قوله عليه السلام (الخيل معقود فى نواصيها الخير إلى يوم القيامة)

أُخرجه البخارى فى صحيحة ك- الجهاد ب الخيل معقود فى نواصيها٠٠٠ رقم٢٦٣٨

فجلس جلوسه هذا لم يكن لحب الدنيا وانمالان الله تعالى أقره على ذلك فقال لانى أحببت حب الخير عن ذكر ربى أي أثرت حب الخير ولزومه لأن ربى أمر برباط الخيل ولم تصدر هذه المحبة الشديدة إلاعن أمره ومازالت تعرض عليه الخيل ... إلى أن غابت عن بصره ثم قال (ردوها على) أى أمر الرافضين أن يردوا الخيل عليه فلما عادت عليه طفق مسحا بالسوق والأعناق إبانة لعزتها لكونها من أعظم الأعوان فى دفع العدو أو لأنه أراد أن يبين عن نفسة انه فى السياسة وحفظ الدين والدنيا بحيث لايخفى عليه شيء من مصالحـــة.

أو لأنه كان أعلم بأحوال الخيل من غيره[١] فهو لم يلهو ولم يقتل الخيل غضبا عليها لما جرى عليه من أجلها واما للتصدق بها وهذا ضعيف جدا إذ لا دلالة للفظ عليه كما فى قوله(..و امسحوا برؤسكم) نعم لو قيل مسح السيف فسليمان عليه السلام أحب الخيل لحب الله لها فأخذ يستعرضها حتى توارت الشمس بالحجاب أو حتى توارت تلك الصافنات الجياد بحجابها ثم أمر بردها فطفق مسحا بسوقها واعناقها بيده برالها وإكراما لها[٢]

(١)راجع عصمة الأنبياء ص٨٠

راجع أيضا عصمة الأنبياء والشبه الموجه اليهم د/الحديدى ص ٣٨٤

(٢) المواقف –الموقف السادس ص ٢٧٤

الشبهة الثانية

افتتان سليمان عليه السلام وهو حاصل قوله تعالى (ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا ثم أناب) [١] ولقد ذكر المفسرون جملة من التفاسير حول فتنته عليه السلام منها

ما ذكره ابن جرير الطبري عن مجاهد – وخلاصة كلامه (أن شياطينا اسمه أصف تسلط على سليمان واخذ خاتمة وذلك عند سؤاله كيف تفتنون الناس فقال له أرني خاتمك أخبرك فلما أعطاه إياه نبذه في البحر فساح سليمان وذهب ملكه وقعد اصف على كرسيه ومنحة الله نساء سليمان فلم يقربهن قال فكان سليمان يستطعم الناس فيقول أتعرفونني ؟ أطعموني أنا سليمان فيكذبونه حتى أعطته امرأة يوما حوتا يطيب بطنه فوجد خاتمه في بطنه فرجع إليه ملكه فدخل البحر فارا)[*].

ولاشك ان هذه الرواية موضوعة قلبا وقالبا فسليمان عليه السلام وهو النبي كيف يدعو إلى الفتنة بين الناس وكيف يتأتى لاحد المسخرين له من قبل الله تعالى أن يخدعه وينزع منه ما وهبه الله إياه ثم إن جعل أمر الملك فى شان الخاتم أمر بعيد عن المعقول والمنقول ان هؤلاء لا يجدون إلا السخافات التى يعيش فيها أربابها فماذا لو خلع خاتمه هلا يذهب الملك عنه ؟وقد أورد الألوسى رحمه الله سببا آخر لنزع الخاتم من سليمان عليه السلام وافتتانه وهو أنه عليه السلام احتجب عن الناس ثلاثة أيام فأخذ الشيطان خاتمه من تحت فراشه وتسلط على ملكه وأخيرا أتى أهل سفينة فأعطوه حوتا فشقها فاذا هو بالخاتم فيها فتتحتم به ثم جاء فأخذ بناصيته فقال عند ذلك رب اغفر لى ...)[**] أر ايتم أكذوبة مثل هذه الأسطورة والتي تشبه الإسرائيليات وتحاكيها .

(١) سورة ص الآية (٢)

- جاء في جامع البيان(*) ما مفهومه أن سبب فتنته هو عدم قضائه للخصومة التى جرت بين أحد أقارب زوجته فابتلى وأعطاها خاتمه ودخل لحاجته فخرج الشيطان فى صورته واخذ الخاتم ومكث الشيطان يحكم أربعين يوما ، فهؤلاء يريدون نصر الشيطان وتهيئة المكانة الخاصة به وكان أمر الملك وليس أي ملك بيد الهوى والكيد ألا يكفى الشيطان اللعين أن يحكم في أنصاره انه يتطلع إلى سؤدد يفوق مرتبه الأنبياء فهو الأحق بالملك من هولاء ويعود بنا الأمر رويدا إلى ما ذكره بعض غلاة التصوف حول نجاة الشيطان .

- وقد جاء في غرائب القران(**) للنيسابورى أن سبب افتتان سليمان عليه السلام أنه أخذ تمثالا فى بيته فسقط الخاتم من يده فأخذه فأعاده إلى يده فسقط فلما رآه لا يثبت فى اليد أيقن بالفتنة فقال له آصف إنك لمفتون فقام آصف فى ملكه أربعة عشر يوما فذلك هو الجسد الذى ألقى على كرسيه فرد الله إليه ملكه وأثبت الخاتم فى يده .

والشاهد معنا هو اتفاق هذه الروايات على استقرار أمر الملك فى الخاتم وهذا أمر عجيب حيث انه لم يثبت عن الله تعالى ولاعن نبيه صلى الله عليه وسلم ما يدل على ان ملك سليمان عليه السلام كان مرتبطا بخاتمه . كما ان تمثل الشيطان بصورة الأنبياء أمر محال .ولو كان الأمر كذلك لترتب عليه محاذير عديدة وليس فى هذا المقام اقطع للريب من قوله عليه السلام (...ومن رانى في المنام فقد رانى فان الشيطان لا يتمثل بصورتي او لا يتخيل بى)(*)وهذا ممنوع فى الرؤيا المنامية فأولى به في اليقظة -وقد دلت الأحاديث الشريفة على ضعف الشيطان وأعوانه أمام الأنبياء فضلا عن عباد الله المخلصين فقد تسلط عفريت على النبى صلى الله عليه وسلم ليقطع عليه صلاته فربطه فى ساريه من سوارى المسجد لولا أنه تذكر دعوة سيدنا سليمان عليه السلام

(رب اغفرلى وهب لى ملكا لاينبغى لاحد من بعدى ٠٠)[١] الربطه حتى ينظر اليه الصحابة لكنه عليه السلام تركه تأدبا مع احيه سليمان عليه السلام فأى سلطان له على الأنبياء وصدق الله اذ يقول (٠٠إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون)[٢] فهذه مقاله مسترقة من الزنادقة٠

- من المعلوم أن الجن كانوا مسخرين له عليه السلام فكانوا يعملون له مايشاء من محاريب وتماثيل ٠٠٠٠فهذا الأمر كان جائزا عندهم ثم إنه لم يسجد لصنم قط ولم يجعله إلهاله من دون الله٠

وأما فنتنته على القول الراجح وما ورد فى الصحيحين ٠ جاءت من قوله عليه السلام (٠٠لأطوفن الليلة على سبعين امرأة تحمل كل امرأة فارسا يجاهد فى سبيل الله ولم يقل إن شاء الله فلم تحمل الا واحدة ولدت بشق غلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو قال إن شاء الله لم يحنث وكان دركا له فى حاجته)[٣] فالجسد هوشق الغلام الذى ولد له وإلقاؤه على كرسيه هو وضع القابلة له عليه ليراه والعدد فى الحديث بالنسبة له يبدا من قوله هذه الليلة او أنه لاعبرة له والمراد عدد كثير من نسائه بحسب طاقته ووقته وأما قوله رب اغفرلى ٠٠٠٠) فهذا مقام العبد من سيده وأما طلبه الملك فحمول على عند العلماء على أداء حقوق الله تعالى وسياسة ملكه وترتيب منازل خلقه وإقا مة

حدوده والمحافظة على رسومه ٠٠٠٠)وطلبه هذا يعد معجزة له حيث يفوق ملكه ملك ملوك النيا فهذا ليس من قبيل الحسد ولايعد ذنبا فان كل معجز لنبي إنما كان من جنس ما يفتخر به أهل زمانه وكان مما افتخر وا به الملك فلا جرم طلب مملكة فائقة على جميع الممالك لتكون معجزة له فقوله (لاينبغى لأحد من بعدى ٠٠)أي لاينتقل عنى إلى غيري " وحاصلة القناعة التامة بعطاء الله ليعلم أن زخارف الدينا لاتمنع من خدمة المولى عز وجل ٠ ٠

لـم يسلم رسولنا صلى الله عليه وسلم من تقول وافتراءات السفهاء ولذا كـان عزاء الله تعالى له بقوله (ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك ٠٠٠٠٠)[1]فلقـد فهم قصار النظر بعض آيات القرآن الكريم على ظاهرها فرموا النبى صلى الله عليه وسلم بالعصيان وفعل للوبقات ولكن كذبوا والله فمـا كـان رسولنا إلارحمة للعالمين صلى الله عليه وسلم ٠واليك بعض مارمى به هؤلاء الافاكون رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم٠

الآية الاولى :- وهى قوله تعالى (ما كان لنبى ان يكون له اسرى حتى يثخن فى الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة٠٠٠٠)[2]

*ظن بعض الجهال أن الآية تفيد عصيان النبى لله تعالى بدليل المعتابة الشديدة والأمر خلاف ذلك ٠وذلك أن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم استشار أصحابه عقب نصر الله له يوم بدر (٢هـ السابع عشر من رمضان)فـى شـأن أسرى بدر فأشار بعضهم بالعفو عنهم ومنهم سيدنا أبو بكر رضـى الله عنه (بقوله يارسول الله هؤلاء هم بنو العم والعشيرة أرى أن تـأخذ منهم فدية فتكون قوة لنا على الكفار وعسى الله أن يهديهم للإسلام

---

[1] سورة فصلت الآية (٤٣)٠

[2] سورة الانفال الآية (٦٧)٠

٠وأشـــار عمـــر بـــن الخطـــاب رضى الله عنه بقتلهم قائلا أرى أن تمكنا فنضـــرب أعناقهم فتمكن عليا من عقيل وتمكنني من فلان قريب عمر فاضرب عنقه ٠٠٠فهؤلاء أئمة الكفر وصنديدها)[١]فنزل الرسول صلى الله عليه وسلم على رأى الأكثرين وعفا عنهم فنزل قول الله تعالى (ماكان لنبى أن يكون له اسرى ٠٠٠٠[٢])فهذه المشاورة فى حد ذاتها أكبر دليل على بـــراءته صـــلى الله عليه وسلم لأنه عليه السلام لايشاور أصحابه فى أمر قضـــاه الله تعالى وإلا لما ترك الأمر لأصحابه يبدون فيه آراءهم فدل هذا الأمـــر علـــى أنـــه لم يكن هناك حكم حاسم فى المسألة قبلا وإن كان فى المســـألة أمر الهى فيكون الرسول قد اتصف بالخيانة وهى محالة فى حقه علـــيه السلام،وقد مر بنا الكلام على اثبات التبليغ وغيره من الصفات فى حـــق الأنبـــياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومن المعروف كما يرى الإمـــام الألوسى فى هذه الآية (إنه لااجتهاد مع النص)[٣] فنقول إن هذا العتاب من الله تعالى لنبيه ولاصحابه الابرار كان بقصد التعليم والتنبيه الى الأخذ بالاكمل والافضل والتريث فى مثل هذ ه الأمور ٠

٠ ثم إنه يجب أن ينظر إليه على أنه عتاب المحب لحبيبه رفعا لمنزلته وإعلاء لكلمته ومكانته ٠والآية ليست مسوقة لمجرد العتاب ومؤسسةلحكم

---

[١]أخرجه مسلم(ك الجهاد والسير ب(الامداد بالملائكة فى غزوة بدر وإباحة الغنائم)ح ٣٣٠٩

[٢]سورة الانفال الآية (٦)

[٣]روح المعانى ج(٩٩) ص(٣٤)٠

تشـــريعى يتعلق بالأسرى فجاء الأمر مشبعا بروح العتاب الإلهى لنبينا م
حيـــث إنـــه القدوة للأمة جمعاء وهذا كله من باب حسنات الأبرار سئيا
المقربيـــن *[١]. يقول ابن عباس رضى الله عنه (... كان المسلمو
يـــوم بدر قليلون فلما كثروا واشتد سلطانهم أنزل الله فى الأسارى (فإ
منا بعد وإما فداء) فجعل الله النبى والمومنين فى أمر الأسرى بالخيار إ
شاءوا قتلوهم ،وإن شاءوا استعبدوهم وإن شاءوا فادوهم ...ثم إن ا
عـــزوجل سبقت حكمته ألا يؤاخذ المؤمنين على ما وقع منهم خطا بطري
الاجـــتهاد لذلك أعقبها بقوله (لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذ
عـــذاب عظيم)[(٢)١]وقيل معناه أى لولا حكم من الله تعالى سبق فى اللو
المحفـــوظ وهـــو أن لايعذب قوما قبل تقديم ما يبين لهم أمرا ونهيا.وق
معناه (لايعذب الله أهل بدر رضى الله عنهم لأنه سبق ذلك فى كتابه .وا
قولـــه تعالى (.... تريدون عرض الدنيا ...)يقول القاضى عبد الجب
رحمـــه الله (إنـــه لـــم يصف ذلك الله الرسول صلى الله عليه وسلم ع
الحقـــيقة حتى يلزم ما ذكرتم وإنما نسبته إلى غيره ممن كان بغيته الغ
وقـــد يصـــح أيضا من الأنبياء :إرادة عرض الدنيا من المباحات وإن ك
تعـــالى يـــريدالطاعات ومعـــنى قولـــه تعـــالى (لـــولا كتاب من الله س

---

[١]* راجع قضايا النبوات . ا.د / محمود بركات ص ٢٤٦

[٢]راجع النبوة والأنبياء ص.٦٠والآية رقم (٦٨)من سورة الأنفال .

. . . .)فالمــراد ماكتبه الله تعالى فى اللوح المحفوظمن كون ما وقع من بــاب الصغائر المغفورة .وقيل معناه (لولا كتاب سبق نزوله ما احدثتموه مــن الأسـرى . والكتاب هو القران فامنتم به واستحققتم بالايمان غفران صغائر ذنوبكم لمسكم فيما أخذتم من الأمر عذاب عظيم[٢]

الأمر الثانى :- ويتعلق بقوله تعالى (فإن كنت فى شك مما أُنزلنا اليك فسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممتريــن)*قــال هؤلاء السفهاء إن محمدا كان شاكا فيما أُوحى إليه ولم على يقين ممايوحى اليه وقد أُجيب عليها بوجوه منها :-

:-إن هــذا الكــلام جــرى على سبيل الفرض والتقدير كما هو عادة العــربفى تقديرهم الشك ليبنوا عليه اليقين والمعنى (إن وقع منك شك فرضــا وتقديــرا فــيما قصصــنا عليك من أَخبار الأَنبياء السابقين كنوح وابراهيم . . .الخ فاسأل علماء الكلام الذين يقرؤن الكتاب من قبلك فإنهم علــى علم بذلك فالغرض وصف الأخبار بالعلم لا وصف النبى بالشك وهذا الأسـلوب معــروف فــى العربيةّ وضرب به المثل (إياك أُعنى واسمعى ياجــارة)[٢] ولــذا لما نزلت هذه الآية قال الرسول الكريم صلى الله عليه

---

[٢] راجع تنزيه القران عن المطاعن ص ٦٤٧ . *سورة يونس الآية (٩٤)

[٢] راجع التفسير الكبير الرازى ج(١٧) ص ١٦٧ .

وسلم (لاأشك ولاأسأل)ويؤيده قوله تعالى (قل ياأيها الناس إن كنتم ف
شك من دينى)[٤]

*إن الخطـاب المـراد به هؤلاء الشاكون فى دينهم والمعنى أيها الإنسا
المذبـب الشاك إن كان حالك كذلك فسل الأكابر من العلماء من أهل الكتا
وغـيرهم ممـن هم على دراية بوحى السماء الحق مثل عبد الله بن سلا
وسـلمان الفارسـى وغيرهمالاالمعاندين مـنهم فيشـهدون على صدق
ويخـبرونك بنـبوته ٠٠٠٠٠٠)[١]ولقد كان أرباب الكتب السماوية مم
سـمعوا بمحمد صلى الله عليه وسلم يأتون إليه ليعلنوا إسلامهم وذلك م
خـلال ما عاينوه من صفات موجودة فى كتبهم عرفوا منها من هو محمد
الرسول ولقد طبق سلمان الفارسىرضى الله عنه ذلك على النبى نفسه(
وكانـت الدلائـل النبوية سلما لإيمانه رضى الله عنه٠ ولقد كانت قريش
تسـتعين بـأهل الكـتاب فى مواجهة محمدا ورسالته فكانوا يسالونه عن
الـروح ٠[٢]٠٠٠٠٠٠الخ فمن أين تطرق الشك إلى رسولنا الكريم صلى
الله علـيه وسـلم٠ يقـول القاضى عبد الجبار المراد(من شك على وج
الزجـر أو قال ذلك لأهل الكتاب الذين يجوزوا أن يسالهم غيرهم عما ف
الكتب عن تصديق محمد صللى الله عليه وسلم ٠كما أنه لادلالة للشرطي

---

(٤) سورة يونس الآيه(١٠٤)

(١) راجع تأويل مشكل القران ص ٢٧٤

(*)راجع قصة إسلام سلمان الفارسى رضى الله عنه٠

(٢) راجع صحيح البخارى ك تفسير القران ب(ويسالونك عن الروح)ح ٤٣٥٢

على وقوع الشك منه عليه السلام بدليل قولك إذا كانت الخمسة زوجا كانت منقســمة بمتساويين كان كلاما صحيحا لأنَّ معناه إن كونها زوجا يستلزم كونها منقسمة إلى متساويين[٣] ولكن لادلالة لهذا كله .

وعصارة القول أنه لو حصل هذا لكان الواجب هو هذا السؤال لأهل الكتاب والســر فــى هــذا الخطــاب كما يرى الإمام الفخر الرازى تكثير الدلائل وتقويتها لتزداد قوة اليقين وطمأنينة القلب ..)[١]

أيضــا:-من الوجوه التى ذكرها العلماء الكرام فى قوله (فإن كنت فى شك ممــا أنزلــنا اليك ....الخ)تأويل إن بمعنى ما النافية والمعنى ما كنت شــاكا فــى شى فلا نأمرك بالسؤال لأنك شاك فى قضية الوحى بل لتزداد يقينا كما ازداد ابراهيم عليه السلام يقينا بمعاينة إحياء الموتى [١]

---

[3] راجع النبوة والأنبياء ص٩٢

[1] التفسير الكبير الرازى (ج ١٧) ص ١٦٨

[1] ** قضايا النبوات ص ٢٢٢

الامـــر الثلث :- زواجه عليه الصلاة والسلام من زينب بنت جحش رضـــى الله عـــنهايقول الله تعالى (وإذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه امسك عليك زوجك واتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الـــناس والله أحـــق أن تخشـــاه فلما قضى زيد منها وطرا زوجنكاها لكى لايكـــون علـــى المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا وكـــان أمـــر الله مفعولا)[٢]فالاتفاق قائم على حول عدد من المسائل التى جـــاءت فـــى هذه الاية الكريمة فزيد كما نعلم هو مولى الرسول صلى الله علـــيه وسلم وهبته السيدة خديجة رضى الله عنها للنبى ولما شب أنعم الله عليه بالاسلام ورفض العودة إلى ديار أهله وكان يدعى زيد بن محمد فأنعم عليه النبى بالرعاية والعتق وتزوج من السيدة زينب رضى الله عنها ابنة عـــم النـــبى وبدا زيد يشتكى زينب ويريد طلاقها لكن النبى يرده ويقول له أمسك عليك زوجك واتق الله حتى نفذ الصبر وطلقها زيد فزوجها الله النبى لـــيقطع دابـــر التقلـــيد الجـــاهلى فيما يعرف بالتبنى وقد كانت من عادات الجاهلية والتى تسوى الأصلاب من الأبناء مع الادعياء ناهيك عن المحاذير الشـــرعية الأخـــرى الـــتى تنتهك تحت ستار التبنى وكان قد أخبر المولى عزوجل أنه مزوجه زينب فلم يبدالنبى هذا الكلام لزيد ولالغيره استحياء أن يخبر زيدا أن التى تحتك وفى نكاحك ستكون زوجتى) ومن هنا كان العتاب الإلهى على الإخفاء لاعلى أمر الزواج والعشق كما تروى الروايات الواهية

---

(٢) سورة الاحزاب الآية ٣٧

والامـــر كما نعلم ليس مسالة الزواج فحسب ولكن المستشرقين لهم رأى أخـــر فـــى هذه الزيجة فنسجوا حولها الأكاذيب ورموا النبى الكريم العزيز بصـــفات ســـيئة هـــو منها براء معتمدين على روايات ماأنزل الله بها من سلطان وهى روايات لابن اسحاق والطبرى وفحوى هذه الروايات انه عليه السلام وحاشاه أعجب بزينب وهى امرأة متزوجة من احد مواليه .لماراها كاشفة عن محاسنها فسعى لطلاقهامن زيد فأخفى حبه وعشقه لها .ولندع الروايات تحدثنا بشى من التفصيل :-

وإلـــيك رواية الطبرى والتى تقول (جاء رسول الله إلى بيت زيد بن حارثـــة وكـــان زيد انما يقال زيد بن مجمد ربما فقده رسول الله صلى الله عليه وسلم الساعة فيقول اين زيد ؟فجاء يطلب منزله فلم يجده .
وقامـــت زينـــب بنت جحش زوجته فضلا (أى تلبس ثوبا واحدا)فاعرض عـــنها رســـول الله صلى الله عليه وسلم فقال ليس هو ههنا يارسول الله .فـــادخل بـــأبى أنـــت وأمى فابى رسول الله أن يدخل (وفى الرواية الثانية للطـــبرى وعلى الباب ستر من شعر فرفعت الريح الستر فانكشفت وهى فى حجرتها حاسرة فوقع اعجابها فى قلب النبى صلى الله عليه وسلم).
وانمـــا عجلـــت زينب أن تلبس إذ قيل لها رسول الله صلى الله عليه وسلم على الباب فوثبت عجلة .فأعجبت رسول الله صلى الله عليه وسلم .
فولـــى وهـــو يهمهـــم بشى لايكاد يفهم إلاانه أعلن :سبحان الله العظيم .
ســـبحان الله مصـــرف القلـــوب. فجاء زيد إلى منزله فأخبرته امرأته أن

رسول الله اتى منزله فقال زيد ألاقلت له أدخل فقالت قد عرضت عليه ذلك فأبى . قال افسمعيته يقول شيئا ؟فقالت سمعته يقول حين ولى سبحان الله العظيم سبحان الله مصرف القلوب . فخرج زيد حتى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ،بلغنى إنك جئت إلى منزلى فهلا دخلت بابى أنت وأمى يارسول الله لعل زينب أعجبتك فأفارقها ؟فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :أمسك عليك زوجك . فما استطاع زيد إليها سبيلا بعد ذلك اليوم . فكان يأتى رسول الله فيخبره فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك عليك زوجك . ففارقها زيد واعتزلها ،فحلت .[1]

---

[1] تاريخ الطبرى ج(٢) ص ٥٦٢،٥٦٣

** حقائق معلومه **

-: ان الــروايات الــتى تحدثــت عــن العشق المزعوم كلها من الاســرائيليات الــتى دست فى كتب التفسيروالتى يناقض بعضها بعضا وبدلــيل ان ابن هشام قام بحذف بعض الروايات فى سيرة ابن اسحاق قــائلا(وتارك بعض ماذكر ابن اسحق فى هذا الكتاب مما ليس لرسول الله فــيه ذكــر واشياء بعضها يشنع الحديث به وبعضها يسوء بعض الناس ذكره)فالظاهر ان ابن اسحاق ماكان يدقق فى نقله لتلك الروايات بحيــث يفصلها عن غيرها فروى الخطيب ص ٢٢٩- ٢٣٠ وابن سيد الــناس وابــن حجر أن أحمد بن حنبل ذكر محمد بن اسحاق فقال كان رجــلا يشــتهى الحديث فيأُخذ كتب الناس فيضعهافى كتبه ٠٠٠سألت احمــد بن حنبل فقلت ياأبا عبد الله إذا تفرد ابن اسحاق بحديث تقبله ؟قال لا والله اننى رأيته يحدث عن الجماعة بالحديث الواحد ،ولا يفصل كــلام ذا مــن كلام ذا)وهكذا نلاحظ قصورا فى النقل والتمحيص ومع إجلالنا لشيخ المؤرخين رحمه الله إلاأن ذلك كان مدخلا لأرباب السوء ليتقولوا على الاسلام ورسول الإسلام من خلال أقوال أهله .[١]

أمــا ماذكــره الطبرى رحمه الله وهو مؤرخ له وزنه ففيه وجوه عديدةوذلك لأنه قد عاش فى فترة كثرت فيها الأكاذيب وقد أكد ذلك ابن

---

[١] تعدد نساء الأنبياء ومكانة المرأة فى اليهودية والمسيحية والاسلام لأحمد عبد الوهاب ص ٧٠ وما بعدها

جرير فى مقدمة تاريخه (ليعلم الناظر فى كتابنا هذا أن اعتمادى فى كل ما احضرت ذكره فيه مما شرطت الى رسمه فيه إنما هو ما رويت من الأخبار التى أنا ذاكرها والآثار التى أنا مسندها إلى رواتها فيه دون ما أدرك بحجج العقول ،واستنبط بفكر النفوس إلا اليسير القليل منه إذ كان العلم بما كان من أخبار الماضين وما هو كائن من أنباء المحدثين غير واصل إلى من لم يشاهدهم ولم يدرك زمانهم إلا باخبار المخبرين ونقل الناقليـــن دون الاستخراج بالعقول والاستباط بفكر النفوس فما يكن من كـــتابى هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارؤه او يستشـــنعه سامعه من اجل انه لم يعرف له وجها من الصحة ولامعنى من الحقيقه فليعلم أنه لم يؤت فى ذلك من قبلنا وإنما اتى من قبل بعض ناقليه إلينا ،وإنما أدينا ذلك على نحو ماأدى إلينا) فهذه شهادة صدق من الطبرى عن نفسه وعن رواياته ولايحتاج الأمر منا إلى تعليق ؟[1]

من الأمـــور الواضحة والتى ترد تلك الرواية وغيرها أن عليه الصـــلاة والسلام كان يكبر زينب بنحو عشرين عاما فأُتى له بها وهو يعـــرفها جـــيدا وهو الذى خطبها لزيد فلو كان يريدها لنفسه مازوجها لزيد ولما أخذ يرد زيدا مرة تلو مرة ثم كيف يقع جمالها فى قلبه فجاة وهى معروفة منه جيدالأنها ابنة عمه فمن كان يمنعها منه ؟وكيف يقدم إنسان امرأة لشخص وهى بكر حتى إذا تزوجها وصارت ثيبا رغب فيها

---

(1) المرجع السابق ص٦٥

؟ كما علمنا ، فالذى أخفاه الرسول ليس هو الحب المزعوم وإنما ماوأحَى الله إليه من أمر الزواج بها لحكمه عظيمة وهى إبطال مبدأ كان معمولا به فى الجاهلية ومشهورا عند العرب هو تحريم زواج امراة الأبن من التبنى كتحريمها إذا كان الأبن من النسب (لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج ادعيائهم إذا قضوا منهن وطرا) وقد خشى الرسول من كلام المنافقين أن يقولواإن محمداتزوج امرأة ابنه من التبنى ؟[1]إلى جانب هذا ينبغى أن يؤخذ فى الاعتبار .أن هذالم يكن حتىهذا الوقت بنص صريح ولكنه كان أمام إلهام يجده فى نفسه ويتوجس من مواجهته ومواجهة الناس به ويكررالقول على زيد أمسك عليك زوجك واتق الله حتى أذن الله بحصول هذا الأمر وطلق زيد زينب وهما لايعلمان ما الله فاعله برسوله ثم كان الشرع العملى فىزوجناكها)[2]

ثم لاينبغى أن نتجاهل ظروف زواج زينب رضى الله عنها من زيد فقد استحالت العشرة بينهما فقدكانت زينب من شرفاء القوم وزيد مايزال يتذكر عبوديته السالفة والتى محاها الإسلام وجعل التقوى أساسا للتفاضل بين الأجناس المختلفة فخضعت زينب للأمربعد توقفها عنه هى وأخيها إلى أن اتضح الامر لهما أن الزواج من زيد أمر حتمى

---

[1] راجع النبوة والانبياء ص ٩٥

[2] راجع فى ظلال القران المرحوم/سيد قطب .

قضـــاه الله تعـــالى والذى قال (وما كان لمؤمن ولامؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقــد ضل ضلالا مبينا) وهذه الأسباب تعضد الوقف فى طلاق زينب ولم يكــن ثمه علاقة سابقة للنبى صلى الله عليه وسلم مع زينب رضى الله عنها وحاشاه (**)

**ونعــود لنذكر أن الذى أخفاه النبى فى نفسه هو تأذيه من هذا الزواج المفروض وتراخيه فى تنفيذه وخوفه من الناس عندما يجدون نظـــام التبنى الذى ألفوه قدانهار وقد افهم الله نبيه أن أمره لايجب أن يوقفه توهم شى ما وأنه لامفر من السمع والطاعة شأن من سبقه من المرســـلين [2]وفى هذا يقول ربنا عزشأنه (ماكان على النبى من حرج فيما فرض الله له سنة الله فى الذين خلوا من قبل ٠٠٠٠)[3]والله أعلم

(**) راجع التفسير الواضح للشيخ الحجازى ج٢٢ ص١٢

(2) راجع قضايا النبوات ص ٢٣٧وما بعدها

(3) سورة الاحزاب الآية(٣٨)

قصة الغرانيق وابطالها

من الشبه التي تمسك بها أعداء الإسلام وتابعهم عليها جملة من المستشرقين قولهم ان ظاهر اية سورة الحج وهى قوله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فيسنخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم)[١] فالشيطان يلقى إلى الإنبياء ما يريد فلا ثقة بقولهم ومن ثم فقد ذكر الرسول آلهة المشركين بخير وذلك تفصيله مايلى :-أنه عليه السلام لما شق عليه مباعدة قومه فتمنى فى نفسه أن يأتيه من الله تعالى ما بقى أرب بينه وبين قومه ٠٠٠فجلس ذات يوم فى ناد من أندية قريش كثير أهله وأحب يومئذ أن لاياتيه شي من الله فينفروا عنه وتمنى ذلك فأنزل الله تعالى (والنجم إذا هوى٠٠٠٠)فقرأها النبى حتى بلغ(افر أيتم اللات والعزى ٠)ألقى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجي ٠٠٠)فلما سمعت قريش ذلك فرحوا ومضى النبي صلى الله عليه وسلم فى قراءته فقرا السورة كلها وسجد فى آخرها وسجد جميع من فى المسجد من المشركين ٠ فلم يبق فى المسجد مؤمن ولا كافر إلا سجد إلا الوليد ابن المغيرة وأبو احيحة سعيد بن العاص فإنهما أخذا حفنة

[١] سورة الحج الاية (٥٢)٠

من البطحاء ورفعاها الى جبهتهما وسجدا عليها لانهما كانا شيخيين كبيرين فلم يستطيعا السجود وتفرقت قريش وقد سرهم ما سمعوا وقالوا قد ذكر محمد الهتنا باحسن الذكر . فلما امسى اتاه جبريل عليه السلام وقال ماذا صنعت ؟تلوت على الناس ما لم اتك به عن الله ، وقلت مالم اقل لك فحزن رسول الله صلى اللله عليه وسلم حزنا شديدا وخاف خوفا شديدا من الله فانزل الله هذه الآية ...)[1]فهذه الرواية الواهية عقلا ونقلا ...الخ لانها تخل بشرف العصمة للأنبياء وهى تريد أن تقول إنه لاعبرة بوحى السماء ولا صدق فى أقوال الانبياء الذين يتقولون على الله تعالى. كما انها تصفه عليه السلام بالخداع لدينه ولقومه وحاشاه وليس ذلك وفقط فهى تريد مساواة الكفر بالايمان فكفار مكة كانوا مؤمنين ومن ثمة فلا فائدة فى تمسك الرسول طيلة الوقت بصدده عن قريش إلى آخر هذه الاحترازات الباطلة والتى تصور الأنبياء بصورة الدجالين وإليك ماذكره الائمة والعلماء الكرام حول هذه الآية .

(١) راجع عصمة الأنبياء – الرازى ص ٨٨،٨٩

اولا :/ يقول عنه القاضى عياض إن هذا حديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة ولارواه أحد من بسند متصل وإنما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون .[١]
وروايه البزار المتصله فبها ضعف .

ثانيا :- أنه لاصحة لعودة بعض مهاجرى الحبشة إلى ديارهم بعد هذه الحادثة الموضوعة وانما كان لاسلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه دور فى عودة المسلمين الى مكة وذلك لجهره رضى الله عنه باسلامه وصلاته عند الكعبة دون خوف من سلطان قريش وهدد بقتل من يريدون إيذاء المسلمين هنالك أدركت قريش ان ما تنال به محمدا من الاذى يوشك ان يثير حربا اهلية لايعرف احد مداها ولاعلى من تدور دائراتها ٠٠٠٠٠وإلى أن تتفق قريش على هذه الوسيلة (المحاربة) هادنت المسلمين فلم تنل أحدا منهم بأذى وهذا ما اتصل بالمهاجرين الى الحبشة ودعاهم إلى التفكير فى العودة إلى مكة .[٢] إلى جانب اندلاع الثورة الدامية ضد النجاشىوذلك نظرا لتعاطفه مع المسلمين وقد ذكر ابن كثير رحمه الله ان كل الطرق المذ كورة فى الرواية مرسلة ومنقطعة .)[٣]

ثالثا :- ذكرالإمام القسطلانى رحمه الله أن هذه القصة من وضع الزنادقة .

[١] الشفا ج ٢ ص ١١٧
[٢] حياة محمد صلى الله عليه وسلم ص ١٤٢وما بعدها
[٣] راجع تفسير القران العظيم – ابن كثير الجزء الثالث ٠ ص ٢٣٠ ٠ راجع عصمة الانبياء

رابعا ٠- إن اصحاب السند الصحيح كالبخارى ومسلم لم يذكروا هذه القصة مما يستانس به فى ردها وقد ذكروا فقط سجود النبى عليه السلام عند قراءته لاواخر السورة وهى قوله (فاسجدوا لله واعبدوا ٠٠)وكذا ذكره ابن كثير ٠

*يقول الشيخ محمد الغزالى كانت(روعة الحق قد صدعت العناد فى نفوس المستكبرين والمستهزئين فما تمالكوا ان يخروا لله ساجدين مع غيرهم من المسلمين ٠ فلما نكسوا على رؤوسهم وأحبوا أن يعتذروا عنه بانهم ما سجدوا مع محمد صلى الله عليه وسلم إلا لأن محمدا صلى الله عليه وسلم عطف على اصنامهم بكلمة تقدير (وهى قولهم تلك الغرانيق العلا٠٠٠)يقول رحمه الله والاقرب انها لم ترو بسند معتبر عن صحابى بل كل طرقها مرسلة لايدرى من الذى حدث بها ممن يمكن ان يدرك عصر النبوة والرسالة ٠٠)٠[1]

خامسا:- إن اضطراب النقل فيها للمتن يدل دلالة واضحة على انها من الموضوعات فالقاضى عياض يحكى عن القاضى بكر بن العلاء قوله بضعف نقلت٠٠٠٠الخ٠ فقائل يقول (إنه فى الصلاة ، وآخر بقول إنه قالها فى نادى قومه ٠٠وآخر بقول إنه قالها وقد أصابته سنة ، وأخر يقول بل حدث بها نفسه فسها ٠واخر يقول إن الشيطان قالها على لسانه ٠٠واخر يقول ان الشيطان أعلمهم أن الرسول قراها ، فلما بلغ ذلك قال والله ما هكذا أنزلت ٠)[2]٠الخ ٠

فقه السيرة – محمد الغزالى ص ١٢٠ وما بعدها ط- دار الكتب الاسلامية ١٩٨٢

(عصمة الانبياء - ص ٥

والشاهد معنا أن تضارب الأقوال حول القائل ووقت القول،ليقطع طرفا بأن الروايه واهية ولاأصل لها،فالاضطراب كما هو معروف لدى أرباب الحديث موجب لضعف الحديث لأشعاره بعدم ضبط الراوي ومن شروط الصحة أن يكون الراوى ضابطا وإذا كانت روايةَ الطبرى تثبت هذه الرواية فهي إذا من الشاذ فرواية البخاري لم تشر إليها وهو ثقة ومع التسليم بأن رواية الطبري ثقات فرواة البخاري أوثق منهم فيكون الحديث شاذا لا يحتج به بالإضافة إلى اضطرابه وبهذا يسقط حديث الغرانيق سندا ومتنا .[١]

خامسا:- تعدد الآيات القرآنية والتى تثبت علو مقام النبوة عن مثل هذه الأشياء فما يكون للرسول ان يميل مع الغاوين فهو المعصوم والمؤيد من الله تعالى وفى هذا المقام نرى الحق تبارك وتعالى يذكر قوله (وإن كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا اليك لتفترى علينا غيره وإذا لاتخذوك خليلا * ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا *إذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لاتجد لك علينا نصيرا)[٢] فمفهوم هذه الاية" أن الله تعالى عصم نبيه من أن يفترى وثبته حتى لم يركن اليهم قليلا فكيف كثيرا وهم يرون فى أخبارهم الواهية انه زاد على الركون والافتراء بمدح الهتهم ....وهو ضد الآية الكريمة وهى تضعف الحديث لوصح ولاصحة له .) [٣] ومن شاكلة هذه الآية قوله تعالى (ولو تقول علينا

(١) راجع عصمة الأنبياء . د/محمد ابو النور الحديدي ص٤١٩ ط الأمانة ١٩٧٩م
(٢) سورة الاسراء الايات ٧٣، ٧٤، ٧٥
(٣) عصمة الانبياء ص ٥٣

بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من احد عنه حاجزين ٠٠٠)[١]

يقول ابن كثير رحمه الله (لو كان محمد صلى الله عليه وسلم -كما يزعمون مفتريا علينا فزاد فى الرساله اونقص منها او قال شيئا من عند نفسه فنسبها الينا وليس كذلك لعاجلناه بالعقوبة وما يقدر أحد منكم على ان يحجز بيننا وبينه إذا أردنا به شيئا من ذلك ٠)[٢] وفى هذه السورة التى معنا وهى سورة النجم حيث تطالعنا باياتها الاولى بالقسم الإلهى على نزاهة مقام الرساله عن الكذب والافتراء فيقول الحق تبارك وتعالى فيها (والنجم اذا هوى* ما ضل صاحبكم وما غوى* وما ينطق عن الهوى* إن هو إلا وحى يوحى٠٠٠)[٣]فالنبى عليه السلام لم ينطق بمثل هذه الأشياء لاعمدا لأنه كفر صريح ولم يتكلم بها جبرا من الشيطان بحيث يجبرها على لسانه وذلك ممتنع لأنه لاسلطان له على أولياء الرحمن المخلصين فضلا عن الأنبياء ولم تصدر عنه سهوا إذا لو جاز ذلك لأدى إلى عدم الوثوقف به وذلك يبطل الشرائع ٠كما أنه عليه السلام لم يجرب عليه أحد كذبا قط ، فكيف يقول على الله تعالى ما لم يقله وكيف وهو القائل (والله لو وضعو الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن اترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو اهلك دونه) فهل وهو الصلب فى الحق الذى لايداجى فيه يعقل أن يقول على الله ما لم يوحى

(١) سورة الحاقة الآيات ٤٤ الى ٤٧
(٢) مختصر تفسير ابن كثير ت/محمد الصابونى ج٣ ص ٥٤٦
(٣) سورة النجم الآيات ١الى ٤ •

إليه ويقله لينقض أساس الدين وهو التوحيد الذى بعث به هدى وبشرى للعالمين[٤]. فما كان له عليه السلام ان يقبل وجهه تجاها أو أن يدعو لها لأن هذا من دواعى نقض رسالته .

سابعا :-إن سياق السورة يأبى صحة هذه الرواية فان الله تعالى يقول (أفرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذا قسمة ضيزى إن هى إلا أسماء سميتموها أنتم وأباؤكم ماأنزل الله بها من سلطان)[١]فهذه الآيات تعيب الآلهة وتذمها فليس معقولا أن ينسب الله إليها الشفاعة إلى يوم القيامة

ثامنا :-إن تشبيه الآلهة بالغرانيق لم يرد فى شعر العرب ولا فى نثرهم ولم يجر على ألسنتهم وقد ورد فى اللغة الغرنوق والغرنيق :طائر جميل طويل القوائم أبيض أوأسود أو الكركى أو الشاب الأبيض الناعم الجميل ولاشئ من ذلك يلائم معنى الآيه أو وصف الالهة عند العرب فالقصة إذا لاأساس لها [٢].

ثامنا :- إن الزنادقة لم يتحروا الدقة حتى فى وضعهم وتقولهم ولذا رويت هذه القصة بروايات متعارضة متضاربة فرواها بعضهم الغرانقة العلاوإن شفاعتهن ترتجى ،، وآخرون إن شفاعتهن ترتجى من غير ذكر الغرانقه ،،وأخرون وإنها

(4) حياة محمد ص ١٤٥

(1) سورة النجم الايات ١٩إلى ٢٣

(2) راجع حياة محمد ص١٤٦

لهى الغرانيق العلا أو :إنهن لهن الغرانيق العلا –وإن شفاعتهن لهى التى ترتجى
وهذا التغيير يدل على ضعف الرواية وعدم صحتها.

تاسعا :–منع الشيطان من أصل الالقاء أولى من تمكن الشيطان من الإلقاء ثم نسخه فاذا اراد الله احكام الايات لئلا يلتبس ما ليس قرانا بقران فبان يمنع الشيطان من ذلك أصلا أولى.

عاشرا :–إن عودة بعض المهاجرين إلى الحبشة فى هذا الوقت لم يكن لهذا السبب كما يدعون وانما كان لاسلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه والذى اعز الله الإسلام به ناهيك عن قيام حركات مناهضة للنجاشى ملك الحبشة وقتئذ.

حادى عشر:–هناك من حاول تأويل هذا الأمر ومع اعترافنا بوضع هذه الرواية فانا نذكر هذا التأويل على سبيل الاستئناس وقد أورده العلامة الرازى وهو أن المتكلم بذلك بعض الكفرة فانهى عليه السلام لما انتهى من قراءة هذه السورة الى الموضع وذكر أسماء الهتهم وقد علموا من عادته أنه يعيبها فقال بعض من حضر من الكفار تلك الغرانيق العلا فاشتبه الأمر على القوم لأنهم كانوا يلغطون عند قراءته ويكثرون الكلام طلبا لتغليطه واخفاء قراءته .فى قولهم (لاتسمعوا لهذا

القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون)[١] ونسب ذلك للشيطان لكونه الحامل لهم على ذلك أوُ المراد بالشيطان شيطان الأنس)٠

*وقيل إن النبى كان إذا تلا القرآن على قريش توقف فى فصول الآيات فألقى بعض الحاضرين ذلك الكلام فى تلك الوقفات فتوهم أنه من قراءته عليه السلام ثم أضاف الله ذلك إلى الشيطان لأنُه بوسوسته حصل ذلك٠

**ونقل ابن العربى والنسفى والقرطبى وجمع من المفسرين قولهم إن النبى عليه السلام كان إذا قرأ تلا قرآنا مقطعا وسكت فى مقاطع الآى سكوتا محصلا وكذلك كان حديثه مترسلا فيه متانيا فتتبع الشيطان تلك السكته التى بين قوله (ومناة الثالثة الاخرى)وبين قوله (ألكم الذكر وله الأنثى فقال يحاكى صوت النبى صلى الله عليه وسلم وإنهن الغرانقة العلى وإن شفاعتهن لترتجى وحسنه النسفى مستدلاً بكلام الشيطان يوم أُحد ومن قبل يوم بدر حيث قال الان محمدا قد قتل ونادى يوم بدر لاغالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم وفسر الآيه عليه بقوله (فينسخ الله ما يلقى الشيطان يذهب به ويحبر أنه الشيطان ثم يحكم الله اياته ويثبتها ويحفظها من لحوق الزيادة من الشيطان والله عليم بما أُوحى إلى نبيه وبقصد الشيطان (حكيم))لايدعه حتى يكشفه ويزيله)[٢]٠

(١) سورة فصلت الاية (٢٦)

(2) تفسير النسفى

ونقل الرازى رحمه الله تأويلا يذكر فيه أن المراد بالغرانيق الملائكة فلما توهم المشركون إنه يريد آلهتهم نسخ الله تلاوته ٠الخ فالقصة كما مر لاأصل لها سندا ولامتنا ولاعقلا ولاشرعا [١]،وبعد وقفنا على مافى القصة من اعتراضات نقف الآن على المعنى الاجمالى لهذه الآية آية سورة الحج وهى قوله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولانبى إلا إذا تمنى القى الشيطان فى أمنيته٠٠٠٠) ٠ يقتضينا المقام ان نقف على معنى التمنى والذى ورد فى اللغة بأمرين:-

الاول :-أحدهما تمنى القلب ٠

الثانى :-التلاوة ومنه قوله تعالى (ومنهم أميون لايعلمون الكتاب إلاأمانى وإن هم إلا يظنون)[٢]أى إلاقراءة لأن الأمى لايعلم القرآن من المصحف وإنما يعلمه قراءة وقال حسان :-

تمنى كتاب الله أول ليلة وأخرها لاقى حمام المقادر

فمن المفسرين من حمل التمنى على القلب،أو حديث النفس والمعنى وماأرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إذا تمنى إيمان قومه وهدايتهم و ألقى الشيطان إلى أولياء شبها فينسخ الله تعالى تلك الشبه ويحكم الآيات الدالة على دفعها ٠ ٠٠)[٣]

*وأما حمل التمنى على القراءة فيكون المراد شيطان الانس والأمر سواء من الكفر أومن أحدهم كالنضربن الحارث فقد كان يلقى الشبهة إلى قومه وإلى الوافدين يثبطهم بها عن الإسلام ٠

(١) عصمة الأنبياء -الرازى ص ٩٤

(٢) سورة البقرة الاية (٧٨) ٠

(٣) راجع عصمة الانبياء -الرازى ص ٩٢

فالله تعالى يزيل ما بالنفوس من شبه ثم يحكم آياته معجزاته يظهرها محكمة لالبس فيها ليجعل مايلقى الشيطان من تلك الشبه وزخارف القول فتنة لمريض القلب وقاسيه وليعلم من أوتى العلم أن ما تمنى الرسول والنبى من هداية قومه وايمانهم هو الحق وهذه الاية ليس فيها اسناد شى إلى الرسول وإنما تضمنت حالة من كان قبله من الرسل والانبياء إذا تمنوا [١]٠وقد كان النبى يتمنى هداية قومه ولذا كان لسان حاله اللهم اهد قومى فانهم لايعلمون وأماالالقاء فهو من الشيطان لأعوانه وأوليائه وسوسه كانت أوشبهاأومعارضة بالكلام ٠٠٠٠الخ فيزيل الله تعالى تلك الشبه ويظهر على ألسنة أنبيائه آياته محكمة لالبس فيها دافعة لتلك الشبه التى سعى إليها أرباب الكفر بتزيين الشيطان لهم إياها وهذا مايدل عليه السياق السالف للآية السابقة وهى قوله تعالى (والذين سعوا فى آياتنا معاجزين أولئك أصحاب الجحيم [٢])٠ ومن ذلك وسوسة الشيطان للكفار عندما نزل تحريم الميتة فقد ألقى فى روعهم أن محمدا يحل ذبيح نفسه ، ويحرم ذبيح الله وعندما نزل قوله تعالى (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم٠٠٠٠٠٠٠)[٣] وسوس الشيطان فى صدور الكافرين أن يجادلوا فى أن عيسى والملائكة عبدوا من دون الله ٠٠٠ فيبطل الله مايلقيه الشيطان وما ينفثه من سموم لأوليائه بتوفيق رسول الله صللى الله عليه وسلم إلى رد هذه الشبه

البحر المحيط ٠ ج ٦ ص ٦٣٥ ومابعدها٠
عصمة الأنبياء ص ٤٢٩ والآية من سورة الحج رقم (٥١)
سورة الأنبياء الآية (٩٨)

وبإنزال ما يبطلها فى آيات محكمات مثبتة لاتدحض بأى وجه من الوجوه[١] ،
ومما سبق يتبين لنا أن هذه القصة من وضع الزنادقة وأنها دست فى كتب
التفاسير وغيرها للنيل من عصمة النبى صلى الله عليه وسلم وهى وإن لم تلقى
رواجا كغيرها من الشبه إلا أن الحق يقال إن سياق آيات سورة النجم فى واد
غير واد آية سورة الأنبياء :ولاعلاقة للآيتين بما يدعى بالغرانيق المزعومة
ومن ثم فساحة النبوة مبرأة مما أدعاه هؤلاء الأفاكون فى حقه.صلى الله عليه
وسلم لما تقدم من أدله يقدمها حديث المولى عنه عليه السلام وقوله الحق (وما
ينطق عن الهوى إن هو إلاوحى يوحى) ٠ والله أعلى وأعلم ٠

(١)(القران الكريم وتفسيره ص ٢٤٣ط الجمهوري العراقيه ٠ وزارة التربية ج (١٧)

المعجـــزة

عـــرفها *صاحب المقاصد*:- المعجزة بأنها:- مأخوذة من العجز المقابل للقـــدرة وحقيقة الإعجاز إثبات العجز واستعماله فى عدم القدرة ويتعلق بالوجود وبما يقدر عليه[1] ويفصل *البغدادى* حقيقة المعجزة بقوله (وإنما قيل لأعلام الرسل عليهم السلام معجزات لظهور عجز المرسل إليهم عن معارضتهم بأمثالها وزيدت الهاء فقيلمعجزة للمبالغة فى الخبر عن عجز المرسل إليهم عن المعارضة فيها كما وقعت المبالغةبالهاء كقولهم علامة ونسابة ورواية ٠) [٢]*ويرى صاحب الإرشاد* أن إطلاق العجز على انتفاء القـــدرة يعـــد تجوزا كما يتجوز بإطلاق الجهل على انتفاء العلم ٠٠٠٠ والـــرب تعالى هو معجز الخلائق بها ولكنها سميت معجزة لكونها سببا فـــى امتـــناع ظهور المعارضة على الخلائق)[٣]فكانهم إذاً امتنعوا عن الإتـــيان بمثلهافهم غير قادرين وذلك لعجزهم وضعفهم البشرى المحدود فالآيات إنما هى من عند الله تعالى ٠

---

[1] المقاصد التفتازانى ج ٢ ص ١٣

[2] أصول الدين – البغدادى ص ١٧٠

[3] الإرشاد الجوينى ص ١٢٦

المعجزة فى اصطلاح المتكلمين

عرفها أبو المعين النسفى:- أنها ظهور أمر بخلاقة العادة فى دار التكليف لإظهار صدق مدعى النبوة مع نكول من يتحدى بة عن معارضتة بمثله(٤).

وعــرفها صاحب المواقف بأنها:-أمر ماقصدبه إظهار صدق من أدعى أنه رسول الله .(٤)

وعــرفهاالامام الأشــعرى:-فعــل لله تعالى أو قائم مقام الفعل يقصد بمثله التصديق (٥)

شروط المعجزة

١- أن يكون نلك الأمر فعلا لله تعالى لا لغيره بمعنى أنه ليس من متعلقات قدرة العباد فيشمل القول كالقرآن والفعل كنبع الماء من بين أصابع النبى والــترك كعــدم احراق النار لسيدنا ابراهيم وخرج بهذا الشرط الكــرامة فإنها من متناول قدرة العباد كما يأتى عند الكلام على الفرق بيــنهما وبين المعجزة وإنما اشترط كون المعجزة فعلا لله تعالى لأنها إنمــا لتدلل على صدق الرسول فى قوله إنى مرسل من الله تعالى إلى العــباد فهــى مصدقة له فى قوله والتصديق من الله تعالى لرسوله فى دعــواة الرســالة لا يحصل بما ليس من قبله فوجب أن تكون فعلا لله

---

٤ (التمهيد لقواعد التوحيد ت د/ حبيب الله الطباعة المحمدية -٢٣٦ الاولى ١٩٨٦

(4) المواقف الايجى ص ٣٢٢ج(٨)الاولى ١٩٠٧م

(5) راجع المقاصد ج ٢ ص ١٣

تعـــالى فليست مما تتعلق بة قدرة العباد وإرادتهم بحيث يأتون بها متى شاؤوا ٠٠٠٠الخ٠

٢- أن يكون خارقا للعادة إذ لا إعجاز دونه وشرط قوم أن لا يكون مقدورا للنبى وليس بشئ لأن قدرته مع عدم قدرة غيرة عادة معجز ٠

٣- أن يتعذر معارضتة فإن ذلك حقيقة الإعجاز .ويقصدبها التحدى ٠

٤- أن يكون ظاهرا على يد مدعى النبوة ليعلم أنه تصديق له وهل يشترط التصـــريح بالـــتحدى ؟ الحـــق إنه لايشترط التصريح بل تكفى قرائن الأحـــوال مـــثل أن يقـــال إن كنت نبيا فاظهر معجزا ففعل وإذا ظهر الخارق على يد عبد صالح سمى الفعل كرامة فصاحبه لايدعى التحدى وأما النوع التالى فيعرف بالمعونة وهى أمر خارق للعادة يظهر على يد عبد من عباده العوام إخراجا له من شدة أو تخليصا له من ورطة ومن يتق الله يجعل له مخرجا ٠٠٠)وأما الإهانة فى أمر خارق للعادة يظهر علـــى يـــد كاذب مدع النبوة كما هو الأمر عند مسليمة الكذاب وأقرانه وأما الاستدراج فهو أيضا من الأمور الخارقة التى تظهر على يد فاسق الـــذى يدعى الألوهية خديعة ومكرا وذلك لأن الأدلةالقطعية تقوم على كذبه لأن قواطع الأدلة قامت على وحدانية الله عزوجل وأما الإرهاص فهو ماكان تأسيسا لدعوى النبوة كتظليل الغمامـة(عليه السلام قبل بعثته ٠

٥- أن تكون مقرونة بدعوى النبوة والرسالة وذلك لكونها شاهد صدق على دعـواه فلـو قال معجزتى أن أحيى ميتا ففعل خارقا آخر لم يدل على صدقه لعدم تنزله منزلة تصديق الله إياه .

٦- ألايكون ما أدعاه وأظهره مكذبا له فى دعواه فلو قال معجزتى أن ينطق هذا الضب فنطق مكذبا له لم يكن صادقا بل إزداد به كذبه لأن المكذب هـو نفـس الخـارق يقول إمام الحرمين فى هذا)... ومثل ان يدعى مدعـى النـبوة فيقول رآية صدقى أن ينطق الله يدى فإذا أنطقها بتكذيبه وقالـت أعلموا أن هذا مفتر فاحذروه فلا يكون ذلك آية ، ولو قال آيتى أن الله يحـيى هـذا الميـت فأحـياه فقـام مـنكرا له قائلا هذا كذاب ومتخرص وقد بعثنى الله لافضحه ثم خر صعقا فقد قال القاضى هو آية مكذبة لاتدل والذى عندى فى ذلك :أن التكذيب إن كان خارقا للعادة فهو الـذى يقدح فى المعجزة وذلك بمثابة نطق اليد بالتكذيب فأما الميت إذا حـيى وكـذب فتكذيـبه ليس بخارق للعادة وللنبى أن يقول :إنما الآية إحـياؤه وتكذيـبه إياى كتكذيب سا ئر الكفرة وقد وافق البيجورى فى شـرحه لجوهرة التوحيد إمام الحرمين فى اعتبار تكذيب الجماد وعدم اعتـبار تكذيـب الميـت إذا أحيى وذلك لأن الجماد لااختيار له بخلاف الميـت إذا أحـيى فإنه يصبح ذا اختيار إما أن يصدق أو يكذب ومن ثم لاعبرة بتكذيبه .

٧- ألايكـــون متقدما على الدعوى بل مقارنا لها لأن التصديق قبل الدعوى لايعقـــل فلـــو قال معجزتى ما قد ظهر على يدى من قبل لم يدل على صدقه ويطالب به بعد فلو عجز كان كاذبا قطعا .

٨- أن تـــتعذر معارضته أو تستحيل وهذا القيد يخرج ما عدا المعجزة من السحر والشعوذة.وكذلك الكهانة ...الخ لأن حاصلها التعليم ويستوى فيها الجميع ومن ثم لاتصلح أن تكون دليلا على صدق صاحبها وكونه نبيا .

٩- ألاتكون المعجزة فى زمن خرق العادات وهو نهاية الدنيا وهذا الشرط فيه شى وهو أن باب النبوة قد ختم به عليه السلام فلا نبى بعده ومن ثم فـــلا معجـــزات آتية لأنها مقرونة بالنبى أما وقد ختمت الرسالات فأى دعوى الآن وفيما يستقبل من الزمن فهى كاذبة.

إمكان المعجـــزة

لاشك أن القرآن الكريم أحد المعجزات الخالدة المنقولة إلينا بالتواتر وهــو وغــيره من المعجزات التى أيد الله بها رسوله صلى الله عليه وسـلم وقــص نــبأها علينا الله تعالى فى كتابه وحكتها كتب السنة الشريفة من أقوى الادلة عـلى أن المعجزة ممكنة عقلا وواقعة بالفعل وكونهـا تحــالف الســنن الكونية فذلك أمر مرده لخالق هذه السنن ومبدلها يطوعها لمن يشاء من عباده ولو لم تكن هذه الأمور الخارقة للعــادة قــد وقعت لأنبياء الله تعالى ماكان لدينا نبأ من أخبارها ٠أما وأنها قد وقعت فهذا دليل ساطع على صدق المرسل والمرسل إليه٠

وجه دلالة المعجزة على صدق الرسول

لعلماء الكلام أقوال حول دلالة المعجزة :-

*فمــن قــائل إن دلالــتها عقلية كدلالة الحدث على المحدث ودلالة إحكامــه وإتقانه على كونه عالما ٠٠٠ فإن الأدلة العقلية ترتبط لنفســها بمدلولــتها ولايجوز تقديرها غير دالة عليها ٠[1] وبيان هذا الأمر أن الله خلق الأمر الخارق للعادة مقارنا لدعوى الرسالة وتحدى الرسل لقومهم مع العجز عن معارضته،وتخصيص الله الرسل بذلك

---

[1] المواقف الإيجى الموقف السادس ص ٢٢٨

يـــدل عقـــلا على أن الله اراد تصديقهم ٠وعلى هذا يستحيل صدور المعجزة على يد الكاذب لما يلزم من ننقض الدليل بان يوجد ولايوجد مدلوله وهو صدق الرسول ٠

*وهناك من يرى أن دلالة المعجزة **دلالة وضعية** فالمعجزة كما يرى إمـــام الحرمين بمثابة قول الله وله المثل الاعلى (صدق عبدي فيما يبلغ عنى)ومن هنا كانت دلالة المعجزة على الصدق عنده كالدلالة الوضـــعية كدلالة اللفظ على المعنى وعضد هذا الرأى الشيخ محمد عبده [٢]

*وهـــناك من يرى أن دلالتها **عادية**وهو رأىبعض أهل السنة حيث جرت العادة أنَّ يخلق الله علما ضروريا عاديا لمن يشاهدها بصدق من ظهرت على يديه فى دعوى النبوة والرسالة ولم تجر العادة بأن يظهـــر الله الخـــارق على يد من ليس برسول من قبل الله بل العادة انكشاف أمره) [٣] كما حدث لمسيلمة الكذاب وغيره-٠

*يقـــول صاحب المواقف ‌ وهو عندنا إجراء الله عادته بخلق العلم بالصـــدق عقبيه فان إظهار المعجزة على يد الكاذب وإن كان ممكنا عقـــلا فمعلـــوم انتفاؤه عادة كسائر العاديات ٠فلا تكون دلالته عقلية لتخلف الصدق عنه فى الكاذب بل عادية ٠وقد عضد الرأى الباقلانى

---

(٢) **الارشاد الجوينى ص١٢٦وما بعدهاوراجع أيضا الغيبيات بين التفلسف والدين/د/ أحمد عبد الوهاب ص ١٣٦**

(٣) **راجع المواقف ص٢٢٨**

حيث رأى أن اقتران ظهور المعجزة بالصدق أحد العاديات فإذاجوز إنحراف العاديات عن مجراها جاز إخلاء المعجز عن الصدق وحينئذ يجــوز اظهارها على يد الكاذب واما بدون تجويز انحراف العاديات عــن مجــراها فلا يجوز تخليتها عن الصدق لاستحالة العلم بصدق الكاذب)[١]

*بيــنما ذهبت المعتزلة إلى أن دلالة المعجزة دلالة عقلية معللين ذلك بامتناع ظهور المعجزة على يد الكاذب ممتنع عقلا لأنه إضلال من الله على فرض وقوعه والاضلال منه تعالى محال ولايخفى أن قولهم هذا مبنى على قاعدة الحسن والتقبيح العقليين [٢]

؟

---

(١) شرح المواقف ص ٢٢٨ -

(٢) نفسه . وراجع أيضا قضايا النبوات ص٥٥ .

دلالات نبوية

هـــناك أمـــور تساعد النبى فى إثبات نبوته وهى طرق أخرى غير المعجزة يومـــن بها من يومن ويجحدها من يجحد وتكون قبل البعثة وبعدها من هذه الامور

١-إعـــلان القدوة الصالحة : وشاهده واضح العيان فرسولنا صلى الله عليه وســـلم اشـــتهر بين قريش بالصدق والأمانة ولم يجرب عليه قومه كذبا قط. وذلك مدخل لنبوته فيما بعد فهو المعدّ إلهيا لهذا الأمر ولكن على الرغم من هـــذا كله كذبته قريش حتى أقرب الناس إليه رامين إياه بالهلاك والخسران الخ ماتعرفه من سيرة الهادى صلى الله عليه وسلم وعلى الرغم من ذلك فقد قـــد آمـــن مثلا سيدنا أبو بكر به عليه السلام بمجرد أن أخبره برسالته ولم يطلب منه معجزة تدل على نبوته فنظره تم على سداد وإحكام فأداه ذلك إلى تصديق الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يدعيه .وقد اعتبر الإمام الغزالى أحـــوال النبى دليلا على صدق نبوته يقول (فإن وقع لك الشك فى شخص معيـــن أنـــه نـــبى أم لا ؟ فلا يحصل اليقين إلا بمعرفة أحواله بالمشاهدة أو بالـــتواتر والتسامع،فإنك إذا عرفت الطب والفقه يمكنـــك أن تعرف الفقهاء والأطـــباء بمشـــاهدة أحوالهم وسماع أقوالهم وإن لم تشاهدهم ولاتعجز عن معـــرفة كون الشافعى رحمه الله فقيها وكون جالينوس طبيبا معرفة بالحقيقة لابالتقلـــيد عـــن الـغـــير بـــل أن تتعلم شيئا من الفقه والطب وتطالع كتبهما

وتصانيفهما فيحصل لك علم ضرورى بحالهما فكذلك إذا فهمت معنى النبو
فأكثرت النظر فى القرآن والاخبار يحصل لك العلم الضرورى بكونه صا
الله علــيه وسلم على أعلى درجات النبوة .[١] وهناك الشواهد العديدة من
اســتقراء الســيدة خديجــة رضى الله عنها جماع صفات النبى فلما أُخبر
بواقعــة الغــار سارعت إلى تصديقه قائلة له (إنك لتصل الرحم ،وتصد
الحديــث وتحمــل الكل وتقرى الضيف وتكسب المعدوم وتعين على نوا
الحق)[٢]

* الأخــبار بالمغيــبات كنصر الله تعالى لاممهم وانتصار الروم على الفر
والحديث عن إغراق فرعون وقوم نوح ....الخ

ومنها اصطفاءهم من احساب القوم إلى جانب دعوتهم لمكارم الاخلاق .
فجماع هذه الامور تدل صراحة على صدق النبى فى دعواه ورغم ذلك ف
الناس من يؤمن بها ومنهم من يصد عنها مطالبا بالمعجزةعنادا ومكرا؟

٢- البشارات الأولية :-

وهــى تلــك البشــارات التى مهدت لقدومه عليه السلام سواء الحسية م
والمعنوية والمكتوبة لدى أُحبار اليهود وقساوسة النصارى والتى بشر ت
التوراة والإنجيل الصحيحان وإليك شاهد من التوراة بصفات النبى صلى
علــيه وســلم (فعن عطاء ابن يسار قال لقيت عبد الله بن عمروبن العا

---

(١) المنقذ من الضلال – الغزالى : ت– د/ عبد الحليم محمود ص ط دار المعارف .
(٢) أخرجه البخارى ك بدء الوحى ب-بدء الوحى . ح (٣)

رضى الله عنهما قلت أخبرننى عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة قال:أجل والله إنه لموصوف فى التوراة ببعض صفته فى القرآن (ياايها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا و حرزا للأميين أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ ولاغليظ ولاصخاب فى الأسواق ولايدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاءبأن يقولوا لاإله إلاالله ويفتح بها أعينا عميا وآذانا صما وقلوبنا غلفا.)[١] وصدق الله اذيقول (ولماجاءهم كتاب من عند الله مصدق لما بين يديه وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين)[٢].ونكتفى بهذه الإشارة التى تثبت أن التوراة بشرت به صلى الله عليه وسلم وهناك المزيد منها .وأما الانجيل فقد أعلن المسيح عليه السلام مقدم رسول الله فقال كما حكى القرآن الكريم (....واذ قال عيسى بن مريم يابنى اسرائيل إنى رسول الله اليكم مصدقالما بين يدى من التوراة .ومبشرا برسول ياتى من بعدى اسمه احمد)[٣]وقدجاء فى انجيل برنابا (أن مسيا أو المسيح المنتظر الذى ورد ذكره فى العهد القديم (التوراة)ليس يسوع بل محمدا عليه السلام وقد ذكر محمدا أى لفظا يفيد مدلو له شخصا كثر حمد الناس له وثناؤهم عليه فى كثيرمن فصوله (فارقليط) تعريب لكلمة بركلتوس اليونانية ومعناها الذى يحمد حمدا كثيرا

(١) أخرجه البخارى ك البيوع – ب– كراهية السخب فى الأسواق ح رقم (١٩٨١) .
(٢) سورة البقرة الآية (٨٩)
(٣) سورة الصف الآية (٦)

الـــى جانـــب هذا فان كلمة برقليطوس المذكورة فى إنجيل يوحنا تعنى من الناحية اللغوية البحتة الامجد والأشهر والمستحق للمديح وهذا الاســم مكون من مقطعيين الأول بيرو والمقطع الأخير قليطيس وهى تعنى التمجيد أو الثناء والاســـم منها يعنى بالعربي اسم أحمد ومن هنا فالتنزيل القرآنى وأحد من أقوى البراهين على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فالدلالة الحرفية تعادل بالدقة ودون شك كلمتى أحمد ومحمد ومن العلامات الأخرى إنه عندما يأتى البرقليط فإنه يبكت العالم على الخطيئة (يوحنا ١٦-٨) وقد كان عليه السلام خير من دعا إلى قانون الله تعالى والالتزام بشرعيـته وعدم خرقها فقد دعا إلى التوحيد الإلهى وبعث رسله الى أكاسرة الكفر وقتئذ يدعوهم إلى أعتناق الديــن الإســـلامى وقــد علق القس دافيد بنجامين على النص المحرف فى الانجيل والذى يزيل البشارة به عليه السلام من قبل عيسى عليه السلام قائلا (إذا أردنا أن نجد المعنى الحقيقى لهذه الكلمات المسروقة فهى على السورة التالـــيه (ســـوف أذهـــب إلـــى الاب ،وسيرســـل لكم رسولا سيكون اسمه البرقليطوس (أحمد(لكى يبقى معكم إلى الأبد (**)،وأما النص المحرف فهو (أنا اطلب من الأب فيعيطيكم معزيا آخر ليمكث معكم إلى الأبد)وقد وردت

(**)راجع محمد فى الكتاب المقدس عبد الاحد داود ص ٢٠٢ -١٢٩ نقلا عن كتاب النبوة والانبياء لواء احمد عبد الوهاب ص ١٦١ ط/ مكتبة وهبه ١٩٩٢م

شـــواهد عديـــدة فى الفصلين الثالث والأربعين والرابع والأربعين من هذا الإنجيل(*) فى تبشير المسيح عليه السلام بمحمد صلى الله عليه وسلم .(١)

يقـــول ابـــن رشد (..... وقد اتفقت الفلاسفة وجميع الناس إلا من يعبا بقولهم وهم الدهرية على أن ههنا أشخاص من الناس يوحى إليهم بأن ينهوا إلـــى الناس أمورا من العلم والأفعال الجميلة بها تتم سعادتهم وينهونهم عن اعتقادات فاسدة وأفعال قبيحة وهذا هو فعل الانبياء .

(*) برنابا :- كان يهوديا من اللاويين وكان اسمه يوسف وقد سماه الحورايون برنابا وهى تعنى ابن الوعظ وهو من التلاميذ السبعين على الارجح وقد باع مايملكه من أرض فى فلسطين وقدم ثمنه للحوارييـــن ليستعينوا به فى الدعوة الى المسيحية ومساعدة الفقراء وهو الذى ضمن بولس امام الحواريين وشهد بصدقه وصحة ايمانه وقد كلف بالبتبشير للمسيحية ورافق بولس ومعهما مرقص ابن اخت برنابا فطافا كثيرمن البلاد وبلغ من دعوتهما انُ الناس رموهما بالألوهية فننزعا ثيابهما متبرئيـــن ممـــا وصـــفا به ثم اختلف برنابا من بولس فافترقا وينسب اليه انجيل وسفر فى تاريخ الحواريين والتلاميذ يسمى اعمال الرسل ولاتعترف الكنائس الحالية بصحة هذا الانجيل ولاهذا السفر ...بل تذهب إلى أنهما مزيفان وملفقان اليه راجع الاسفار المقدسة د/على وافى ص ٨٥٠وايضا ص ١٠٩

(١) راجع الاسفار المقدسة فى الاديان السابقة للاسلام د/ على عبد الواحد وافى ص ١١٢ وراجع ايضا انجيل برنابا . ت خليل سعادة -تقديم الشيخ محمد رشيد رضا ص ٥٢،٥٣ ط- دار الفتح للاعلام

اقسام المعجـزة

تنقسم المعجزة إلى أقسام متباينة فاعتبارها قولا وغيره تنقسم الى مايلى :-

أولا:- القول :- كالقرآن الكريـــم ٠

ثانيا :-الفعل كنبع الماء من بين اصابعه عليه السلام ٠

ثالثا: ٠ الترك :- كعدم إحراق النار لسيدنا ابراهيم مع حصول اسبابه

باعتبار طريق ثبوتها :- تنقسم الى مايلى :-

التواتر كالقرآن الكريم والآحاد :-باقى المعجزات الصحيحة ٠

باعتبار كونها معقولة أومشاهدة تنقسم إلى حسية : ومعنوية ٠٠

وقفة ورأى :

يحلو لبعض ضعاف الإيمان وغيرهم من أصحاب الأقلام الساقطة والآراء الباطيـنة أن يتناولوا أمر المعجزة على سبيل السخرية فهم مع إنكارهم لهذا الأمر تراهم يلصقون به أنواعا من الحيل الكلامية والتى قصدوا بها إقصاء الـناس عن تصديق الآيات وبالتالى تكذيب دعوى الأنبياء ورميهم بصنوف الكـذب كل ذلك حسدا من عند أنفسهم وتمهيدا لإرساء دعوتهم الهدامة ضد الإسـلام وأهلـه ومـن هذا الأمر قولهم إن المعجزات أمور لايقرها عقل والأولـى تـأويل ماجاء منها تأويلا باطنيا فى حدود فهم العقل فأول هؤلاء القوم "عصا موسى عليه السلام بأنها عصا الأمر والحية بقُها ثعبان المقدرة والـيد البيضاء بالمعرفة ....ألخ"[1] والجواب إن المعجزة سبق تعريفها من لدن ارباب الكلام رحمهم الله بأنها أمر خارق للعادة وهذا الخرق لقانون الكون ومسبباته لايكون إلا من لدن الله عزوجل فقدرته ليس لها حدود ومن غـير المعقول أن يقيس العبد قدرة الله بعقله القاصر فالله تعالى إن أراد كما قال (إن يشا يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين ....)[2] فالله لايعجزه شـى فى الأرض ولا فى السماء وهذا كله من كمال وجلال قدرته تعالى ولو كـان هذا الأمر معتادا للناس لم يك خارقا للعادة لان كل شخص يراه أمامه فلو قال علامتى أن تطلع الشمس من مشرقها لم يك أمر خارقا ولكنه لو غير

١-الدرر البهية ص٥٣٠،٥٢

٢)سورة النساء الاية ١٣٣٠

الأمـــر كما رأينا عند ابراهيم عليه السلام عند واجه النمروذ بقوله (إن الله يـــأتى بالشـــمس مـــن المشرق فات بها من المغرب فبهت الذى كفر والله لايهـــدى القـــوم الظالميـــن)[١]وجمـــيع الآيات التى أتت للتثبت هذا الأمر الإعجازى أعقبتها آيات القدرة فمثلا بعد أن قص القرآن الكريم حكاية إحياء العظام بعد رميمها ضرب مثالا واضحا على طلاقة قدرته فقتال (الذى جعل لكـــم مـــن الشـــجر الاخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون ٠ أوليس الذى خلق الســـماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم إنما أمـــره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ٠ فسبحان الذى بيده ملكوت كل شـــى وإليه ترجعون ٠) وأما مسالة تأويل هذه الآيات تأويلا باطنيا فهذا أمر جائـــر وقســـمة ضيزى لأن الآيات واضحة ولاغموض فيها ثم ان التاويل لايلجـــا الـــيه لاســـباب معينه منها عدم وضوح اللفظ والمقصود منه ٠فما المناســـبه مـــثلا بين بين العصا وامر الله تعالى٠ فموسى عليه السلام يسأله ربـــه وهـــو به أعلم قائلا كما حكى الذكر الحكيم (وما تلك بيمينك يا موسى قال هى عصاى أتوكا عليها وأهش بها على غنمى ولى فيها مآرب اخرى ٠٠٠)[٢] فلو كـــان كلامكـــم صـــحيحا لما بقيت المعجزات لها حكمة وما صح لها مفهوم ولاتصـــح أن تكون برهانا للرسول وماقيل إن عيسى عليه السلام أن المراد بإبـــراء الأعمى إبراءه من الجهل والضلالة وبالبصر العلم والهداية)[٣]وقد

---

[1] سورة البقرة الاية ٢٥٨

[٢]- سورة طه الايات ١٧،١٨

[3] راجع البهائية تاريخها وعقائدها ص ٢٢٦

تغافل هؤلاء عن كون المعجزة تأتى من نفس ما برع به الأقوام فلما برع قوم عيسى عليه السلام فى الطب جاءت معجزته عليه السلام إحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص ... الخ لتكون دليلا قاطعا على صدقه عليه السلام وقد تواترت الأخبار على ذلك .

الامر الثانى :- زعمهم أن الآيات لم يرها إلا نفر قليل من النا س فلا تصلح أن تكون دليلا على صدق من جاء بها والقوال الحق إن المعجزة أمر عام لكل من أرسلت إليهم فهى أمر واضح قصد به التحدى وكيف يتحدى النبى بأمر مخفى فموسى عليه السلام عندما تحداه فرعون أرسل فى المدائن حاشرين ليجمعوا له السحرة لميقات يوم معلوم (يوم الزينة وقت الضحى) وأتى السحرة بخيلهم ورجلهم وألقوا بحبالهم وعصيهم فسحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاؤا بسحر عظيم عندئذ كان الأمر الآلهى لموسى عليه السلام بالإلقاء فإذا بعصاه تلقف مايأفكون عندئذ ألقى السحرة سجدا لله تعالى قائلين آمنا برب العالمين رب موسى وهارون وذلك لأنهم أدركوا أن ما جاء به موسى ليس من قبيل السحر فهم أربابه ورثوه كابر عن كابر وهم أدرى الناس بفنونه وشؤنه ولم يعبأوا بتهديد فرعون لهم قائلين فاقض ما أنت قا ض إنما تقضى هذه الحياة الدنيا إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطيانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى فجاؤا أول النهار كافرين وأمسوا موحدين بل دعاة للحق وأهله . أفبعد هذه الأمور يأتى قائل ليقول إن هناك غموضا فى أمر المعجزة ولم يرها أحد . ثم كيف ينسى أهل مكة ومن

حولهـــم ماجــرى من أبرهة الأشرم لما قصد مكة مريدا هدم البيت الحرام فاعترضـــتهم الطـــير الأبابـــيل جند الله عزوجل فجعلته هو وجنده كعصف مـــأكول، وتواتـــر هذا الأمر وقصه الأباء للأبناء وكذا الأحفاد وجاء القرآن الكريم ليعلن عن هذا الأمر ففى قوله تعالى (الم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ٠٠٠٠)[١] فالنبى وإن لم ير رؤية بصرية لانه لم يكن حاضرا ولم يولد حيـــنها إلا أنـــه قد رأى برؤية الله فالله تعالى إذا أخبر نبيه بشى فكأنه عاينه معايـــنة واقعية فلا شك ولاريب لأن الله هو الذى ذكر المعجزات فى الكتب السماوية ومنها القرآن الكريم ٠

فمن أصدق من الله حديثا ؟ لاأحـــد٠ ومن أصدق من الله قيلا ؟ لاأحـــد ؟

وأمـــا قولهم إن دلالة المعجزة دلالة ثلنوية فهو أمر بعيد فلا يعقل أن يرسل الله تعالى موسى عليه السلام مثلا بدليل ضعيف أمام فرعون الطاغية والذى أدعـــى الألوهـــية وليس هناك أدل من بلاغة القرآن حين عبر عن هذا فقال ربـــنا (قلـــنا لاتخـــف إنك أنت الأعلى)[٢] فموسى عليه السلام لديه من الامكانـــيات الربانية مايجعله فى مرتبة عليا تسحق ماعداها بل كيف يتصور المـــرء أن يقف أمام قوة الله وجبروته ؟وأما العلاقة بين النبى والمعجزة فى علاقـــة لزومـــية فـــإذا وجد الملزوم وهو دعوى الرسالة وجد اللازم وهى المعجـــزة فالعلاقةوثـــيقة بين الرسالة والمعجزة على خلاف ماترى البهائية

---

[1] راجع سورة الفيل ٥

[2] سورة طه الاية ٦٨

وغيرها كما ان الحكمة من النبوة أنها تهدى المنكرين وترشد الضالين .وإن تعجب من إنكارهم المعجزات للأنبياء فعجب تجويزهم المعجزات لأنفسهم فمن المعجزات التى أثبتها أتباع البهاء له (أنه كان يوما راكبا على حمار متوجها إلى بعض القرى ومعه بعض أتباعه فاعترضه فى الطريق رجل من الفلاحين كان قد حرث أرضه وهيأها للزرع والبذر ولم ينقصه سوى الماء لريها فقال له أسالك أن تنزل لى مطر لأروى الأرض ،فأجابه سأفعل . وأراد أن يذهب فلم يدعه الرجل وهو يلح عليه فقال له البهاء اذهب إلى أرضك تجد المطر قد سبقك إليها فتركه الرجل ومضى ولم يكد الرجل يعود الى أرضه فإذا السماء تشققت بالغمام وانهمر المطر حتى تعذر المسير على الأرض فقال البهاء هذا ماكنت احذره)[١]

واما قوله تعالى (وما منعنا أن نرسل بالأيات إلا أن كذب بها الاولون ....)[٢]فهذا لاينهض دليلا على رفض المعجزة كما تدعى البهائية وغيرها فالايه تتحدث عن الايات التى طلبها المشركون من الرسول فى قولهم (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الاض ينبوعا.[٣]......)فان كان المراد من الآيات المعجزات فالمعنى (وما صرفناعن إرسال ما يقترحونه من الآيات إلاأن كذب بها الأولون الذين هعم أمثالهم من المطبوع على قلوبهم كعاد وثمود وأنها لو أرسلت لكذبوا بها ..وقالوا هذا سحر مبين

---

[1]مجلة المنار ج ٢٤ ص ٥٩٧ سنة ١٩٠٠م

[2] سورة الاسراء الاية ٥٩

[3] سورة الاسراء الايات

كمـــا يقولون فى غيرها واستوجبوا العذاب المستاصل وقد عزمنا أن نؤخر امـــر من ابعثت اليهم الى يو م القيامة)[1]وذلك لأنّ الله تعالى أعلم أن فيهم مـــن سيؤمن أوَ يؤمن أَولادهم فلهذا السبب ماأجابهم إلى مطلوبهم وما أظهر تلـــك المعجزات القاهرة [2]. ثم إن هؤلاء القوم قد راؤا آيات عديدة أُخرى غير ما طلبوه فلم يؤمنوا فلا دلالة لقولهم بنفى المعجزة لأنَ الله تعالى لم يرد إجابـــتهم إلـــى مايـــريدون لانّ مـــن بين أظهرهم من سيحمل رايةَ الإسلام وينشرها فى مشارق الأرض ومغاربها .

✍ وان كان المقصود من الآيَات القرآن الكريم فالمعنى إن الله تعالى لم يـــنزلها إلا لأجل التخويف والإنذار بعذاب الآخرين لمن لايؤمنون (وبهذا يسقط ماادَعاه البهائيون[**] حول منع الإرسال بالآيات .

✍يقول الامام الباقلانى رحمه الله (فى معرض رده على منكرى المعجزات ماذا تريدون من قولكم باستحالة هذه الأمَور هل استحالتها جاءت من العادة أو مـــن جهة قدرة الله تعالى ؟ فان قلتم إنها جاءت من جهة قدرة الله تعالى

---

[1] راجع تفسير الكشاف (ج) ص ( )

[2] التفسير الكبير – الرازى (ج ٢٠)ص ٢٣٦

[**] البهائيون هم اتباع بهاء الله ميرزا حسين :اعتنق فى مرحلة من حياته عقيدة الباب وتولى قيادة احد اجنحة الحركة البابية بعد اعدام مؤسسها عام ١٨٦٧م ادعى انه المرسل الذى تنبئ بمجيئه الباب من مؤلفاته ١- الاقدس -٣- الايقان شدد على الوحدة الانسانية ورفض الشعائر والطقوس ..روجت افكاره فى ايران والولايات المتحدة واليابان فترجمت كتبه الى ٣٧لغة راجع موسوعة اعلام الفلسفة العرب والاجانب تقديم -شارل حلو- اعداد جورج نخل -رونى ايلى -ج(١)ص٢٤٧

كفـــرتم وتركتم دينكم ثم يقال لهم ماا لدليل على الاستحالة ؟ فان قالوا :لأننا لــم نجد أحدا فعله ولايقدر عليه ولا رأينا ذلك قط، ولاجرى مثل ما تدعون قيل لهم فيجب أيضا أن تحيلوا أن يخلق الله الأجسام وأن لا يوجد آدم إلا من ذكــر وأنــثى لأن ذلك لم يوجد قط ولم يشاهد · فإذا تمادوا فى قولهم هذا الحقوا بالدهرية[**] وأن أبوه نقضوا كلامهم ·وإن قالوا هذه الأمور مستحيلة

[**] ولقد حكى الإمام الغزالي متحدثاً عن طائفة منهم – قائلاً – الصنف الأول وعددهم من تزنادقة (الدهريون) وهم طائفة من الأقدمين جحدوا الصانع المدبر العالم القادر وزعموا أن العالم لم يزل موجوداً كذلك بنفسه وبلا صانع ولم يزل الحيوان من النطفة والنطفة من الحيوان كذلك كان وكذلك يكــون أبداً)[*] وقد عدهم الشهرستاني من قبل أصناف معطلة العرب الذين أنكروا الخالق والبعث والإعادة [1]. وقد حكى القرآن الكريم قولهم (وقالوا ما هي إلاّ حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلاّ الدهــر ومــا لهــم بذلك من علم إن هم إلاّ يظنون)[2] يقول الفخرالرازي عن هذه الآية (**فأما شبهة إنكار يوم القيامة فهي قوله** (وقالوا إن هي إلاّ حياتنا الدنيا نموت ونحيا) فقولهم نموت حال كونهم نطفاً في أصلاب الآباء وأرحام الأمهات (ونحيا) ما حصل بعد ذلك في الدنيا – الوجه الثاني – نموت نحن ونحيا بسبب بقاء أولادنا – الوجه الثالث – يموت بعض ويحيا بعض ......) **وأما شبهتهم في إنكار الفاعل المختار فهو قولهم** (وما يهلكنا إلاّ الدهر) يعني تولد الأشخاص إنمــا كان بسبب حركات الأفلاك الموجبة لامتزاجات الطبائع وإذا وقعت تلك الامتزاجات على وجه خــاص حصلت الحياة ، وإذا وقعت على وجه آخر حصل الموت فالموجب للحياة وللموت تأثيرات الطبائع وحركات الافلاك)[3] وليس الله تعالى·

راجع:- الملل والنحل للشهرستاني جـــ١ صـــ ٢٣٥ .

[2] سورة الجاثية الآية رقم (٢٤).

[3] التفسير الكبير الرازي جـــ٢٧ صـــ ٢٧٠ ، ٢٧١ ط. دار الفكر .

.راجع محاضرات فى التيارات الفكرية ·د/ثروت حسين سالم ص٩ومابعدها

فـــى العـــادة قـــيل لهـــم فلم أنكرتم أن ينقض الله سبحانه العادات ويظهر المعجزات على أيدى رسله لعلمه أنهم مؤمنون به)[١]

(١) التمهيد –الباقلانى ج (١) ص ١٠١٠

الفصل الأول
"من أدعياء النبوة"
المبحث الأول
• مسيلمة الكذاب حياته ونشأته.

مولده :-

ولد مسيلمة بن حبيب اليمامي الحنفي (الكذاب) بالهدار وفيها نشأ ويذكر ابن اسحاق أن منزله وجماعته كان في دار بنت الحارث امرأة من الأنصار ثم في بني النجار .(*) وذاع صيته كمتنبئ فسمعت به بنو حنيفة فكاتبوه واستجلبوه وكان يكنى بأبي ثمامة (*) واستغل هذا الدعي قصور فكرهم وتمنيهم أن يكون النبي من بينهم ، ليكشف عن نفسه معلنا أنه نبي مثل محمد صلى الله عليه وسلم وأنه لديه كتاب مثل القرآن وبدأ يستهوي الأقوام حوله حتى كثر اتباعه وقد استعمل في سبيل رواج رأيه جميع السبل من الترهيب والتخويف، وسبل الإباحية ... ألخ مما جعله يرسل رسائله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله أما بعد فإن الأرض نصفها لي ونصفها لك فأجابه الرسول من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب :أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ...)(*) بيد أن هذا الكلام لاسبيل له أمام أنوار النبوة الصادقة فهذا الدعي إنما هو رجل انتهازي صاحب شخصية مضطربة يضع القوانين الزائفة ولاينفذها، وهو بهذا كان

(*) راجع سيرة النبي -ابن هشام (ج٦) ص ١٣٩٦ ط دار الجمهورية .
(*) راجع معجم البلدان - ياقوت الحموى ج٥ ص ٣٩٤ دار الفكر بيروت .
(*) راجع التفسير الكبير - الرازى ج ١٢ ص ٢١ ط دار الفكر.



مدعـــاة لأربـــاب العلم الباطني من نحو الاحتماء بالإمام المعصوم وهو أعلى درجة من النبي (في زعمهم)(*)ومن خلال الصفحات التالية سوف ينجلي لنا أمر هذا الدعي الأفاك •

المبحث الثاني

مسيلمة واستغلال المواقف :-

إن أتـــباع هـــذا الدعى كانوا وما يزالون يقولون مثل مقولة سفهاء قريش وغـــيرهم لـــولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم فأجابهم المولى بقوله (أهم يقسمون رحمة ربك) إذا فالأمر راجع لله ووليس راجع إلى العصبية والقوة وإنما يمن الله تعالى بها على من يشاء •

*مـــثل هذا الموقف كان يتمنا ه بنو ربيعة بجعل النبى منهم فكان فى بنى مضر،ومن هنا انضم بنو حنيفة إلى بنى ربيعة وهنا كان النبت العارض مســيليمة لينصـــب نفســـه نبيا على هؤلاء،وهكذا هيأ الرجل الظروف لصـــالحه فبنوربيعة،لم تزل غضابا على الله مذ بعث نبيه من مضر ومن أجل حسد ربيعة لمضر بايعت بنو حنيفة مسيلمة الكذاب طمعا فى أن يكـــون فـــى بـــنى ربيعة نبى كما كان من بنى مضر نبى فإذا استأنس الأعجمى الغر أو الربعى الحاسد المطز يقول الباطنى له قومك أحق بالملك من مضر(سأله عن السبب فى عود الملك إلى قومه)فإذا سأله عـــن ذلك قال له إن الشريعة المضرية لها نهاية وقد دنا انقضاؤها وبعد انقضائها يعود الملك إليكم ثم ذكرله تأويل إنكار شريعة الإسلام

(*) راجع المنهج الغربى اخطائه والشبهات المثارة حول الاسلام انور الجندى ص ٤٢٢ وما بعدها ط دار الانصار

على التدريج فاذا قبل ذلك منه صار ملحدا خرسا واستثقل العبادات واستطاب استحلال المحرمات فهذا بيان،درجة التفرس منهم ودرجة التأنيس،قربية من درجة التفرس عندهم وهى تزيين ما عليه الإنسان من مذهبه فى عينه ثم سؤاله بعد ذلك عن تأويل ما هو عليه وتشكيكه إياه فى أصول دينه فإذا سأله المدعو عن ذلك قال علم ذلك عند الإمام ووصل بذلك منه إلى درجة التشكيك حتى صار المدعو إلى اعتقاد أن المراد بالظواهر والسنن غير مقتضاها فى اللغة وهان عليه بذلك ارتكاب المحظورات وترك العبادات والربط عندهم تعليق نفس المدعو بطلب تأويل أركان الشريعة ٠٠٠ألخ(*)

المبحث الثالث

علاقته بالمتنبئة سجاح

قدمت سجاح بن الحارث بن سويد بن عقبان التغلبية من نصارى العرب على بنى تميم وكانت قد ادعت النبوة وقد عزمت على غزو أبى بكر وفى طريقها تبعها سفهاء بن تميم ، ثم قصدت بجنودها اليمامة لتأخذها من مسيلمة بن حبيب الكذاب،فهابه قومها ولما علم مسيلمة بقدومها خافها على بلاده،وذلك أنه مشغول بمقتاله ثمامة بن أثال ٠٠فبعث إليها يستأمنها ويضمن لها نصف الأرض الذى كان لقريش لو عدلت وانتهى الأمر بينهمابطلب مسيلمة زواجها لتزداد

(*)راجع الفرق بين الفرق ج١ ٢٨٦

سيطرتهما على العرب -٠فتزوج الكذاب الكذابة على حد تعبير ابن تيمية (*) وأقامت عنده ثلاثة أيام ثم رجعت إلى قومها فقالوا لها إنه قبيح على مثلك أن تتزوج بغير صداق فبعثت تسأله صداقا فكان ما كــان من سخفه أن جعل مهرها وضع صلاتين مما جاء بهما محمد وهما فى زعمه الفجر وصلاة العشاء فكان هذا صداقهما ٠ (*)ويقال إنهــا تابــت كما أورد ذلك صاحب كتاب التوحيد (*)وكذا ذكر ابن الجــوزى قوله (ثم إنها رجعت عن غيها وأسلمت وما زالت تبين فضائح مسيلمة حتى قتل (*-)

المبحث الرابع

نزعة وعصبية

لقــد أراد مســيلمة الاستحواذ على السلطة موهما نفسه أن الرسول الكــريم صلى الله عليه وسلم جاء ليجمع أموال السابقين واللا حقين وكان هذا الهدف هو ما رآه من رسولنا صلى الله عليه وسلم،وتناسى هذا الدعى أن رسالة الأنبياء لايبغى من ورائها مغنما فإنما هى أعباء تبليغ وأمانة تقتضى إيصال الحق الى أهله،وكم تمنى الرسول صلى الله علــيه وسلم أن يكون مسكينا وأن يحشر فى زمرتهم ولو تمني على الله تعالى لجعل له جبال مكة ذهبا فعن عمرو بن الحارث أخي

(*) راجع منهاج السنة ابن تيمية ج٧ ص ٢١٧ ط مؤسسة قرطبة الاولى ١٤٠٦
(*) البداية والنهاية ابن كثير ت احمد عبد الوهاب خليف ج الخامس ص ٣١٤
(*) شرح كتاب التوحيد ج ١ ص ٣٢٩
(*-) راجع صيد الخاطر ابن الجوزى ت محمد الغزالى ص ٣٦٠ ط دار الكتب الاسلامية الثانية ١٩٨٨

جويــرية بنــت الحارث أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنها قال: ما ترك رَسُــول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم عند موته ديناراً، ولا درهماً ولا عبداً ولا أمة ولا شيئاً، إلا بغلته البيضاء التي كان يركبها، وسلاحه، وأرضاً جعلها لابن السبيل صدقة(*).وكذا غفل هذا الدعى عن قول النــبى صلى الله عليه وسلم (نحن معاشر الأنبياء لانورث ما تركناه صدقة)(*) فأنّى لهذا الدعى انَّ يرسل إلى نبينا صلى الله عليه وسلم قائلا (إن جعل محمد الأمر لى من بعده آمنت به ...)(*)

ألقابه :

لم يكتف هذا الدعى بطلب المساومة ولكنه أراد أنّ يضفى على نفسه هالة من العظمة فلقب نفسه برحمان اليمامة (*-)..

**فإنــه قــبحه الله كــان قــد تسمى بهذا الاسم وأما كثير من أهل الجاهلية فيقرون بهذا الاسم.

(*) اخرجه البخارى فى صحيحه

(*-) راجع صيد الخاطر ص ٣٦٠
راجع أيضا مختار الصحاح محمد الرازى ت محمود خاطر ج١ ص ١٠٠ ط بيروت ١٩٩٥ م

المبحث الخامس

الترهيب في الدعوة

*استغل مسيلمة سذاجة قومه فاستخفهم فاطاعوه ومن هنا سلط سوط العـذاب على كل من خالفه وخرج عن دعوته ولم يركن إليها وهذا الدأب أصيل مع الثابتين على الحق فمهما زلزلوا ونزل بهم من محن وبلايا تراهم صامدون راجين ثواب الله ونصره .

*قال ابن مسعود سلوا الله العافية فلستم بأصحاب بلاء إذ كان الرجل مـن قبلكم يوضع المنشار على رأسه بالكلمة يقولها فلا يقولها فيشق باثنيـن وأخذ مسيلمة رجلين من النبي فقال لأحدهما أتشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد ا رسول الله قال نعم قال فتشهد أنى رسول الله قال إني أصم فقتله،فقال للآخر أتشهد أن محمد ا رسول الله قال نعم،قال فتشهد أني رسول الله قال نعم.فخلاه فذكر ذلك النبي فقال أما الأول فـأخذ بالفضـل،فآتاه الله إياه،وأما الآخر فأخذ برخصة الله فلا تبعة عليه(وصدق المولى إذ يقول إلامن أكره وقلبه مطمئن بالإيمان)[*] وقـال مجاهد اجعل مالك جنة دون دينك ولا تجعل دنياك جنة دون مالك وكان في بنى إسرائيل ملك يفتن الناس على أكل لحم الخنزير فـأتى بامرأة يقال لها سارة وبسبع بنين لها فدعا أكبرهم فقرب إليه خنزيرا فقال ما كنت لآكل شيئا حرمه الله على أبدا فأمر به فقطع يده

---

[*] سورة النحل الاية ١٠٦

ورجله عضوا عضوا حتى قتله(*)وفى قصة اخرى ذكرها القرطبى رحمــه الله وأخــرون أن مســيليمة أتى بحبيب بن زسيد بن عاصم وجعل يقول له تشهد أني رسول الله فيقول لاأسمع فيقول له مسيليمة اتســمع هــذا (قوــله إن محمد ا رسول الله صلى الله عليه وسلم) ولاتســمع ذلك فجعل يقطعه عضوا عضوا كلما سأله لم يزده على ذلك حتى مات فى يديه(*).

المبحث السادس

فضائح متتالية

ان مدعيا للنبوة ماكان الله ليؤيده ولكنه تعالى يظهر على يديه خلاف مــارد ففرق بين من تنزل عليه الشياطين وفرق بين بين من تنزل عليه ايات الله عزوجل ،ومن هذا المنطلق كان فضح الله تعالى لهذا الماكر ليبين للناس كذبه وتهافت فكره ،فقد أراد ان يكثر من ماءبئر لاصــحابه أسوة بفعل النبى صلى الله عليه وسلم لاصحابه فبلغ فعل النبى تكثير الماء لاصحابه فسألوه مثلها فتفل فيها فصار ماؤها أجاجا كبول الحمار وهي اليوم على حالها ، وجاءته صلى الله عليه وسلم أمرأة بصبي لها قد تمعط شعره فمسح رأسه بيده فاستوى شعره فبلغ ذلك قوم مسيلمة فأتوه بصبي مثله فمسح رأسه فصلع وبقي نسله صــلعا ٠٠)(*)إلــى وقتنا هذا فالمعجزة كما علمنا امر خارق للعادة

(*)التنبيه والرد على اهل الاهواء والبدع لابى الحسين المكلطى ت محمد زاهد الكوثرى ج١ ص٨٧ ط الكتب الازهرية للتراث ١٩٩٧م

(*) الجامع لاحكام القران ج٣ ص ٥٧٠

(*) راجع اعلام النبوة لابى الحسن الماوردى ت محمد المعتصم بالله البغدادى ج ١ ص ١٤١ ٠ ط بيروت ١٩٨٧م
ايضا راجع كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية فى التفسير ج١٢ ص ٢٦

يظهـــره الله على يد مدعى النبوة تصديقا له فى دعواه(*-) فكيف لو كـــان ما يستند اليه سببا فى تكذيبه إن دل هذا الامر فانما يدل على كذبه ، من هذا أيضا ما أورده الطبرى أن هذا الدعى اتته امرأة من بـــنى حنيفة تكنى بأم الهيثم فقالت إن نخلنا لسحق (وهى الطويلة من منه) وإن آبارنا لجزر فادع الله لمائنا ولنخلنا كما دعا محمد لأهل هـــزمان فقال يانهار ما تقول هذه ؟ فقال إن أهل هزمان أتوا محمد صـــلى الله عليه وسلم فشكوا بعد مائهم وكانت آبارهم جرزا ونخلهم انهاســـحق فدعا لهم فجاشت آبارهم وانحت كل نخلة قد انتهت حتى وضعت جرانها لانتعهائها فحكت به الأرض حتى انشبت عروقا ثم قطعت من دون ذلك فعادت فسيلا مكمما ينمى صاعدا قال :وكيف صـــنع بالآبار قال دعا بسجل ،فدعا لهم فيه ثم تمضض بفمه منه ثم مجـــه فيه فانطلقوبه حتى فرغوه فى تلك الآبار ثم سقوه نخلهم ففعل النـــبى ماحدثـــتك وبقى الآخر إلى انتهائه فدعا مسيلمة بدلو من ماء فدعـــا لهم فيه ثم تمضض منه ثم مج فيه فنقلوه فافرغوه فى ابارهم فغارت مياه تلك الابار وخوى نخلهم وانما استبان ذلك بعد مهلكه ، (*)

*واتـــاه رجـــل فقال : ادع الله لأرضى فإنها مسبخة كما دعا محمد صلى الله عليه وسلم لسلمى على أرضه فقال ما يقول يانهار ؟ فقال قدم عليه سلمى وكانت أرضه سبخة فدعا له واعطاه سجلا من ماء

(*-) راجع الارشاد الجوينى ،

(*) راجع تاريخ الطبرى ج ٣ ص ٢٨٥ راجع ايضا من عاش بعد المو ت ص ١٧ ت ايضا معجم ما استعجم ت عبد الله البكرى - مصطفى السقا ج ٣ ص ١٦٠٣ ط عالم الكتب بيروت ١٤٠٣

ومج له فيه فافرغه فى بئره ثم نزع فطابت وعذبت ففعل مثل ذلك فانطلق الرجل ففعل بالسجل كما فعل السلمى فغرقت أرضه فما جف ثراها ولاادرك ثمرها ٠ (*)

المبحث السابع

حوار بين رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدعي النبوة

عـن بـن جبـير بن مطعم عن ابن عباس رضي الله عنه قال قدم مسـيلمة الكذاب على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (وفى روايـة ابن هشام (يستره بنو حنيفة بالثياب) من باب اضفاء الهالة عليه ورفعه عنهم كذلك فى زعمهم ٠فجعل يقول إن جعل لي محمد الأمر من بعده تبعته ومعه بشر كثير من قومه فأقبل إليه النبي صلى الله عليه وسلم ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت بن قيس بن شـماس وفي يد النبي صلى الله عليه وسلم قطعة جريدة حتى وقف علـى مسيلمة في أصحابه فقال له لو سألتني مثل هذه القطعة ما أعطيـتكها ولـن نعدوا أمر الله فيك(*) ولئن أدبرت ليعقرنك الله عز وجـل وإني لأراك الذي رأيت فيك ما رأيت وهذا ثابت يجيبك عني ثـم انصرف عنه قال عبد الله ابن عباس فسألت عن قول رسول الله صـلى الله عليه وسلم إنك أري الذي أريت فيه ما رأيت فأخبرنا أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال بينا أنا نائم أريت في يدي سـوار مـن ذهب فأهمني شأنهما فأوحي إلي في المنام أن انفخهما

(*) تاريخ الطبري ص ج ٣ ٢٨٦

(*) راجع سيرة النبي لابن هشام ج٦ ص ١٣٩٦

فنفخـــتهما فطارا فأولتهما كذابين بعدي فكان أحدهما العنسي صاحب صـــنعاء والآخـــر مسيلمة صاحب اليمامة (*) ومما سبق يتبين للقارى ان هذا الدعى قد اعترف برسالة النبى صلى الله عليه وسلم ولكـــنه لايؤمـــن بـــه الاكشريك له فى النبوة ورسول الله صلى الله عليـــه وسلم له دلائله النبوية وهذا الدعى لاحيلة له إلا أنه أراد الرئاســـة والفخـــر بيـــن قومه ومن حولهم من العرب، فتصور أن المشـــاركة تعـــنى الاستحواذعلى هذا الأمر ولقد ظهرت نوايا هذا الدعـــى فى اشتراطه على رسولنا صلى الله عليه وسلم أن يجعل له نصـــف الأرض مقـــابل إعلانه الولاءله وشهادته برسالته وتخفيف العبـــئ علـــيه من نحو عدم جلب الأعداء عليه ،وفى سبيل ترويج افكـــاره بدالـــه مايقوـــله الكهان من ألوان السجع ليجذب بها أرباب الرئاســـة ممن يعادون الإسلام ورسوله صلى الله عليه وسلم ،ولقد علمت العرب وأرباب الفصاحة أن هذا الكلام لايمكن أن يرقى أو أن يقـــابل بالقرآن الكريم،ومن هنا فلا يصح قوله إلا من شارب ومدمن خمـــر،ليســـعد شـــاربيه وأما كتاب ربنا فعجز أرباب الفصاحة عن الإتيان بمثله مع علمهم أنه ليس من كلام البشر والحق ما نطقت به الأعداء ولنستمع إلى قول الوليد بن المغيرة أحد أرباب الكفر وأهل الفصـــاحة القريشـــيين (فوالله ما هو بشعر ولابسحر ولابهذى من الجـــنون وان قوـــله لمن كلام الله ثم قال وان له لحلاوة وان عليه

(*) راجع دلائل النبوة لاسماعيل الاصفهانى ت محمد محمد الحداد ج١ ص٩٧ ط دار طيبة -الرياض الأولى ١٤٠٩

لطلاوة وانه ليعلو وما يعلى عليه ولكنه ما لبث امام نزعته العصبية وسطوة قومه الا قال (إن هذا الاسحر يؤثر ٭إن هذا إلاقول البشر)٭ فكـــان العاقبة منه تعالى لهذا المخادع (سأصليه سقر ٠٠٠٠٠)(٭)فما دار بين النبى وهذا الكذاب ليدلنا على صدق رسولنا صلى الله عليه وسلم وقوة ايمانه بربه وانه لن يعطى هذا الدعى شيئا لان امر النبوة بـــيد الله تعـــالى فهو أعلم حيث يجعل رسالته ،كما أن الأرض التى يريد هذا الدعى مناصفتها مع رسولنا صلى الله عليه وسلم لله تعالى يورثها من يشاء من عباده ٠ كما تحداه رسولنا صلى الله عليه وسلم وبين له عاقبة أمره والتى تمت فى عهد الصديق رضى الله عنه كما سيتبين لنا إن شاء الله تعالى ٠

(٭) راجع تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٦٠١ المجلد الثالث ط دار الصابونى ٠ والايات من سورة المدثر من ١١-٢٦

المبحث الثامن

من أقوالــــه

*إن مدعــيا للنــبوة قــد سار وراء هواه واتبع شيطانه وسعى لنيل الرفعة الزائفة والمكانة الزائلة بين قومه وقد امتلأ قلبه حسدا وحقدا على الإسلام ونبيه لايمكن أن يخط بقلمه أو يتلو ما يسمى فى نظره بالقــران إلا ظهــر على الفور سخفه ودنو منزلته، وصدق المولى اذيقــول لنبيه (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولاتخطه بيمينك اذ لارتاب المبطلون بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم) (*)وصدق أيضا إذ يقول (ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليميــن ثــم لقطعنا منه الوتين ٠٠٠)(٢) (*)ومن هذا المنطلق بات واضــحا أنّ القرآن معجزة خالدة لايمكن أنْ يعارضه أحد،فما منهم أحد يتكلف معارضته إلا افتضح وسقط وصار مهزأة ومعيرة يتماجن به وبما أني به ويتطايب عليه منهم مسيلمة بن حبيب الحنفي لما رام ذلك لم ينطق لسانه إلا بما يضحك الثكلى ٠وأورد ابن كثير قول هذا الدعى (والليل الدامس والذئب الهامس ما قطعت أسد من رطب ولايابس ٠ ويروى أيضا عنه أنّه قال فى معارضة سورة العصر

(*) سورة العنكبوت الاية ٤٨

(2) سورة الحاقة الايات ٤٤-٤٦

(*) ومن ناحية اخرى يتبين للقارئ فيما نقل عن هذا الدعى موضع جهله وبالتالى يحمد الله تعالى على ما رزقه من فهم واتاه من علم) راجع اعجاز القران لابى بكر القاسم ت السيد صقر ج ١ ص ١٥٦ ط داور المعارف

قوله ياوبر ياوبر إنما أنت إيراد وصدر وسائرك حفر نقر) فقال له عمرو بن العاص وقتئذ والله إنك لتعلم أني أعلم أنك تكذب (*)

وأيضا من هذا الكلام السميج قوله(والذاريات قمحا والمبذرات زرعا والحاصـــدات حصدا والطاحنات طحنا والخابزات خبزا والثاردات ثردا واللاقمات لقما اهالة وسمنا لقد فضلتم على أهل الوبر(*)

*وكـــان يقـــول (والشاء وألوانها وأعجبها السود وألبانها ، والشاة السـوداء واللبن الأبيض إنه لعجب محض،وقد حرم المذق،فما لكم لاتمجعون) (*) ومن أقواله (يا ضفدع بنت ضفدعين نقي كم تنقين لا المـــاء تكدريــــن،ولا الشارب تمنعين،رأسك في الماء،وذنبك في الطين ، ومثل قوله(الفيل وما أدراك ما الفيل له زلوم طويل إن ذلك من خلق ربنا لقليل(*)نظمه بله * وحكي عن غيره وأحسبه العنسي أنه قال(ألم تر كيف فعل ربك بالحبلى أخرج من بطنها نسمة تسعى من بين شراسيف وحشى ، وحكي عن آخر(الفيل ما الفيل، له ذنب وبـــيل ومشفر طويل فإن ذلك من خلق ربنا لقليل) وحكى الحكم عن عكـــرمة أن النضـــر بـــن الحرث وكان من فصحاء قريش عارض القرآن فقال(والزارعات زرعا والحاصدات حصدا،والطاحنات طحنا والعاجنات عجنا،والخابزات خبزا فاللاقمات لقما) وقال آخر(قد أفلح من هينم في صلاته وأطعم المسكين من مخلاته ... الخ(*)

(*) راجع البداية والنهاية ج ٥ ص ٣٢٠

(*) المرجع السابق ص ٣١٩

(*) راجع تاريخ الطبرى لابى جعفر محمد بن جرير الطبرى ج ت محمد ابو الفضل ٣ ص٢٨٤ ط دار المعارف الرابعة

(*) راجع منهاج تالسنة ج ٨ ص ٢١٣

(*) راجع اعلام النبوة ج١ ص ١٢٠

طرفا من تشريعاته:-

أمـــا فيما يخص التشريع فقد طالعنا هذا الدعى بأقوال لاتمت بصلة إلـــى الإسلام فنادى بإسقاط وجوب صلاتى الصبح والمغرب وجعل سقوطها مهرا لامرأته سجاح المتنبية فكفر وألحد،وقالوا بوجوب عقد صلاة الجمعة واكفروا من الخوارج والروافض من قال لا جمعة الـــيوم حتى يظهر إمامهم • وتابعه قومه فى اسقاط هذه التشريعات (*)

**كمـــا أنه لعنه الله شرع لمن تبعه أن الأعزب يتزوج فإذا ولد له ذكر فيحرم عليه النساء حينئذ إلا أن يموت ذلك الولد الذكر فتحل له النساء حتى يولد له ولد ذكر •(*)

تعقيب

مما سبق يتبين لنا :-

١- صـــدق المولـــى عزوجل فى حفظ كتابه أكبر دلالة فى وجه الكذابين والادعياء •

٢- أن القرآن الكريم يمتاز بألفاظه الرفيعة ومعانيه العالية •

٣- إن المعارضة تعنى الاتيان بالمثل أو بارقى منه •

٤- إن كلام هذا الدعى اتخذ وجهة السجع طريقاله وهى طريقة كانت تجرى على ألسنة كهان العرب وغيرهم يستقطبون بها

(*) الفرق بين الفرق البغدادى ج١ ص١٤ ،وص ٣٣٥ ط بيروت الثانية ١٩٩٧م
(*) راجع البداية والنهاية ص ٣١٤ ، ومنهاج السنة ج٧ ص ٣١٧

الاشــياع . فلم تكن المعارضة إن سلمنا بها من الوجهة البيانية، إذ بات واضحا أنها لاتخفى على العرب أرباب الفصاحة وإنما استهوى قومه من خلال سجع الكهان والذى يزعمون أنه من كلام الجن .(*)

المبحث التاسع

موقف الصديق رضي الله عنه من أقوال هذا الدعي

*قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما قريء عليه قرآن مسيلمة الكذاب فقال إن هذا كلام لم يخرج من آل يعني رب(*) وهكذا يتبين بداهــة كما يرى الغزالى ومن سار معه ورأى طريقته أن كلام هذا الدعــى كلام باطل وهذا هو منهاج يحصل العلم الضروري بصدق النبــي صلى الله عليه وسلم فتأمل في القرآن، وطالع الأخبار، إلى أن تعرف ذلك بالعيان، وهذا القدر يكفي في تنبيه المتفلسفة ذكرناه لشدة الحاجة إليه في هذا الزمان ، قلت فهذه الطريق التي ذكرها أبو حامد وغــيره تفضي أيضا إلى العلم من النبوة والتصديق منها بأكثر من القــدر الذي تقر به المتفلسفة، وما ذكره من المشاهدات والكشوفات التــي تحصــل للصوفية وأنهم يشهدون تحقيق ما أخبر به الرسول صــلى الله عليه وسلم ونفع ما أمر به فهذا أيضا حق في كثير مما أخبر به وأمر به ثم إذا علم ذلك صار حجة على صدقه فيما لم يعلمه

(*) مناهل العرفان فى علوم القران الزرقانى ج٢ ص ٢٤١ طدار الفكر بيروت الاولى ١٩٩٦م

(*) راجع شرح قصيدة ابن القيم ت احمد بن ابراهيم بن عيسى ، زهير الشاويش ج ١ ص ١٢٠ ط٣ بيروت ١٤٠٦

كمـــن ســـلك طريقا من العلم بفن من الفنون إذا رأى كلام متكلم في ذلك العلم ورآه يحقق ما عنده ويأتي بزيادات لا يستطيعها فإنه يعلم بمـــا رآه من مزيد تحقيقه لما شاركه في أصل معرفته أنه أعلم منه بما وراء ذلك،كمن نظر في الطب إذا رأى كلام بقراط ومن نظر في النحو إذا رأى كلام الخليل وسيبويه،ومن نظر في العلوم الدينية إذا رأى كلامـــه أئمـــة السلف،وكذلك من سلك مسلك الزهد والعبادة إذا بلغه سير زهاد السلف وعبادتهم،ومن والى الناس وساسهم إذا رأى ســـيرة عمـــر ابـــن الخطاب رضي الله عنه،وعمر بن عبد العزيز ونحوهما. فهذا كله مما يبين له عظمة قدر هؤلاء وأنهم كانوا أئمة في هذه الأمور،وفيما يصلح ويجب من ذلك ويعلم كل أحد الفرق بين ســـيرة العمرين وسيرة الحجاج والمختار بن أبي عبيد ونحوهما بل يعلـــم الفـــرق بين سيرة بني أمية وبني العباس وبين سيرة بني بويه وبنـــي عبـــيد،وأمثال ذلك كذلك يعلم الفرق بين نبينا محمد وموسى وعيســـى علـــيهم السلام وبين مسيلمة والأسود العنسي وأمثالهما بـــأدنى تأمل وهذه الطريق ينقسم الناس فيها إلى عام وخاص بسبب علمهـــم بالخـــير والشر والصدق والكذب ونحو ذلك وهذه تفيد العلم القطعي بأن الأنبياء أكمل(*)

(*) راجع العقيدة الاصفهانية ابن تيمية ت / ابراهيم سعيداى ج ١ ص ١٥٦ ط مكتبة الرشد الاولى ١٤١٥ ه

المبحث العاشر

نهاية وعاقبة

أخرج الدارقطني عن ابن عمر قال لما برز أبو بكر واستوى على راحلته أخذ علي بزمامها وقال إلى أين يا خليفة رسول الله أقول لك مـــا قال لك رسول الله يوم أحد شم سيفك ولا تفجعنا بنفسك وارجع إلى المدينة فوالله لئن فجعنا بك لا يكون للإسلام نظام أبدا و بعث خـــالدا إلـــى بني أسد وغطفان فقتل من قتل وأسر من أسر ورجع الباقون إلى الإسلام ثم إلى اليمامة إلى قتال مسيلمة الكذاب فالتقى الجمعان ودام الحصار أياما ثم قتل الكذاب لعنه الله قتله وحشي قاتل حمزة (*)

وتفصيل الأمر يحكيه وحشى قائلا (فلما خرج المسلمون إلى مسيلمة الكـــذاب خرجـــت معهم وأخذت بحربتى التى قتلت بها حمزة، فلما التقى الناس رأيت مسيلمة قائما فى يده السيف وما أعرفه، فتهيأت له وتهيأ له رجل من الأنصار من الناحية الأخرى كلانا يريده، فهززت حربـــتى حـــتى إذا رضيت منها دفعتها عليه فوقعت فيه وشدَّ عليه الأنصارى فضربه بالسيف، فربك أعلم أينا قتله، فإن كنت قتلته فقد قتلـــت خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم،(*) وقد قتلت شر الناس!

(*) راجع الصواعق المرسلة على ايلجهمية والمعطلة محمد بن ابى بكر الزرعى ت على محمد الدخيل ج١ ص ٤٦ ط دار العاصمة - الرياض الثالثة ١٩٩٨ م

(*) يقصد بذلك قتله حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه يوم أحد .

*وذكر ابن إسحاق بإسناده إلى عبد الله بن عمر، وكان شهد اليمامة قال: سمعت يومئذ صارخا يقول: قتله العبد الأسود.)(*)وهكذا عقره الله تعالي كما اخبر النبى صلى الله عليه وسلم فى حديثه مع هذا الدعى قائلا له ولن نعدوا أمر الله فيك أي لن نتجاوز وقوله ليعقرنك الله أي ليقتلنك الله ويهلكنك وقوله وإني لأراك الذي رأيت فيك ما رأيت أي رأيت في المنام فيك ما رأيت يعني ما ذكر من أمر السوارين ونفخهما فأما مسيلمة فقتل في خلافة أبي بكر رضي الله عنه وكان يدعي النبوة وأما العنسي فهو الأسود الكذاب تنبأ أيضا فقتل بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم(*)

(*)
(*)

نتائج

أولا :- إن بـــاب الوحـــى قـــد انقطع بعده عليه السلام ولم يبق منه إلا المبشـــرات كمـــا أخـــبر الرســـول صلى الله عليه وسلم من نحو الرؤيا الصادقة.

ثانيا :- إن القرآن الكريم لم ولن يستطيع أحد معارضته إلى قيام الساعة لأنهـــا تعـــنى الإتيان بالمثل أو بأحسن منه .وكل ماظهر على الساحة لم يكن إلا من هذيان العقل وهواجس الشياطيين .

ثالثا . إن النبوة ومقامها الرفيع لاتنال بالكسب والاختيار بل هى منة منه تعالى ورحمه يجعلها الله حيث يشاء.

رابعا :- إن الانبياء لم يورثوا دينارا ولادرهما ولم يشغلوا أنفسهم بمتاع الديـــنا الفـــانى وإن كـــان تحت امرتهم لأنهم اهل بلاغ وموعظة للناس وصدق الله إذا يقول عن أنبيائه :...(ومـــا اسئالكم عليه من أجر إن أجرى إلا علـــى رب العالمين)(*).كما لم يصدر عنهم ما يخل بعصمتهم كما رأينا عـــند هـــؤلاء الافاكين كمسيلمة وغيره كما أن تشريعاتهم منه تعالى فلا يمكـــن أن تتصـــادر مع طبيعة النفس الانسانية فلا دعوة لإباحيه أو إلى فوضى كما سلف بيانه فى تشريعات هذا الدعى.

خامســـا :- إن المرســـلين صلوات الله وسلامه عليهم . لم يمارسوا أى أسلوب للضغط أو الاكراه لأحد من المدعويين للإ يمان بدعوته بل كلهم علـــى ما نطق به ربنا سبحانه وتعالى (لااكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى)(*)وقوله(وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر.)

(*) سورة الشعراء (١٠٩)
(*) سورة البقرة ٢٥٦

(*)وقولـه (إنما انت منذر ولكل قوم هاد)(*) ألخ والتاريخ خير شاهد لنا عن أساليب الجبر والذى كانت تمارسه محاكم التفتيش القرون الوسطى ... وغيرها من معاقل الهدم والتخريب ٠ألخ ٠

سادسـا :-إن خـتم وأغلاق باب النبوة مؤيد بالأدلة المتنوعـة والتى يؤيدهـا الأعـداء قـبل الأنصار ولهذا فقدتناول المغرضون باب النبوة بأقوالهم الفاسدة ومن هنا فسروا آيات الله تعالى الصريحة فى ختم النبوة علـى مقتضى أهواءهم كقولهم فى قوله تعالى (ماكان محمد أبا أحد من رجـالكم ولكـن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شئ عليما) فقد جعلوا من الختم فى الآية أمرا مفتوحا وإليك تفسيراتهم لهذا الأمر ٠

١- إن خاتم معناه أفضل وليس معناه آخر أى أن محمدا صلى الله عليه أفضل النبيين وليس آخرهم فخاتم بالكسر تعنى الأفضل وبالفتح تعنى الزينة فهى مأخوذة من الخاتم الذى هو زينة . للابسه ٠

٢- أنـه خـاتم للأنبياء الذين جاؤا بشريعة مستقلة(*) وليس خاتما للرسـل فالختم الذى صرح به الله تعالى يقع على مقام النبوة وليس على مقام الرسالة فالرسالة مفتوحة ولم تغلق ٠

٣- لابد من استمرار النبوة وذلك لايتأتى إلامن خلال مظهر إلهى فـى كـل زمـن لـيكون هيكل عبادة الله ،فالله تعالى لايعبد ولايتعيـن إلامن خلال هذا النبى فلا تصدر الأفعال عنه تعالى

(*) سورة الكهف الآية (٩٢) ٠
(*) سورة الرعد الآية (٧)-
(*) راجع القاديانية دراسات نقد وتحليل احسان الهى ظهير ص ٢٦٩ ط دار ترجمان السنة ١٤٠٤هـ

وهـذا يستلزم ديمومة وجود النبى حتى لايتوقف الوجود الذى هو مظهر الحياة .

وقبل أن ندحض هذه الشبه التى دارت حول مقام النبوة والرسالة ينبغى أن نقف على معنى كلمة الختم عند أرباب اللغة حتى يتأتى لنا معرفة المعنى المقصود .

يقـول صـاحب القـاموس المحـيط (خـتم الشئ حتما بلغ آخره وعاقبةالشئ آخرته كختتمته ولآخر القوم كالخاتم). (*)

ويقول صاحب لسان العرب ختم فلان القرآن إذا قرأه إلى آخره ختم الشئ يختمه ختما بلغ آخره وختم الله له بخير وخاتم كل شئ وخاتمته عاقبـته واخرته واختتمت الشئ نقيض افتتحته وخاتمة السورة آخرها وختامه مسك أى آخره والخاتم من أسماء محمد صلى الله عليه وسلم (*).

وجـاء فى المعجم الوسيط (ختم النحل ختما وختاما ملا خليته عسلا وختم الشئ اتمه وبلغ اخره وخاتم كل شئ آخره (*).

*وكـذا حكـى هـذا القول الجوهرى وابن فارس والزبيدى ..ألخ وكلهم على كلمة واحدة . أن الخاتم يعنى الآخر والنهاية .

(*) القاموس المحيط الفيروز ابادى ج ٣ ـ٤ ط الثانية ـ الحلبى .
(*)(*)لسان العرب لابن منظور ج ١٢ ص ١٦٤ ط بيروت.
(*) المعجم الوسيط ج١ ص ٢١٨ الثانية .

*وهناك أحاديث عديدة تبين ختم النبوة نكتفى منها بقوله عليه السلام (إن مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وجمله إلا موضع لبنة من زوايه فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة فانا اللبنة وأنا خاتم النبيين)(*)

المفسرون والختم

يقـول ابـن كثير الآية نص على أنه لانبى بعده بالاحرى فلا رسول بعده لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة (*).

ويقول القرطبى فى تفسيره هذه الألفاظ (يشير إلى الختم ٠) مقتضية نصا أنه لانبى بعده صلى الله عليه وسلم)(*)

*ويقول الالوسى فى تفسيره (٠٠المراد بالنبى ما هو أعم من الرسول فيلزم من كونه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين كونه خاتم المرسلين ومعنى ذلك انقطاع حدوث وصف النبوة فى أحد من الثقلين ٠(*)

*ويقـول الشـيخ حسنين مخلوف (وخاتم النبيين أى أن الله ختم به النـبوة فطـبع عليها فلا تفتح لأحد من بعده حتى قيام الساعة وبكسر الـتاء خاتم اى جاء آخرهم وفى القرآتين بكسر التاء وفتحها خاتم او خاتم أنه صلى الله عليه وسلم آخر أنبياء الله ورسله فلا نبى بعده ولا رسول إلى يوم القيامة ٠(*)

(*) اخرجه مسلم فى صحيحه ك الفضائل ب ذكر كونه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ٠
(*) راجع تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ج ٣ ص ٤٩٢ ط دار المعرفة بيروت لبنان ٠
(*) راجع الجامع لأحكام القرآن القرطبى ج١٣ ص ١٩٦ الثانية دار احياء التراث ١٩٥٢ م
(*) راجع روح المعانى - الالوسى ج٢٢ ص ٣٢ ط ادار احياء التراث ٠٠
(*) راجع صفوة البيان لمعانى القرآن الشيخ حسنين مخلوف ص ٥٣٣ الاولى ط الشروق ١٩٨٢ م

مناقضات عقلية .

١- كيف يتاتى من أرباب القاديانية القول بأن كل الأنبياء بعد موسى كـــانوا خدما لشريعة موسى) لاريب أنه يناقض قولهم بأفضلية الرسول على غيره من الأنبياء .

٢- ذكــر الرســـول صـــلى الله عليه وسلم أن بنى اسرائيل كانت تسوســـهم الأنبياء كلما هلك نبى خلفه نبى وأنه لانبى بعدى .)فنعـــتهم بـهذا الوصف مع أنهم لم يكونوا كلهم أصحاب شريعة مســـتقلة فلوكانواكذلك لما سماهم أنبياء وأن من سيأتى خلفاء وليسوا أنبياء .(*)

٣- قوـــله تعالى الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس)(*) ليس فيه ما يدل على فتح باب النبوة كما يدعى اعدء الاسلام بل الاية فالمضــــارع فى يصطفى يستعمل للدلالة على تجدد الفعل فى الماضى ولاسيما الفعل المتصل بزمان الخطاب فهذه الآية وغيرها قد نزلت والوحى لم يزل جاريا والأحكام التى تنتظم بها الشريعة ويكمل بها الدين ما زالت تنزل على حسب ما تقتضيه الحكمة . كما أن الآية فى نزولها سابقة على قوله تعالى (٠٠ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شئ عليما)(*)، والأحاديث صريحة فى ختم النبوة

(*) راجع القاديانية إحسان الهى ظهير ص ٢٨٠
(*) سورة الحج الاية
(*) سورة الاحزاب الآية

٤- قولــه عليه السلام للعباس رضى الله عنه ياعم أقم مكانك الذى أنــت به فأن الله تعالى يختم بك الهجرة كما ختم بى النبوة فليس فيه ما يدل على كون الكلمة تعنى الأفضلية ولكنها تعنى الأخرية وذلك لأنّ العباس رضى الله عنه هاجر قبل الفتح بقليل ٠

٥- ماورد من القول بأن معنى الخاتم الزينة قول مردود فهو منسوب لأحـد علماء الشيعة وهو قولهم على لسان النبى صلى الله عليه وسلم (أنا خاتم النبيين وأنت يا على خاتم الأولياء)٠وهذا القول عـند صــاحب كتاب الصافي(*) لم ينسب لأحد والرجل يعترف ضمنا بختم النبوة به عليه السلام كما أن الولاية مستمرة لأنه لم يـرد فـيها نص صريح فالله تعالى حدد صفاتهم وأوصافهم فمن تحققت فيه فهو الولى قال تعالى (ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون الذين آمنوا وكانوايتقون ٠)(*)

٦- إن دعــوى اســتمرار النبوة عند هؤلاء القوم مبنى على أصول فاسدة تناقلها أرباب التشيع وغيرهم من البيئات الفارسية وغيرها وهو ما يتعلق بالتناسخ والحلول وما بنى على فاسد فهو فاسد ٠ (*)

(*) راجع علم التوحيد فى ضوء العقل والنقل د/ مبارك حسن حسين ص ٤٠٧ وما بعدها

(*) سورة يونس الاية

(*)يلزم القول بالتنا سخ المساواة بين الكافر ين والمؤ منين فالعاصى يلجأ للتناسخ ليعود إلى الحياة السعيدة ومن ثم يتساوى مسيلمة الكذاب مع غيرممن طالتعى هذه الا مة٠

•يلــزم القول بالتناسخ أنّ تكون الرسالات السماو ية عبثا لا فائدة منها،فلم يجاهدالمجاهدون ويتطهر الأخلاقيون مادام التناسخ مو جودا ولا معنى للتوبة والإ نابة إلى الله ٠

•يلزم القول بالتناسخ عدم فناء الحياة بالموت الجسدى فلا آخرة ولا حساب ٠٠٠٠٠٠الخ

• يلزم القول به ضيق سعة رحمة الله وعجزه وذلك لعدم قدر ته على خلق أرواح بعدد الأجسام المخلوقة ٠

٧- إن الحكـم للنـبى عليه السلام بأنَّه خاتم اللنبيين يلزم منه كونه خاتم المرسلين • لأنَّ النبوة من مقومات الرسالة •

والله أعلى واعلم

---

* مهدت هذه العقيدة الباطلة للقول بالحلول والذى سار فى طريقه طوائف عديدة وهى أساسيات للو ثنيات القديمة والحديثة•

* تجعل هذه العقيدة الأرض محلا للذنب والطهارة فى آن واحد فلا قيامة ولا نشور ولا حساب••••••الخ •

*إنها تنحدر با لإ نسان إلى مرتبة دنيئه حيث يتساوى مع الحيوانات والحشرات ••••••••الخ بل إنها تنزله كرامة وشرفا لأنَّه ينقص إيا ها •وهذا من التكريم الا لهى للانسان • راجع اضواء على الفرق الاسلامية للمؤلف•

الكرامة والمعجزة

****

بعد أنّ وقفنا على المعجزة تعريفا ودلالة واهمية نقف الآن فى هذه السطور التالــية على مفهوم الكرامة والفرق بينها وبين المعجزة،فقد علمنا سابقا أن المعجــزات قد ولى زمنها بختم نبوته عليه الصلاة والسلام وهذا يحتاج منا لمزيد من الإيضاح حول الكرامة فما هى الكرامة ؟

عــرفها المــتكلمون بأنها :أمر خارق للعادة يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح ملتزم لمتابعة نبى كلف بشريعته مصحوبة بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح علم بها اولم يعلم)[١]. وهذه الكرامة جائزة عقلا وواردة سمعا.كما حكى القرآن الكريم عن مولى سليمان عليه السلام فى قصة عرش بلقيس فقد قال عن احضاره اليه (أنا أتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك فلما رآه مستقرا عــنده قال هذا من فضل ربى ليبلونى)[٢].وقصة مريم حين قال لها زكريا (كلمــا دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يامريم انى لك هذا قالــت هــو مــن عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب)[٣]فالكرامة للأولياء الصادقين الذين قال الله عنهم (الإأن أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم

(1) راجع شرح جوهرة التوحيد ص١٥٤.
(2) سورة النمل الآية ٤٠
(3) سورة ال عمران الآية ٣٧

يحــزنون الذيــن آمــنوا وكانوا يتقون* لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة..)[١]

كمــا أن هذا الولى يكون تابعا لنبى عصره وكل ما يظهر فى حق هذا الولى لايعــارض ماجــاء بــه النبى لأنَّ نورهما من مشكاة واحدة ألاوهى التأييد الإلهى يقول الإمام الشهرستانى (اعلم أن كل كرامة تظهر على يد ولى فهى بعيــنها معجــزة لنــبى إذا كان الولى فى معاملاته تابعا لذلك النبى وكل ما يظهــر فــى حقه فهو دليل على صدق أستاذه وصاحب شريعته فلا تكون الكــرامة قط قادحة فى المعجزات بل هى مؤيدة لها داله عليها راجعة عنها وعائدة اليها). [٢]فالمعجزة للنبى والكرامة للولى كما أنَّ المعجزة يقصدبها الــتحدى والكــرامة خــلاف ذلك وقد بين الفيروز ابادى بعض الفروق بين المعجــزة والكــرامة مــنها" أن المعجزة مختصة بالنبى دائما وقت اظهارها وتقرت بالتحدى وتحصل بالدعاء ولاتكون ثمرة العمليات المرضية ولايمكن تحصيلها بالكسب والجهد ،وأما الكرامة فموقوفة على الولى ويكون كتمانها واجبا عليه وإذا أراد اظهارها زالت وبطلت وربما تكون موقوفة على الدعاء والتضــرع وفى بعض الأوقات قد يعجز عن إظهارها .)[٣]فالعبد يجتهد فى العبادة وعندئذ يحبوه الله برعايته وفضله فيجزله بالكرامات والتى قد لاينالها

---

[١]* سورة يونس الايتين ٦٢،٦٣

[٢] نهاية الأقدام – الشهرستانى ص ٤٩٧

[٣] بصائر ذوى التميز الفيروز ابادى ط المجلس الاعلى للشئون الاسلامية م (١) ج(٣) ص ٦٦ عدد نوفمبر ٩٨٦

غــيره فهذا الأمر كما قال الله عنه (واتقوا الله ويعلمكم الله ٠٠)[١]وهو فى مقامــه هــذا لايزيده هذا الامر إلا خضوعا وتذللا لله تعالى ٠فيكون ذلك زيادة لهم فى أمورهم وقوة على مجاهداتهم وشكرا لله تعالى على ماأعطاهم[٢] .

*وإلــى إمكــان وقوعها ذهب جمهور الاشاعرة،وأبو الحسين البصرى من المعــتزلة فظهــور الأمــر الخارق للعادة على يد رجل قد تحلى بالطاعات وتخلــى علــى الرازائل وزهد فى الشهوات لايلزم من فرض وقوعه محال وكل ما كان كذلك فهو جائز الوقوع ٠

* بيــنما ذهــب الماتــردية إلــى وقوعها على طريق نقض العادة ووافقهم الصــوفية فى ذلك وقالوا لاتشتبه بالمعجزة وأنها تأييد من الله للنبى وإظهار لدعوتــه وهــى تحــدث للأولــياء من حيث لايعلمون ٠والأنبياء تكون لهم المعجزات وهم بهاعالمون ٠

*وأمــا المعــتزلة فقد أنكروا الكرامة وقالوا إنها تشبه المعجزة ولا خلاف بينهما إلافى اللفظ والمعجزات لاتكون إلا للأنبياء فكذلك الكرامة وذلك رأيهم والذى حلل على دعوى أنه لو جاز لانسد طريق الوصول لمعرفة النبى وأن فــائدة ظهورها معدومة بخلاف المعجزة فإن الحاجة إلى معرفة النبى ماسة ولاحاجــة إلــى معــرفة الولى إذ ليس فى ولايته تكليف بالاعتقاد)[١].

---

(١) سورة البقرة الاية ٢٨٢

(٢) التعرف لمذهب أهل التصوف ص ٧٣

(١) التمهيد- النسفى – ت حبيب الله ص٢٥٢

*بعد أن وقفنا على تعريف الكرامة والفرق بينها وبين السحر نطل الآن على بعض الهبات الإلهية لأوليائه الصادقين .

قصة مريم مع زكريا عليه السلام

*عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وجد عندها رزقا قال عنبا في مكتل حيـــنه ، أخبرنا محمد بن الحسين بن الفضل الهاشمي قال ثنا الحسين بن إسماعيل قال ثنا سعيد بن يحيى الأموي قال ثنا أبي قال ثنامالك بن مغول عـــن إبراهيم بن مهاجر عن مجاهد في قوله تعالى وجد عندها رزقا قال وجـــد فاكهـــة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء فذكر العنب والرمان ونحو ذلك ، أخبرنا علي بن محمد بن عمر قال ثنا عبد الرحمن بـــن ابـــي حاتم ثنا أبو سعيد وعثمان قال ثنا أبو أسامة عن النضر عن عكرمة وجد عندها رزقا قال ، فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف فـــي الشتاء . أخبرنا علي بن محمد بن عبد الله أنا عثمان بن أحمد قال ثـــنا محمد بن غالب قال ثنا موسى بن مسعود قال ثنا شبل بن عباد عن ابـــن أبـــي نجيح عن مجاهد وجد عندها رزقا عنبا وجده زكريا ثم مريم زمانـــه ، ومن علي بن محمد بن عمر ثنا عبد الرحمن بن أبي حاتم قال ثنا أبـــو سعيد وعثمان ثنا وكيع عن أبيه عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبـــير قال وجد عندها رزقا قال عنبا * أخبرنا الحسن بن عثمان أنا محمـــد بـــن عبيدالله ثنا إسحاق بن الحسن قال ثنا حسين عن شيبان عن قـــتادة في قوله تعالى كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا

١- راجع كتاب كرامات الأولياء . ت هبة الله بن الحسن اللالكائي تحقيق أحمد سعد حمدان ط طيبة الرياض ١٤١٢هـ ،

قـــال حدثنا أنه كانت تؤتى بفاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء فعجب من ذلك زكريا •

قصة أصف مولى سليمان عليه السلام

عن ابن عباس رحمه الله في قوله تعالى يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقـــامك وإني عليه لقوى أمين قال سليمان أريد أعجل من هذا قال الذي عـــنده علـــم مـــن الكتاب وهو رجل من الإنس وهو الذي عنده علم من الكتاب فيه اسم الذي إذا دعي به أجاب قال أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك قال فدعا بالاسم وهو عنده قائم فاحتمل العرش احتمالا حتى وضع بين يدي سليمان والله صنع علم ذلك•

انجاب سارة من ابراهيم عليه السلام

قـــال تبارك وتعالى في قصة سارة زوجة إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب قالت يا ويلتي أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا إن هذا لشيء عجيب قالوا أتعجبين من أمر الله رحمت الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد *فـــروي عـــن ضمرة بن حبيب في تفسيره أن سارة لما بشرها الرسل بإسحاق قال فبينما هي تمشي وتحدث حين أنست بالحيضة فحاضت قبل أن تحمل بإسحاق وكان قولها للرسل حين بشروها بإسحاق قد كنت شابة وكان إبراهيم شابا فلم أحمل فحين كبر وكبرت أألد قالوا أتعجبين من ذاك

يا سارة فإن الله قد صنع بكما ما هو أعظم من ذلك إن الله تعالى قد جعل رحمته وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد ،

كرامة بصالح الأعمال

* عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلمينا ثلاثة نفر فيمن كان قبلكم يمشون إذ أصابهم مطر فأووا إلى غار فانطبق عليهم فقال بعضهم لبعض يا هؤلاء والله لا ينجيكم إلا الصدق فليدع كل رجل منكم بما يعلم الله أنه قد صدق فيه قال أحدهم اللهم إن كنت تعلم أنه كان أجير لي عمل على فرق من أرز فذهب وتركه فزرعته فكان من أمره أني اشتريت من ذلك الفرق بقرا ثم أتاني يطلب أجره فقلت له اعمد إلى تلك البقر فسقها فقال إنما لي عندك فرق من أرز فقلت اعمد إلى تلك البقر فسقها فإنها من ذلك فساقها ، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك فانساحت عنهم الصخرة وقال الآخر اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي أبوان شيخان كبيران فكنت آتيهم كل ليلة بلبن غنم لي فأبطأت عليهم ذات ليلة فرقدا وأهلي وعيالي يتضاغون من الجوع وكنت لا أسقيهم حتى يشرب أبواي فكرهت أن أوقظهما من رقدتهما وكرهت أن أرجع فيستيقظا لشربتهما فلم أزل أنتظرهما حتى طلع الفجر فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك فانساحت عنهم الصخرة حتى نظروا إلى السماء وقال الآخر اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي ابنة عم من أحب الناس إلي فإني راودتها عن نفسها فأبت علي إلا أن آتيها بمائة دينار فطلبتها حتى قدرت عليها فجئت بها فدفعتها إليها فأمكنتني من نفسهافلما قعدت بين رجليها قالت اتق الله ولا تفض الخاتم

إلا بحقه فقمت عنها وتركت لها المائة دينار فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج الله تعالى عنهم فخرجوا أخرجه البخاري ومسلم

كرامة لصاحب العطاء

عـــن أبـــي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال بينما رجل بأرض فلاة فسمع صوتا في سحابة اسق حديقة فلان فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حرة فانتهى إلى الحرة فإذا هي أذناب شراج وإذا شرجه من تلك الشراج قد استوعبت الماء ؛ فتبع الماء فإذا رجل قائم في حديقة يحول الماء بمسحاته فقال له يا عبد الله ما اسمك قال فلان الاسم الذي سمع في الســحابة فقال له يا عبد الله لم سألتني عن اسمي إني سمعت صوتا في السحاب الذي هذا ماؤه يقول اسق حديقة فلان باسمك فما تصنع فيها قال ان قلت هذا فإني أنظر إلى ما خرج منها فأتصدق بثلثه وآكل أنا وعيالي ثلثه وأرد فيها ثلثه لفظ يعقوب أخرجه مسلم ٠

كرامة العابدين العاملين

* عـــن أبي هريرة قال كان جريج يتعبد في صومعته فأتته أمه فقالت يا جـــريج أنامك كلمني قال أبو رافع قال أبو هريرة فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصف لنا صفتها فقالت هكذا وضعت يدها على وجهها أنا أمك كلمني فصادفته يصلي ، فقال اللهم أمي وصلاتي فاختار صلاته ثم جاءته الثانية فقالت يا جريج أنا أمك كلمني فصادفته يصلي فقالت اللهم هـــذا جريج وإنه ابني وإني قد كلمته فلم يكلمني اللهم لا تمته حتى نزيه

المومسات قال ولو دعت عليه أن يفتن لافتتن قال وكان راعي ضأن يأوي إلى دير فخرجت امرأة من القرية فوقع عليها فحملت فولدت غلاما فقيل لها ممن هذا قالت من صاحب الصومعةقال فأقبلوا إليه بفئوسهم ومساحيهم فصوتوا به فصادفوه يصلي فلم يكلمهم فأخذوا يهدمون ديره فلما رأى ذلك نزل إليهم فقالواله سل هذه قال فتبسم ثم مسح رأس الصبي فقال من أبوك فقال أبي راعي الضأن فلما سمعوا ذلك منه قالوا نبني لك ما هدمنا بالذهب والفضة قال لا ولكن أعيدوه ترابا ثم علاه)واللفظ لحديث أبي النضر أخرجه مسلم•

عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (تحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج قال بينا رجل يسوق بقرته فأعيا فركبها فالتفتت إليه فقالت إني لم أخلق لهذا إنما خلقت لحراثة الأرض فقال من حول رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله سبحان الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فإني آمنت به وأبو بكر وعمر وليسا في المجلس فقال من حول رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنا آمنا بما آمن به رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بينا رجل يسوق غنما له عدا الذئب على شاة منها فأخذها فاتبعه فطلبه فالتفت الذئب فقال من لها يوم السبع يوم لا راعي لها غيري فقال من حول رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله سبحان الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فإني آمنت به وأبو بكر وعمر وليسا في المجلس فقال القوم فإنا آمنا بما آمن به رسول الله صلى الله عليه وسلم) أخرجه البخاري ومسلم من حديث سعد بن

إبراهـــيم وأبي الزناد عن أبي سلمة وليس في حديثهما في بني إسرائيل
.

، ثلاث عطايا ،

*عن أبا هريرة حدثه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن ثلاثـــة من بني إسرائيل أبرص واقرع وأعمى أراد الله تعالى أن يبتليهم فبعـــث إليهم ملكا فأتى الأبرص فقال أي شيء أحب إليك قال لون حســـن وجلد حسن قد قذرني الناس قال فمسحه فذهب عنه وأعطي لونا حسنا وجلدا حسناقال أي المال أحب إليك قال الإبل أو قال البقر شك ابن أبـــي طلحة إلا أن الأبرص أوالأقرع قال أحدهماالإبل وقال الآخر البقر فأعطـــي ناقة عشراء قال فقال يبارك لك فيهافأتى الأقرع فقال أي شيء أحـــب إلـــيك فقال شعر حسن ويذهب عني هذا قد قذرني الناس فمسحه فذهـــب عنه وأعطى شعرا حسنا قال فأي المال أحب إليك قال البقر قال فأعطـــي بقـــرة حاملا وقال يبارك لك فيها ثم أتى الأعمى فقال أي شيء أحـــب إليك قال أن يرد الله بصري فأبصر به الناس فمسحه فرد الله إليه بصـــره قـــال فأي المال أحب إليك قال الغنم قال فأعطي شاة والدا فأنتج هذان وولد هذا فكان لهذا واد من الإبل ولهذا واد من البقر ولهذا واد من الغنم ثم أتى الأبرص في صورته وهيئته وقال رجل مسكين قد تقطعت بـــي الحبال فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بعيرا أتبلغ عليه في سفري قال إن الحقوق كثـــيرة قال كأني أعرفك ألم تكن أبرص يقذرك الناس فتبرأ فأعطاك الله

تعالى قال لقد ورثت هذا المال كابرا عن كابر قال إن كنت كاذبا فصيرك الله إلـــى ما كنت وأتى الأقرع في صورته فقال له مثل ذلك فرد عليه مـــثل مـــا رد علـــيه هذا ثم أتى الأعمى في صورته وهيئته فقال رجل مسكين وابن سبيل تقطعت بي الحبال في سفري قال كنت أعمى فرد الله إلي بصري وفقيرا فأغناني فخذ ما شئت فوالله لا أمنعك اليوم شيئا أخذته لله عز وجل قال امسك مالك إنما ابتليتم قد رضي الله عنك لا أسألك اليوم شيئا وسخط على صاحبيك أخرجه البخاري ومسلم

الأمانة العائدة

عن أبـــي هريـــرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رجلا من بني إسرائيل سأل بعض بني اسرائيل أن يسلفه ألف دينار فقال ائتني بشهداء أشهدهم فقال كفى بالله كلاهما فقال ائتني بكفيل فقال كفى بالله كفيلا قال صدقت فدفعها إليه إلى اجل مسمى فخرج في البحر فقضى حاجته ثم التمس مركبا يقدم عليه لأجله الذي أجله فلم يجد مركبا فأخذ خشبة فنقرها فأدخل فيها الدنانير وصحيفة منه إلى صاحبه ثم سد موضعها ثم أتى بها الـــبحر فقـــال اللهم إنك تعلم أني تسلفت من فلان ألف دينارفسألني كفيلا فقلـــت كفـــى بالله كفيلا ورضي بك وسألني شهودا فرضي بك وإني قد جهـــدت أن أجد مركبا أبعث إليه الذي له فلم أجد مركبا وإني أستودعكها فـــرمى بها في البحر حتى ولجت ثم انصرف وهو في ذلك يطلب مركبا يخـــرج إلى بلده فخرج الرجل الذي كان أسلفه رجاء أن يكون مركب قد جاء بماله فإذا تلك الخشبة التي فيها المال فأخذها لأهله حطبا فلما كسرها

وجد المال والصحيفة ثم قدم الذي كان تسلف منه فأتاه بألف دينار ثم قال والله مازلـــت جاهدا في طلب مركب لآتيك بمالك فما وجدت مركبا قبل الذي جئت فيه فقال له هل كنت بعثت إلي بشيء قال إني أخبرك أني لم أجد مركبا قبل الذي جئت فيه قال إن الله قد أدى عنك الذي بعثت به في الخشبة فانصرف بمالك راشدااستشهد به البخاري قال الليث حدثني جعفر بـــن ربـــيعة سياق ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في تعظيم أولـــياء الله عـــز وجل وما أعطاه الله في أمته من ظهور الكرامات في حياته وأخبر عنهم بعد موته من بداية الآيات ٠

معاداة الأولياء

أخـــبرنا عبد الله بن مسلم بن يحيى وعمر بن زكار قالا أنا الحسين ابن إســـماعيل ثـــنا محمد بن علي بن بركة قال ثنا خالد بن مخلد قال حدثني ســـليمان بـــن بلال حدثني شريك بن عبد الله بن أبي نمر عن عطاء عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله تبارك وتعالى يقول من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب أخرجه البخاري عن محمد بن عثمان٠

نور وعطاء

أخـــبرنا محمد بن عبد الله بن القاسم وعلي بن محمد بن عبد الله قالا أنا إســـماعيل بن محمد قال ثنا أحمد بن منصور قال ثنا عبد الرزاق قال أنا

معمر عن ثابت بن أنس أن أسيد بن حضير الأنصاري ورجلا آخر من الأنصـــار تحدثا ثم النبي صلى الله عليه وسلم في حاجة لهما حتى ذهب من الليل ساعة وليلة شديدة الظلمة ثم خرجا من ثم رسول الله صلى الله علـــيه وسلم ينقلبان وبيد كل واحد منهما عصية فأضاءت عصا أحدهما لهما حتى مشيا في ضوئها حتى إذا افترقت لهما الطريق أضاءت للآخر عصاه فمشى كل واحد مهما في ضوء عصاه حتى بلغ٠

* عـــن عبدالله بن إبراهيم الرياحي قال ثنا أحمد بن يوسف قال ثنا أحمد ابن إبراهيم قال ثنا يحيى بن عبد الله بن بكير قال حدثني الليث عن يزيد بـــن عبد الله بن الهاد عن عبد الله بن جناب عن أبي سعيد الخدري عن أسيد بن حضير أنه كان من أحسن الناس صوتا بالقرآن قال فقرأت ليلة ســـورة البقرة وفرس لي مربوط ويحيى ابني مضطجع قريب منه فجالت جولـــة فقمـــت مالـــي هم إلا ابني يحيى فسكنت الفرس ثم قرأت فجالت الفـــرس فقمت ليس لي هم إلا ابني ثم قرأت فجالت فرفعت رأسي فإذا بشـــيء كهيئة الظلة فيها المصابيح تقبل من السماء فهالني فسكت فلما أصـــبحت غدوت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال اقرأ أبا يحيى فقلت قد قرأت فجالت الفرس فقمت ليس لي هم إلا ابني يحيى فقـــال اقرأ ابا يحيى فقلت قد قرأت فجالت الفرس فقمت ليس لي هم إلا ابنـــي يحـــيى فقـــال اقرأ يا ابن حضير فقلت قد قرأت يا رسول الله فرفعـــت رأسي فإذا كهيئة الظلة فيها مصابيح فهالني فقال تلك الملائكة دنوا لصوتك ولو قرأت حتى تصبح لأصبح الناس ينظرون إليهم –

*وعن أبي هريرة قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية عينا وأمـــر عليهم عاصم بن ثابت وهو جد عاصم بن عمر فانطلقوا حتى إذا كانوا ببعض الطريق بين عسفان ومكة نزولا ذكروا لحي من هذيل يقال لهـــم بـــنو لحيان فتبعوهم بقرب من مائة رجل رام فاقتفوا آثارهم حتى نزلوا منزلا نزلوه فوجدوا فيه تمرا تزودوه من تمر المدينة فقالوا هذا من تمـــر يـــثرب فاتـــبعوا آثـــارهم حتى لحقوهم فلما رآهم عاصم بن ثابت وأصـــحابه لجـــأوا إلـــى فدفد وجاء القوم فأحاطوا بهم فقالوا لكم العهد والميـــثاق إن نزلتم إلينا لا نقتل منكم رجلا فقال عاصم أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر اللهم رسولك فقاتلوهم فرموهم حتى قتلوا عاصما في سبعة نفر فنزل إليهم ثلاثة رهط وبقي خبيب وزيد ورجل آخر فأعطوهم العهد والميـــثاق فلما استمكنوا منهم حلوا أوتار قسيهم فربطوهم بها وانطلقوا بخبيب وزيد بن الدثنة حتى باعوهما بمكة فاشترى خبيبا بنو الحارث بن نوفـــل وكـــان قتل الحارث يوم بدر فمكث عندهم أسيرا حتى إذا أجمعوا علـــى قـــتله استعار موسى من إحدى بنات الحارث يستحد بها فأعارته قالت فغفلت عن صبي لي فدرج إليه قالت فأخذه فوضعه على فخذه فلما رأيـــته فزعت فزعا عرفه في والموسى في يده فقال أتخشين أن أقتله ما كنـــت لأفعـــل ذلك إن شاء الله قال فكانت تقول ما رأيت أسيرا خيرا من خبيـــب لقـــد رأيته يأكل من قطف عنب وما بمكة ثمرة وإنه لموثق في الحديـــد ومـــا كـــان إلا رزقا رزقه الله إياه قال ثم خرجوا به من الحرم ليقـــتلوه فقـــال دعوني أصلي ركعتين قال فصلى ركعتين ثم قال لولا أن

تروا أن ما بي جزع من الموت لزدت قال وكان أول من سن الركعتين
ثـــم القتل ثم قال اللهم أحصهم عددا ثم أنشد ما أبالي حين أقتل مسلما
على أي شق كان في الله مصرعي وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك
علـــى أوصال شلو ممزع ثم قام إليه عقبة بن الحارث فقتله قال وبعثت
قـــريش إلى عاصم ليؤتوا بشيء من جسده يعرفونه وكان قتل عظيما من
عظمـــائهم يوم بدر فبعث الله تعالى عليه مثل الظلة من الدبر فحمته من
رســـلهم فلم يقدروا على شيء منه أخرجه البخاري من حديث هشام عن
معمر

الدوام على الصفاء

عن أنس قال قال أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله إنا إذا
كنا عندك رأينا من أنفسنا ما نحب فإذا رجعنا إلى أهلنا فخالطناهم أنكرنا
أنفسنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو تدومون على ما تكونون عندي
وفي الخلا لصافحتكم الملائكة حتى تظلكم بأجنحتها عيانا قال عبد الرزاق
قال هو أو غيره ساعة وساعة

كرامة أويس القرني

بـــن جابر قال كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا أتت عليه أمداد
اليمن سألهم أفيكم أويس بن عامر حتى أتى على أويس فقال أنت أويس
بن عامر قال نعم قال من مراد قال نعم قال ثم من قرن قال نعم قال ألك
والـــدة أنـــت بها بر قال نعم قال وكان بك وضح فبرئت منه إلا موضع

الدرهـــم قال نعم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يأتي علـــيك أويـــس بن عامر مع أمداد اليمن ثم من مراد ثم من قرن كان به بـــرص فبرأ منه إلا موضع درهم له والدة وهو بها بر لو أقسم على الله تعـــالى لأبره فإن استعطت أن يستغفر لك فافعل فاستغفر لي نا سعيد به إلى زاد ابن القاسم في حديثه قال أين تريد قال الكوفة قال ألا أكتب لك إلى عاملها فيستوصي بك قال لأن أكون في غبرات الناس أحب إلي قال فلمـــا كـــان العام المقبل حج رجل من أشرافهم فقال له عمر كيف تركت أويسا قال رث البيت قليل المتاع قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وســـلم يقول يأتي عليك أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم مـــن قرن له والدة وهو بها بر وكان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم لو أقسم على الله لأبره فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل فلما قدم الرجل الكوفـــة أتـــى أويسا فقال استغفر لي فقال أنت أحدث عهدا بسفر صالح فاســـتغفر لي قال لقيت عمر قال نعم قال فاستغفرله قال ففطن له الناس فـــانطلق علـــى وجهه حتى أتى الجزيرة فمات بهالال أسير وكسوته بردا فكان كلما رآه عليه إنسان قال من أين لأويس هذا أخرجه مسلم عن بندار ومحمد بن المثنى .

قبس من التراث الكلامي
لإمام الحرمين الجويني

كتاب الإرشاد

إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد

تأليف

إمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله الجويني الشافعي

المتوفى سنة ٤٧٨ هـ

علق عليه وخرج آياته وأحاديثه

الشيخ زكريا عميرات

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

١٨٩

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

لمحة عن عصر المؤلف وحياته

إنه لا يغيب عن أحد أبداً ما وصلت إليه النهضة العلمية والفكرية والأدبية والفلسفية في العصر العباسي بالرغم من كثرة القلاقل وتزاحم الفتن وتعدد المذاهب والآراء، أضف إلى ذلك المنزلة الواهية التي انحطت إليها الخلافة وينتج عن ذلك كثير من الدويلات كالحمدانية بالجزيرة والسامانية فيما وراء النهر، ثم الفساد الإداري وجور الولاة والسلاطين مما أدى إلى اضطراب الحياة الاجتماعية في ذلك العصر.

بالرغم من كل هذا فإن الحقبة تلك كانت من أزهى حقبات الزمان وأغزرها فكراً وعلماً وفناً، حيث الأمراء والولاة يتنافسون على تشجيع العلماء والشعراء والنابغين في بلاد اجتمعت فيها ثقافات أمم مختلفة ـ العرب، فارس، الروم، اليونان، والهند ـ فتعددت بذلك المذاهب وانتشرت الآراء والأفكار، وراح كل مذهب يحاول الظهور والانتصار على غيره من المذاهب فكان لا بد من بروز فكر جديد قائم على الإقناع والبرهان.

ومن هذه المذاهب التي انتشرت آنذاك المعتزلة الذين مجدوا العقل، والشيعة الذين ينتظرون الإمام، والرافضة الذين لا يتوانون أبداً للسيطرة على الحكم، والفلاسفة الذين يحاولون بكل جهد أن يبثوا أفكارهم، ثم الأشاعرة الذين انبروا لدحض كل باطل ونصر كل عقيدة سليمة قائمة على الكتاب والسنة. وكان من بين العلماء الذين تصدوا للدفاع عن العقيدة الصحيحة عقيدة أهل السنة والجماعة مؤلف كتاب «الإرشاد».

المؤلف[١]

هو عبد الملك ابن الشيخ أبي محمد عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيويه، أبو المعالي الجويني ـ وجوين من قرى نيسابور ـ الملقب بإمام الحرمين لمجاورته بمكة أربع

(١) من البداية والنهاية لابن كثير.

سنين، كان مولده في تسع عشرة وأربعمائة، سمع الحديث وتفقه على والده الشيخ أبي محمد الجويني، وتفقه على القاضي حسين، ودخل بغداد وتفقه بها. خرج إلى مكة أربع سنين ثم عاد إلى نيسابور فسلم إليه التدريس والخطابة والوعظ، وكان يحضر مجلسه ثلاثمائة متفقه، وكانت وفاته في الخامس والعشرين من ربيع الأول سنة ثمان وسبعين وأربعمائة، عن سبع وخمسين سنة.

ونشأ أبو المعالي في بيت مشبع بالتقوى والورع وكان والده شديد الحرص على اجتناب الحرام حتى إنه أمر زوجته أن لا تدع أحداً يرضع ابنه غيرها، فاتفق أن امرأة دخلت عليها فأرضعته مرة، فأخذه الشيخ أبو محمد فنكسه ووضع يده على بطنه ووضع أصبعه في حلقه ولم يزل به حتى قاء ما في بطنه من لبن تلك المرأة. يقول ابن خلكان في كتابه وفيات الأعيان: وكان إمام الحرمين ربما حصل له في مجلسه في المناظرة فتور ووقفة فيقول: هذا من آثار تلك الرضعة.

ومن تصانيفه التي ألفها كما يذكر ذلك ابن كثير في البداية والنهاية:

١ ـ الشامل في أصول الدين.

٢ ـ البرهان في أصول الفقه.

٣ ـ تلخيص التقريب.

٤ ـ الإرشاد.

٥ ـ العقيدة النظامية.

٦ ـ غياث الأمم.

وغير ذلك مما سماه ولم يتمه. وقد رثي حين وفاته بمراثٍ كثيرة فمن ذلك قول بعضهم:

قلوب العالمين على المغالي	وأيام الورى شبه الليالي
أيثمر غصن أهل العلم يوماً	وقد مات الإمام أبو المعالي

أحدها إثبات جواز انبعاث الرسل رداً على البراهمة؛ والثاني المعجزات وشرائطها، وفيه تبيين تمييزها من الكرامات والسحر، وما يتميز به مدعي النبوءة؛ والثالث في إيضاح وجه دلالة المعجزة على صدق الرسول؛ والرابع في تخصيص نبوة نبينا محمد ﷺ بالآيات، والرد على منكريها من أهل الملل؛ والخامس الكلام في أحكام الأنبياء. وما يجب لهم وما يجوز عليهم.

فصــل

قد أنكرت البراهمة النبوءات، وجحدوها عقلاً، وأحالوا ابتعاث بشر رسولاً. ونحن نذكر ما يعتقدونه من شبههم، ونتفصى عنها أولاً. فمما يسترحون إليه أن قالوا: لو قدرنا ورود نبي لم يخل ما جاء به من أن يكون مستدركاً بقضية العقل، أو لا يكون مستدركاً بها. فإن كان ما جاء به مما يوصل العقل إليه، فلا فائدة في ابتعاثه، وما يخلو عن غرض صحيح عبث وسفه، وإن كان ما جاء به مما لا يدل عليه العقول، فلا يتلقى بالقبول، فإنما المقبول مدلول العقول.

وشبه البراهمة مبنية على تحسين العقول وتقبيحها، ولو نازعناهم في ذلك لم تستمر لهم شبهة ولكنا نسلم لهم جدلاً يقتضيه العقل، وأن لا يكون مستدركاً هذا الأصل، ونبين بطلان ما يعولون عليه مع تسليمه، فنقول:

لا يمتنع تأكيد أدلة العقول بما جاء به الرسول، وهذا بمثابة قيام أدلة عقلية على مدلول واحد، وإن كان الاكتفاء يقع بدلالة واحدة فلا نجعل ما عداها عبثاً. ثم لا يمتنع أن يقع في معلوم الله تعالى أن الرسول إذا ابتعث كان ابتعاثه لطفاً في الأحكام العقلية، ويتندب العقلاء لها عند إرسال الرسول، فإذا لم يمتنع ما قلناه بطل ادعاؤهم بخلو الابتعاث عن غرض.

ثم نقول: لم زعمتم أن ما جاء به الرسول ﷺ إذا لم يكن مدلول العقل كان باطلاً؟ وبم تنكرون على من يزعم أن ذلك يجري مجرى ما لو تقدم عليل إلى طبيب يسائله عما يصلح له، فهو على الجملة يعلم أن المبتغى ما يشفيه، ولكن لا يتعين له ما فيه شفاؤه، والطبيب ينص له على ما يشفيه. وكذلك المبعوث إليهم لا يتعين لهم قبل البعثة ما يصلحهم مما يبتعث الرسول فيه، فإذا أرسل نص على المراشد وأوضح مناهج المقاصد.

ويقال لهم: لم زعمتم أن العقول تغني عن ابتعاث الرسول ﷺ؟ فهلا جوزتم إرسال الرسل لتبيين الأغذية والأدوية، وتمييزها عن السموم المؤذية والأنبتة المضرّة، وشيء من ذلك لا يستدرك عقلاً؟ فإن قالوا: أطول التجارب يرشد إلى هذه المذاهب، قلنا: عدم التجارب إلى استقرارها يفضي إلى المعاطب واقتحام المضار. ولو ثبت الإرشاد أولاً، لما مست الحاجة إلى معاطات السموم وتمييزها عما عداها.

ومما تمسكوا به أن قالوا: ألفينا الشرع عندكم مشتملاً على أمور مستقبحة عقلاً، مع علمنا بأن الحكيم لا يأمر بالفواحش، ولا يندب إلى القبائح، قالوا: فمما تشتمل عليه الشرائع ذبح البهائم واستسخارها، والعقل قاض بقبح ذلك؛ قلنا: ما ذكرتموه ينعكس عليكم بإيلام الله تعالى البهائم والأطفال الذين لم يقترفوا ذنباً ولم يحتقبوا وزراً. فإن قالوا: ذلك عن الله حكمة، قلنا: فما كان حكمة من فعله، لم يبعد كون الأمر به أيضاً حكمة، وهذا القدر مغن في غرضنا.

وربما يشيرون إلى تخيلات لا يتشاغل بأمثالها لبيب، فيقولون: في الشرائع ما تردع منه العقول، كالانحناء في الركوع، والانكباب على الوجه في السجود، والتحسير، والتعري، والهرولة، والتردد بين جبلين، ورمي الجمار من غير مَرْمِيٍّ إليه، إلى غير ذلك مما يهزؤون به.

والوجه معارضتهم بما لا يجدون منه مخلصاً، فنقول: الرب تعالى قد يضطر عبده ويفقره ويعريه، ويتركه كلحم على وضم والسوءة منه بادية، ولو عرى واحد منا عبده مع تمكنه من ستره ومواراة سوأته لكان ملوماً، والرب تعالى يفعل من ذلك ما يشاء، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون. وهو الذي يسلب العقول، ويضطر المجانين إلى ما يتعاطونه مما تبقى مضرته، مع القدرة على أن يكمل عقولهم. فإذا لم يبعد ما ضربنا فيه الأمثلة، أن يكون فعلاً لله تعالى، لم يبعد أيضاً وقوعه مأموراً به.

فإن قالوا: إذا وقع ما ذكرتموه في أفعال الله تعالى، ففيه مصالح خفية هو المستأثر بعلمها، قلنا: فالتزموا مثل ذلك في الأمر بما استبعدتموه.

وللقوم شبه تتعلق بالمطاعن في المعجزات، ونحن نذكر عمدهم منها في تضاعيف الكلام إن شاء الله عز وجل.

والدليل على جواز إرسال الله الرسل وشرع الملل، أن ذلك ليس من المستحيلات التي يمتنع وقوعها لأعيانها، كاجتماع الضدين، وانقلاب الأجناس ونحوها، إذ ليس في أن يأمر الرب تعالى عبداً بأن يشرع الأحكام، ما يمتنع من جهة التحسين والتقبيح.

فإذا تبين ذلك؛ قلنا: بعده مسلكان؛ أحدهما أن ننفي أصل التقبيح والتحسين عقلاً، فلا يبقى بعده إلا القطع بالجواز؛ والثاني أن نسلم التقبيح جدلاً، ونقول: الإرسال ليس مما يقبح لعينه، بخلاف الظلم، والضرر المحض، ونحوهما، ولا يتلقى قبحه بأمر يتعلق بغيره؛ فإنه لا يمتنع أن يقع في المعلوم كون الانبعاث لطفاً، يؤمن عنده العقلاء ويلتزمون قضيات العقول، ولولاه لجحدوا وعندوا. فهذا قاطع في إثبات جواز النبوءات.

ومن القواطع في ذلك إثبات المعجزات كما نصفها، ودلالتها على صدق المتحدي. وإذا أوضحنا كونها أدلة على صدق مدعي النبوءة، ففي ذلك أبين رد على منكري النبوءة.

فصـــل

اعلموا أولاً أن المعجزة مأخوذة لفظاً من العجز، وهي عبارة شائعة على التوسع والاستعارة والتجوز؛ فإن المعجز على التحقيق خالق العجز، والذين يتعلق التحدي بهم لا يعجزون عن معارضة النبي ﷺ. فإن المعجزة إن كانت خارجة من قبيل مقدورات البشر، فلا يتصور أيضاً عجز المتحدين بالمعجزات، فإن العجز يقارن المعجوز عنه. فلو عجزوا عن معارضةٍ، لوجدت المعارضة ضرورة، والعجز مقترن بها على ما تقصيناه في كتاب القدر. فالمعنى بالإعجاز الإنباء عن امتناع المعارضة من غير تعرض لوجود العجز الذي هو ضد القدرة.

وقد يتجوز بإطلاق العجز على انتفاء القدرة، كما يتجوز بإطلاق الجهل على انتفاء العلم. ثم في تسمية الآية معجزة تجوز آخر أيضاً، وهو إسناد الإعجاز إليها، والرب تعالى هو معجز الخلائق بها، ولكنها سميت معجزة لكونها سبباً في امتناع ظهور المعارضة على الخلائق.

ثم اعلموا أن المعجزة لها أوصاف تتعين الإحاطة بها. منها أن تكون فعلاً لله تعالى، فلا يجوز أن تكون المعجزة صفة قديمة، إذ لا اختصاص للصفة القديمة ببعض المتحدّين دون بعض. ولو كانت الصفة القديمة معجزة، لكان وجود الباري تعالى معجزاً. وإنما المعجز فعل من أفعال الله تعالى نازل منزلة قوله لمدعي النبوءة: صدقت، على ما سنوضح وجه دلالة المعجزة على صدق الرسول، والذي ذكرنا جارٍ فيما لا يقع مقدوراً للبشر.

فإن قيل: هل يجوز أن يكون المشي على الماء، والتصعد في الهواء، والترقي في جو السماء معجزة؟ قلنا: لا يبعد تقرير ذلك معجزة إذا تكاملت صفات المعجزات، والحركات في الجهات من قبيل مقدورات البشر. وأما نفس الحركات، فمن اعتقد كونها من فعل الله تعالى، لم يبعد أن يعتقد كونها معجزة من حيث كانت فعلاً لله تعالى، لا من حيث كانت كسباً للعباد، فتكون القدرة على هذا التقدير والحركات معجزات.

فإن قيل: لو ادعى نبي النبوءة، وقال: آيتي أن يمتنع على أهل هذا الإقليم القيام مدة ضربها، فذلك من الآيات الظاهرة، وليست هي فعلاً، بل هي انتفاء فعل؛ وقد قال شيخنا رحمه الله: المعجزة فعل لله تعالى يقصد بمثله التصديق، أو قائم مقام الفعل يتجه فيه قصد التصديق. وأشار إلى ما ذكرناه. والوجه عندي أن القعود المستمر مع محاولة القيام هو المعجز، فرجع المعجز إلى الفعل. فإن قيل: إن القعود معتاد، والمعجز خارق للعادة؛ قلنا: القعود المستمر مع محاولة القيام في أقوام لا يعدون كثرة خارق للعادة؛ فهذا شريطة المعجزة.

ومن شرائطها أن تكون خارقة للعادة، إذ لو كانت عامة معتادة يستوي فيها البار والفاجر، والصالح والطالح، ومدعي النبوءة المحق بها والمفتري بدعواه، لما أفاد ما يقدر معجزاً تمييزاً وتنصيصاً على الصادق، ولا خفاء بذلك فنطنب فيه.

وللبراهمة أسولة يجب الاعتناء بها الآن. منها إن قالوا: خرق العوائد لا يستبعد [illegible] على الندور مرة أو مرتين، لا يخرج عن قبيل الخوارق، وإذا تكرر وتوالي صار معتاداً، ولا ينضبط ما يلحقه بالمعتاد ويخرجه عن الخوارق، فالقول فيه مستند إلى جهالة.

وهذا لا محصول له، وهو تحويم على جحد ضرورات العقول بتخييل ليس له تحصيل؛ فإنا باضطرار نعلم أن إحياء الموتى وفلق البحر وما شابههما ليس من الأفعال المعتادة، وعدم انحصار الأعداد التي تلحقها بالمعتاد لا يدرأ هذه الضرورة، ورب شيء لا تنضبط عدته ولا تكيف صفته، وإن كان معلوماً باضطرار. وهذا بمثابة إفضاء الأخبار المتواترة إلى العلم الضروري بالمخبر عنه، فلو أردنا ضبط أقل عدد يحصل التواتر بأخبارهم لم نجد إلى ذلك سبيلاً، وليس عدد فيه أولى من عدد.

وأقصى ما نذكره أن الأعداد التي ورد الشرع بها في الشهود ليست عدد التواتر، ثم ليس لنا بعدها عدد يقطع به. ومن خاطب غيره بما تُحَشِّمه فغضب، استيقن على الضرورة غضبه. ولا يمكن ربط العلم بغضبه على احمراره أو صفة أخرى من صفاته، فإن كل صفة يشار إليها قد توجد في غير حالة الغضب.

وإن قالت البراهمة: في أصلكم أن خرق العوائد وقلبها مقدور لله تعالى: فليس من المستحيل أن تطرد عادة ثم يعهد مثلها، ولو اطردت لخرجت عن كونها معجزة. فإذا ادعى نبي الرسالة، وتشبث بما يخرق العادة، فما يؤمننا أن يكون ذلك أول عادة ستطرد، ولو اطردت لما كانت آية. والقول في التَّقَصِّي عن ذلك يطول.

وأقرب شيء في ردهم أن نقول: لو قال نبي آيتي أن يقلب الله عادة معتادة ويطرد نقيضها، لكان ذلك أحق المعجزات بالدلالة على النبوءات. ولئن دل نادر واحد مع عود العادة إلى الاطراد، فلأن تدل عادة مطردة على مناقضته التي سلفت أولى. ثم إن استمر تمويههم في نادر يتحدى به نبي، فما قولهم فيه إذا بدر منه ذلك النادر، ثم انطوت أيام ودهور، ولم يعهد لذلك النادر كرور، فقد خرج عن أن يكون ابتداء عادة عوادة.

ومن أعظم شبههم في ذلك، أن قالوا: كيف يتيقن العاقل كون ما جاء به النبي خارقاً للعادة، وقد استقر في نفسه ما اطلع الحكماء عليه من خواص الأجسام وبدائع التأثيرات، حتى توصلوا إلى قلب النحاس ذهباً إبريزاً، أو جر الأجسام الثقال بالأدوات الخفيفة، إلى غير ذلك من بدائع الحكم ونتائج الفكر الثاقبة؟ هذا، ومما استفاض في البرية حجر له خاصيته في جذب الحديد، فما يؤمننا أن يكون مدعي النبوة قد عثر على سرّ من هذه الأسرار وتظاهر به؟

قلنا: هذا يجر إلى إنكار البداية والتشكك في الضروريات، وكل نظر يجر إلى دفع ضرورة فهو الباطل دون الضرورة. وبيان ذلك، أنا باضطرار نعلم أنه ليس في القوى البشرية والفكر الحكمية إحياء العظام بعد ما رمت، وإبراء الأكمه والأبرص، وقلب العصا حية تتلقف ما يأفك السحرة؛ ومن جوز التوصل إلى مثل ذلك بالحكم، ودرك الخواص فقد خرج عن حيز العقلاء.

وينبغي أن لا يبعد أن يكون في طرف من أطراف الأرض صقع تنبت فيه الحيوانات وتنمو نمو النباتات، حتى إذا التأم النبات علقت الحيوانات وجاءت بالحكم والآيات، إلى غير ذلك من الجهالات.

ثم إذا تحدى النبي بشيء قدرناه خارقاً، فلو لم يكن خارقاً لاشرأبّت النفوس لمعارضته، وانصرفت الدعاوى إلى فضحه وحطه عن دعواه. فإذا ذاعت الدعوى وشاعت آيتها والتحدي بها وتعجيز الخلائق عن الإتيان بمثلها، استبان بذلك أنه من الخوارق، وهذا القدر غرضنا في ذلك.

والشريطة الثالثة للمعجزة أن تتعلق بتصديق دعوى من ظهرت على يديه؛ وهذه الشريطة تنقسم إلى أوجه لا بد من الإحاطة بها.

منها أن يتحدى النبي بالمعجزة، وتظهر على وفق دعواه، فلو ظهرت آية من شخص وهو ساكت صامت فلا تكون الآية معجزة. وإنما قلنا ذلك لأن المعجزة تدل من حيث تتنزل منزلة التصديق بالقول على ما سنذكره، ولا يتأتى ذلك دون التحدي. فإن من ادعى أنه رسول الملك، وقال بمرأى منه ومسمع: إن كنت رسولك فقم واقعد ففعل الملك ذلك، كان ذلك بمثابة قوله: صدقت. ولو لم يدع الرسول ذلك، بل ادعى الرسالة مطلقاً، وقام الملك وقعد لما كان ذلك دالاً على تصديقه فلا بد من التحدي إذاً.

ثم يكفي في التحدي أن يقول: آية صدقي أن يحيني الله هذا الميت، وليس من شرط المتحدي أن يقول: هذه آيتي ولا يأتي أحد بمثلها؛ فإن الغرض من التحدي ربط الدعوى بالمعجزة، وذلك يحصل دون أن يقول: ولا يأتي أحد بمثلها؛ فهذا وجه من وجوه تعلق المعجزة بالدعوى.

ومن وجوهه أن لا تتقدم المعجزة على الدعوى، فلو ظهرت آية أو لا وانقضت، فقال قائل: أنا نبي والذي مضى كانت معجزتي، فلا يكترث به، إذ لا تعلق لما انقضى بدعواه. فإن قيل: إذا نظرنا إلى صندوق وألفيناه خلواً، وأقفلناه وتركناه بمرأى منا؛ فقال مدعي النبوءة: آية نبوءتي أنكم تصادفون في هذا الصندوق ثياباً، فإذا فتحنا الصندوق وألفينا المتاع كما وصف كان ذلك آية. قلنا: نحن وإن كنا نجوز تقدم اختراع ذلك المتاع على دعواه، ولكن قوله المبني على الغيب آية، وذلك مطابق لدعواه، فاعلموا.

فإن قيل: هل يجوز استيخار المعجزة عن دعوى النبوءة؟ قلنا: إن تأخرت وطابقت الدعوى كانت آية. ذلك مثل أن يقول النبي: آية صدقي انخراق العادة بكذا وكذا وقت الصبح؛ فإذا وقع ذلك كما وعد، وكان خارقاً للعادة كان آية.

فإن قيل: لو قال مدعي النبوءة ستظهر آيتي بعد موتي بوقت ضربه، فإذا وقع ما قاله بعد الوفاة على حسب دعواه، كان ذلك خارقاً للعادة؛ فالوجه عندي في ذلك أن نقول: إن كلف الناس التزام الشرع ناجزاً، والآية موقوفة، فقد كلفهم شططاً؛ وإن نص على الأحكام وعلى التزامها بوقت ظهور

يتبع.

ومن وجوه تعلق المعجزة بالتصديق، أن لا تظهر مكذبة للنبي، مثل أن يدعي مدعي النبوءة، فيقول: آية صدقي أن ينطق الله يدي، فإذا أنطقها الله تعالى بتكذيبه وقالت: اعلموا أن هذا مفتر فاحذوره، فلا يكون ذلك آية. ولو قال: آيتي أن يحيي الله هذا الميت، فأحياه الله تعالى فقام وله لسان زلق، فقال: صاحبكم هذا متخرص، وقد بعثني الله تعالى لأفضحه ثم خر صعقاً، فقد قال القاضي رضي الله عنه: هذه آية مكذبة لا تدل.

والذي عندي في ذلك أن التكذيب إن كان خارقاً للعادة فهو الذي يقدح في المعجزة، وذلك بمثابة نطق اليد بالتكذيب. فأما الميت إذا حيي وكذب فتكذيبه ليس بخارق للعادة. وللنبي أن يقول: إنما الآية إحياؤه وتكذيبه إياي كتكذيب سائر الكفرة.

فصل
في إثبات الكرامات وتمييزها من المعجزات

فالذي صار إليه أهل الحق جواز انخراق العادات في حق الأولياء، وأطبقت المعتزلة على منع ذلك، والأستاذ أبو إسحاق رضي الله عنه يميل إلى قريب من مذاهبهم.

ثم مجوزو الكرامات تحزبوا أحزاباً. فمن صائر إلى أن شرط الكرامة الخارقة للعادة أن تجري من غير إيثار واختيار من الولي، وصار هؤلاء إلى أن الكرامة تفارق المعجزة من هذا الوجه، وهذا غير صحيح لما سنذكره. وصار صائرون إلى تجويز وقوع الكرامة على حكم الاختيار، ولكنهم منعوا وقوعها على قضية الدعوى؛ فقالوا: لو ادعى الولي الولاية، واعتضد إيثار دعوته بما يخرق العادة، فإن ذلك ممتنع، وهؤلاء يقدرون ذلك تمييزاً بين الكرامة والمعجزة. وهذه الطريقة غير مرضية أيضاً، ولا يمتنع عندنا ظهور خوارق العوائد مع الدعوى المفروضة.

وصار بعض أصحابنا إلى أن ما وقع معجزة لنبي، لا يجوز وقوعه كرامة لولي؛ فيمتنع عند هؤلاء أن ينفلق البحر، وتنقلب العصا ثعباناً، ويحيي الموتى كرامة لولي، إلى غير ذلك من آيات الأنبياء؛ وهذه الطريق غير سديدة أيضاً. والمرضي عندنا، تجويز جملة خوارق العوائد في معارض الكرامات.

وغرضنا من تزييف هذه الطرق وإثبات الصحيح عندنا، والميز بين الكرامة والمعجزة، يستبين بذكرنا عُمد نفاة الكرامة؛ وتفصّينا عنها، وتعويلنا على القواطع في إثباتها.

فمما تمسك به نفاة الكرامة أن قالوا: لو جاز انخراق العادة من وجه، لجاز ذلك من كل وجه،

ثم يجر مقاد ذلك إلى ظهور ما كان معجزة لنبي على يد ولي، وذلك يفضي إلى تكذيب النبي المتحدي بآيته، القائل لمن تحداه: لا يأتي أحد بمثل ما أتيت به. فلو جاز إتيان الولي بمثله، لتضمن ذلك نسبة الأنبياء إلى الافتراء.

وهذا تمويه لا تحصيل له، إذ لا خلاف في أن الشيء الواحد من خوارق العوائد يجوز أن يكون معجزة لنبي بعد نبي، ثم لا يكون ظهوره ثانياً مكذِّباً لمن تحدى به أولاً. فإن قالوا: النبي يقيّد دعواه في خطاب من تحداه، ويقول: لا يأتي أحد بمثل ذلك إلا من يدعي النبوة صادقاً في دعواه. قلنا إن ساغ تقييد الدعوى بما ذكرتموه، فلا يمتنع أيضاً أن يقول النبي لا يأتي بمثل ذلك متنبي ولا ممخرق مفترٍ، ولا من يروم تكذيبي؛ وتخرج الكرامات عن هذه الجهات وليس تقييد أولى من تقييد.

ومما احتجوا به، أن قالوا: لو جوزنا انخراق العوائد للأولياء، لم نأمن في وقتنا وقوعه، وذلك يؤدي إلى أن يتشكك اللبيب في جريان دجلة دماً عبيطاً، وانقلاب الأطواد ذهباً إبريزاً، وحدوث بشر من غير إعلاق وولادة، وتجويز ذلك سفسطة وتشكك في الضروريات.

قلنا: هذا الذي ذكرتموه ينعكس عليكم في زمان الأنبياء؛ فإن الذين كانوا في مدة الفترة، وهي ما بين العروج بعيسى عليه السلام إلى ابتعاث محمد ﷺ، كان لا يسوغ منهم تجويز ما منعتم تجويزه في محاولة دفع الكرامات. ولما ابتعث النبي، وظهرت الآيات، وانخرقت العادات، اختلّ عن صدور العقلاء الأمن من وقوع خوارق العوائد.

وهذا سبيلنا في الذي دفعنا إليه، فنحن الآن على أمن من أن ما قدروه لا يقع. فإن قدر الله وقوعه قلب العادة، وأزال العلوم الضرورية بأن ما قدروه لا يقع. فقد بطل ما قالوه، واستبان بانفصالنا عنه أصل في الكرامة.

فإن قيل: ما دليلكم على تجويزها؟ قلنا: ما من أمر يخرق العوائد إلا وهو مقدور للرب تعالى ابتداء، ولا يمتنع وقوع شيء لتقبيح عقل لما مهدناه فيما سبق. وليس في وقوع الكرامة ما يقدح في المعجزة؛ فإن المعجزة لا تدل لعينها، وإنما تدل لتعلقها بدعوى النبي الرسالة ونزولها منزلة التصديق بالقول. والملك الذي يصدق مدعي الرسالة بما يوافقه وبما يطابق دعواه، لا يمتنع أن يصدر منه مثله إكراماً لبعض أوليائه. ولا يقدح مرام الإكرام في قصد التصديق، إذا أراد التصديق، ولا خفاء بذلك على من تأمل.

فإن قيل: فما الفرق بين الكرامة والمعجزة؟ قلنا: لا يفترقان في جواز العقل، إلا بوقوع المعجزة على حسب دعوى النبوة.

واستدل مثبتو الكرامات بما لا سبيل إلى درئه في مواقع السمع. فإن أصحاب الكهف وما جرى لهم من الآيات لا سبيل إلى جحده، وما كانوا أنبياء إجماعاً. وكذلك خصت مريم عليها السلام

بضروب من الآيات؛ فكان زكريا صلوات الله عليه يصادف عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء، ويقول معجباً: «أنى لك هذا». وتساقط عليها الرطب الجنيّ، إلى غير ذلك من آياتها. وكذلك أم موسى عليها السلام، ألهمت في أمره بما لا خفاء به. وجرى من الآيات في مولد الرسول عليه السلام ما لا ينكره منتم إلى الإسلام، وكان ذلك قبل النبوءة، والانبعاث والمعجزة لا تسبق دعوى النبوءة كما قدمناه.

فإن تعسف بعضهم وزعم أن الآيات التي استدللنا بها كانت معجزات لنبي كل عصر، فذلك اقتحام للجهالة. فإنا إذا بحثنا عن العصور الخالية، لم نلف الآيات التي تمسكنا بها مقترنة بدعوى، بل كانت تقع من غير تحد لمتحد. فإن قالوا: إنما وقعت للأنبياء دون دعواهم فشرط المعجزة الدعوى، فإذاً فقدت كانت خوارق العادات كرامة للأنبياء، ويحصل بذلك غرضنا في إثبات الكرامات ولم يكن في وقت مولد الرسول نبي تستند إليه آياته. فقد وضحت الكرامات جوازاً ووقوعاً، عقلاً وسمعاً.

فصـــل

هذا الفصل في إثبات السحر وتمييزه عن المعجزة ونذكر فيه إثبات الجن والشياطين والرد على منكريهم:

فأما السحر فثابت، ونحن نصفه أولاً، ثم ندل عقلاً على جوازه ونتمسك بموارد السمع على وقوعه ونذكر تمييزه عن المعجزة في خلال الكلام. فلا يمتنع أن يترقى الساحر في الهواء، ويتحلق في جو السماء ويسترق ويتولج في الكواء والخوخات، إلى غير ذلك مما هو من قبيل مقدورات البشر، إذ الحركات في الجهات من قبيل مقدورات الخلق. ولا يمتنع عقلاً أن يفعل الرب تعالى عند ارتياد الساحر ما يستأثر بالاقتدار عليه، فإن كل ما هو مقدور للعبد فهو واقع بقدرة الله تعالى عندنا.

والدليل على جواز ذلك، كالدليل على الكرامة. ووجه الميز هاهنا بين السحر والمعجزة كوجه الميز في الكرامة، فلا وجه إلى إعادته. وقد شهدت شواهد سمعية على ثبوت السحر؛ منها قصة هاروت وماروت، ومنها سورة الفلق مع اتفاق المفسرين على أن سبب نزولها ما كان من سحر لبيد بن أعصم اليهودي لرسول الله ﷺ، فإنه سحره على مشط ومشاطة تحت راعوفة في بئر ذروان. وسحر ابن عمر فتوعكت يده، وسحرت جارية عائشة رضي الله عنها.

واتفق الفقهاء على وجود السحر واختلفوا في حكمه، وهم أهل الحل والعقد، وبهم ينعقد الإجماع، ولا عبرة مع اتفاقهم بحثالة المعتزلة فقد ثبت السحر جوازاً ووقوعاً.

ثم اعلموا أن السحر لا يظهر إلا على فاسق، والكرامة لا تظهر على فاسق، وليس ذلك من مقتضى العقل، ولكنه متلقى من إجماع الأمة. ثم الكرامة وإن كانت لا تظهر على معلن بفسقه، فلا

تشهد بالولاية على قطع، إذ لو شهدت بها لأمن صاحبها العواقب، وذلك لم يجر لولي في كرامة اتفاقاً.

فإن قيل: بيّنوا مذهبكم في الجن والشياطين، قلنا: نحن قائلون بثبوتهم، وقد أنكرهم معظم المعتزلة، ودل إنكارهم إياهم على قلة مبالاتهم، وركاكة ديانتهم، فليس في إثباتهم مستحيل عقلي. وقد نصت نصوص الكتاب والسنة على إثباتهم. وحق اللبيب والمعتصم بحبل الدين، أن يثبت ما قضى العقل بجوازه، ونص الشرع على ثبوته. ولا يبقى لمن ينكر إبليس وجنوده، والشياطين المسخرين في زمن سليمان، كما أنبأ عنهم آي من كتاب الله تعالى لا يحصيها، مُسكة في الدين، وعُلقة يتشبث بها، و الله الموفق للصواب، وهذا غرضنا من هذا الباب.

بــاب

القول في الوجه الذي منه تدل المعجزة على صدق الرسول ﷺ

اعلموا، أرشدكم الله تعالى، أن المعجزة لا تدل على صدق النبي، حسب دلالة الأدلة العقلية على مدلولاتها. فإن الدليل العقلي يتعلق بمدلوله بعينه، ولا يقدر في العقل وقوعه غير دال عليه، وليس ذلك سبيل المعجزات.

وبيان ذلك بالمثال في الوجهين أن الحدوث لما دل على المحدث، لم يتصور وقوعه غير دال عليه، وانقلاب العصا حية، لو وقع بدياً من فعل الله عز وجل من غير دعوى نبي، لما كان دالاً على صدق مدعٍ فقد خرجت المعجزات عن مضاهات دلالات العقول.

فإن قيل: فما وجه دلالتها إذاً؟ قلنا: هذا مما كثر فيه خبط من لا يحسن علم هذا الباب. والمرضي عندنا أن المعجزة تدل على الصدق من حيث تتنزل منزلة التصديق بالقول، وغرضنا يتبين بفرض مثال، فنقول:

إذا تصدر ملك للناس، وتصدر لتلج عليه رعيته، واحتفل الناس واحتشدوا، وقد أرهق الناس شغل شاغل.

فلما أخذ كلٌ مجلسه، وترتب الناس على مراتبهم انتصب واحد من خواص الملك، وقال: معاشر الأشهاد! قد حل بكم أمر عظيم، وأظلكم خطب جسيم، وأنا رسول الملك إليكم، ومؤتمنه لديكم، ورقيبه عليكم، ودعواي هذه بمرأى من الملك ومسمع. فإن كنتُ أيها الملك صادقاً في دعواي، فخالف عادتك وجانب سجيتك، وانتصب في صدرك وبهوك، ثم اقعد، ففعل الملك ذلك على وفق ما ادعاه ومطابقة هواه، فيستيقن الحاضرون على الضرورة تصديق الملك إياه وينزل الفعل الصادر منه منزلة القول المصرح بالتصديق.

فهذه العمدة في ضرب المثال، وها نحن نبني عليه أسولة ونتفصى منها، ويندرج تحت ما نطرده أغراض يعظم خطرها.

فمن أهم الأسولة ما أدلى به المعتزلة، حيث قالوا: إذا جوزتم أن يضل الرب عباده، ويغويهم ويرديهم، فما يؤمنكم من إظهار المعجزات على أيدي الكذابين لإضلال الخلائق؟ وقال: أصلنا في تنزيه الرب تعالى عن فعل الجور وإضلال العباد، يؤمننا مما ألزمناكموه وتدل المعجزة على الصدق، من حيث نعلم أن الرب تعالى يخصصها بالصادقين. ولا يثبتها للكاذب فيضل الخلق.

والجواب عن ذاك، أن نقول: من شهد مجلس الملك في الصورة المفروضة، علم على الضرورة تصديق الملك من يدعي الرسالة، وإن لم يخطر لمعظم الحاضرين نظر وعبر وتفكر في أن الملك لا يغوي رعيته، ولا يطغى حاشيته، ولو كانت دلالة المعجزة على الصدق موقوفة على العلم بأن مظهر المعجزة لا يطغى ولا يضل، لاختص بالعلم برسالة الملك من نظر هذا النظر، واستدت منه العبر، وليس الأمر كذلك على اضطرار؛ والذي يكشف الحق في ذلك، أن الملك لو كان ظالماً غاشماً لا تؤمن بوادره، فالفعل المفروض ممن هذه صفته تصديق لمدعي الرسالة، وجاحد ذلك منكر للبديهة.

ثم نقول للمعتزلة: ما وجه دلالة المعجزة عندكم؟ فإن قالوا: وجهها علمنا بأن الله تعالى لا يضل خلقه، قلنا: فعلمكم على زعمكم يقارن المعتاد من الأفعال، حسب مقارنته للخارق منها للعادة، فجوزوا أن يقع فعل معتاد مع اعتقادكم علماً للنبي، فإن قالوا: لا بد من اختصاص المعجزة بوجه لأجله تدل، قلنا: فبينوه نتكلم عليه، فلا يزالون في عمه وحيرة، أو يرجعوا إلى الحق. فإذا أوضحوا وجهاً، سوى ما انتحلوه من فاسد معتقدهم، فنقول: لا تظهر المعجزة على يدي الكاذب؛ لأنها لو ظهرت لدلت على صدقه، وتصديق الكاذب مستحيل في قضيات العقول.

فإن قيل: هل تجوزون في المقدور وقوع المعجزة على حسب دعوى الكاذب، أم تقولون ليس ذلك من المقدور؟ قلنا: ما نرتضيه في ذلك أن المعجزة يستحيل وقوعها على حسب دعوى الكاذب، لأنها تتضمن تصديقاً والمستحيل خارج عن قبيل المقدورات، ووجوب اختصاص المعجزة بدعوى الصادق، كوجوب اقتران الألم بالعلم به في بعض الأحوال، وجنس المعجزة يقع من غير دعوى، وإنما الممتنع وقوعه على حسب دعوى الكاذب، فاعلموا ذلك.

فإن قيل: إن ثبت لكم ما ادعيتموه في المثال الذي فرضتموه، فبم تردون الغائب إلى الشاهد، مع علمكم بأنه لا بد من جامع بينهما، فإن روم الجمع من غير جامع يجر إلى الدهر والإلحاد؟

وربما عضدوا هذا السؤال بآخر، فقالوا: إنما علمنا رسالة مدعيها بقرائن الأحوال، وما أحسسنا منها، وذلك مفقود غير موجود في حكم الإله.

وهذا آخر عقدة في النبوءات، فإذا انحلت لم يبق بعدها للطاعنين مضطرب؛ فنقول مستعينين

بالله تعالى: ما ذكرناه شاهداً بمثابة التقريب، وضرب الأمثلة للإيضاح، ولم نذكره مستدلين به فإن سبيل ما ذكرناه من قبيل الضروريات، ولا يستدل عليها، ولكن قد تضرب فيها الأمثال.

وها نحن نوضح مثل ما ذكرناه شاهداً وغائباً، فنقول: المعجزة إنما تدل في حق من يعتقد الرب قادراً يفعل ما يشاء، فيقول النبي في مخاطبة من سبق اعتقاده للإلهية: قد علمتم أن ابتعاث النبي غير منكر عقلاً، وأنا رسول الله إليكم، وآية صدقي أنكم تعلمون تفرد الرب تعالى بالقدرة على إحياء الموتى، وتعلمون أن الله عالم بسرنا وعلانيتنا وما نخفيه من سرائرنا ونبديه من ظواهرنا، وإنما أنا رسول الله إليكم، فإن كنت صادقاً، فاقلب يا رب هذه الخشبة حية تسعى؛ فإذا انقلبت كما قال، وأهل الجمع عالمون بالله تعالى فحينئذٍ يعلمون على الضرورة أن الرب تعالى قصد بإبداع ما أبدع تصديقه، كما ذكرناه شاهداً.

وما موّهوا به من قرائن الأحوال، لا محصول له. فإن من كان غائباً عن المجلس الموصوف، فبلغه ما جرى، شارك الحاضرين في العلم بالرسالة وإن لم يحس حالاً، وكذلك لو كان الملك في بيت مستخل بنفسه، ودونه السجف المسدولة، فقال مدعي الرسالة: إن كنت رسولك فحرك الحجب، وأشل السجوف، ففعل ذلك كان تصديقاً، وإن لم ير الملك، فلما جرى التصديق من وراء الحجاب، انقطعت هذه الأسباب، وانحسمت الأبواب، ووضح الحق، والله المشكور على كل حال.

ويعتضد ما ذكرناه، بأن أهل المراء والشكوك تحزبوا في زمان الأنبياء؛ فمنهم من أنكر الإلهية، وخامرته الشكوك في النبوات لذلك؛ ومنهم من اعتقد كون النبي ساحراً، وصار إلى أن الصادر منه تخييل، وما اعتقد معتقد في دهر من الدهور كون المعجزة فعلاً لله تعالى على الابتداء، موافقاً لدعوى النبي، ثم استراب في النبوات وذلك شاهد على أن ذلك موقع ضرورة، لا مجال للشكوك فيه.

فهذا قولنا في دلالة المعجزة على صدق الرسول، ولا يكاد يستتب ذلك للمعتزلة. فإن معنى ما ذكرناه على القصد إلى التصديق، ويعسر على المعتزلة إثبات قصد الله تعالى؛ فإنهم نفوا إرادة قديمة ومنعوا كونه مريداً لنفسه. ووضح بما قدمناه. بطلان كونه مريداً بإرادة حادثة، فلا يبقى لهم متعلق في إثبات قصد إلى تصديق.

فصل

فإن قيل: هل في المقدور نصب دليل على صدق النبي غير المعجزة؟ قلنا: ذلك غير ممكن، فإن ما يقدر دليلاً على الصدق لا يخلو: إما أن يكون معتاداً، وإما أن يكون خارقاً للعادة. فإن كان معتاداً، يستوي فيه البر والفاجر، فيستحيل كونه دليلاً. وإن كان خارقاً للعادة، يستحيل كونه دليلاً دون أن يتعلق به دعوى النبي، إذ كل خارق للعادة يجوز تقدير وجوده ابتداء من فعل الله تعالى؛ فإذا لم يكن بد من تعلقه بالدعوى، فهو المعجزة بعينها.

فصــــل

فإن قيل: إن سلم لكم ما ذكرتموه من نزول المعجزة منزلة التصديق بالقول، فلا يتم غرضكم دون أن تثبتوا استحالة الخلف وامتناع الكذب في حكم الله سبحانه، ولا سبيل إلى إثبات ذلك بالسمع، فإن مرجع الأدلة السمعية إلى قول الله تعالى؛ فما لم يثبت وجوب كونه حقاً صدقاً، لا يستمر في السمع أصلاً. ولا يمكن أن يحتج في ذلك بالإجماع؛ فإن العقل لا يدل على تصحيح الإجماع، وإنما يتلقى صحته من كتاب الله تعالى.

ولا يمكن التمسك في تنزيه الرب تعالى عن الكذب بكونه نقصاً من وجهين: أحدهما أن الكذب عندكم تحكم لا يقبح لعينه؛ والثاني أنه لو سلم أنه نقص، فالمعتمد في نفي النقائص دلالة السمع. قلنا: أما الرسالة فإنها تثبت دون ذلك في الحال، ولا يتعلق إثباتها بأخبار تتصدى لكونها صدقاً أو كذباً. كأن المرسل قال: جعلته رسولاً، وأنشأت ذلك فيه آنفاً، ولم يقل ذلك مخبراً عما مضى.

وسبيل ذلك كسبيل قول القائل: وكلتك في أمري واستنبتك لشأني، فهذا توكيل ناجز يستوي فيه الصادق والكذب. ومحصول القول فيه أن صيغة التوكيل، وإن كانت أخباراً، فالغرض منها أمر بانتداب لشأن وانتصاب لشغل، والأمر لا يدخله الصدق والكذب. وآية ذلك أن الملك وإن نقم عليه كذب وخلف، فالفعل الذي فرضناه منه يصدق الرسول ويثبت الرسالة، قطعاً على الغيب من غير ريب. فهذا موقف لا يتوقف ثبوته على نفي الكذب عن الباري سبحانه وتعالى، فاعلموه.

ولكن لا يثبت صدق النبي، بعد ثبوت الرسالة، فيما يؤديه وينهيه، ويشرعه من الأحكام ويشرحه من الحلال والحرام، إلا مع القطع بتقدس الباري تعالى عن الخلف والكذب. فإن النبي يعتضد فيما يدعيه من صدق نفسه في تبليغه، بتصديق الله إياه. وما لم يثبت وجوب كون تصديقه تعالى حقاً صدقاً لا يثبت صدق النبي في أنبائه. وليس تصديقه فيما يبلغه تفصيلاً، بمثابة انتصابه رسولاً؛ فإن حقيقة نصبه يرجع إلى إثبات أمر، والإخبار عن صدقه فيما يخبر به يتعرض لكونه صدقاً أو كذباً.

وقد عول الأستاذ أبو إسحاق رضي الله عنه، في كتابه المترجم بالجامع، على فصل وحث على التمسك به. فقال: الأحكام لا ترجع عندنا إلى صفات الأفعال، وإنما ترجع إلى تعلق الكلام القديم بها. والشيء لا يجب لنفسه، ولكن يقضي فيه بالوجوب، للتوعد على تركه ووعد الثواب على فعله. والوعد والوعيد خبران، فلو لم يثبتا على حكم الصدق، لم يوثق بهما. وإذا كان كذلك، لم يتقرر إيجاب وحظر. وندب إلى الطاعة وتحذير من المخالفة. ويؤول قصارى ذلك إلى أن لا يتصور للباري تعالى أمر مطاع، وقد دلت الأدلة على كونه إلهاً قادراً عالماً، ولا تعقل الإلهية ممن لا

يتصور منه الأمر والنهي وقال عند اختتام هذا الفصل ولو لم يتفق في كتابنا إلا هذا لكان بالحري ان يغتبط به.

وقد أبنا ما فهمناه من كلام ذلك الحبر رضي الله عنه، ولسنا نرى ذلك مقنعاً في الحجاج، ولا سبيل إلى حسم الطلبات عما ذكرناه، ولا وجه لادعاء الضرورة. والذي عليه التعويل في غرض الفصل، أنا نقول: قد أوضحنا الطرق الموصلة إلى كون الباري سبحانه عالماً مريداً، وقد قدمنا ما فيه مقنع في إثبات كلام النفس. والعالم بالشيء المريد له، لا يمتنع أن يقوم به أخبار من المعلوم المراد، على حسب تعلق العلم والإرادة به.

وكل معنى يقبله الموجود، فإنه لا يعرى عنه أو عن ضده، إن كان له ضد، كما قرر في صدر الاعتقاد. فلو لم يتصف الباري تعالى بخبر صدق، لوجب اتصافه بضده؛ وإذا اتصف بضده استحال أن يقدر ذلك الصدق ذهولاً وغفلة عما قدرناه مخبراً عنه. فإن الذهول كما يضاد الخبر عن الشيء، فإنه يضاد أيضاً العلم به وإرادته. وإن كان ضد الخبر الصدق، خبراً هو خلف وكذب واقع على خلاف المخبر، فيجب مع تقدير ذلك الوصف بقدمه والقضاء باستحالة عدمه، لما قدمناه من إثبات قدم الكلام.

ثم يؤول منتهى ذلك إلى أنه يستحيل من الباري تعالى أن يخبر عما علمه، على حسب تعلق العلم به. وذلك معلوم بطلانه؛ فإنا نعلم قطعاً أن العالم بالشيء يستحيل أن يتصف، على علمه به بصفة يستحيل عليه معها كلام نفسه، المتعلق بمعلومه على حسب تعلق العلم به، حتى يقال مستحيل مع العلم به إخبار النفس عنه. فإذا امتنع ادعاء هذه الاستحالة شاهداً، وانتسب جاحد ما قلناه إلى دفع البديهة، فيلزم طرده شاهداً وغائباً.

فإن قيل: كيف ادعيتم البديهة في فرع أصله متنازع فيه، فإن معظم المتكلمين صاروا إلى إنكار كلام النفس؟ قلنا: الذي يدعي أهل الحق أن كلام النفس لا ينكر، وإنما التنازع في أن ما ادعيناه: هل هو كلام، أو هو اعتقاد، أو علم. فأما هواجس النفس وخواطرها، فالاتصاف بها معلوم لا يجحد.

فإن قالوا: ليس يمتنع مع تقدير كلام النفس، أن يعلم العالم كون زيد في الدار، ويدير في خلد نفسه مع ذلك أنه ليس في الدار، قلنا: هذا تخييل ووهم، فإن ذلك الكلام الدائر أخبار، وليس بخبر ناجز مثبت. والذي يحقق ذلك، أن العالم بالشيء مع الإخبار عنه على حسب العلم به بتاً قطعاً، يدير في نفسه ما صوره السائل. وحديث النفس على حكم الصدق مستدام، كما كان قبل خطور هذا التقدير.

ولو كان ما ألزمه السائل ثابتاً، لاستحال اجتماعه مع نقيضه. وكل عالم بالشيء مخبر عنه على حقيقته، يجد من نفسه على الضرورة الاتصاف بكونه مخبراً عنه، مع تقديره مخبراً، على حكم الخلف. وسبيل ذلك كسبيل العلم بالشيء على ما هو به، مع تقدير اعتقاده فيه على خلاف ما هو به، فلا يكون الاعتقاد المقدر مع العلم المتقرر اعتقاداً محققاً.

فاستبان بما ذكرناه، أن المصير إلى تقدير صفة يستحيل ...
المعلوم بالعلم، على حسب تعلق العلم به ادعاء استحالة تأباها العقول. ويعتضد ما ذكرناه بأن العالم بالشيء، لو لم يتكلف إخطار خلف بقلبه، لاستمر له حديث النفس صدقاً مع العلم بالذي يتكلف تقديراً، وليس بصفة مضادة للحديث الصادق.

فهذا القدر كاف هنا، وهو قاض باتصاف الباري تعالى بالكلام المتعلق بالمعلوم، على حسب تعلق العلم به. ومن ابتغى مزيداً على ذلك، فليتأمل الشامل.

القـول

في إثبات نبوءة نبينا محمد ﷺ

فصـــل

قد قدمنا ما يتعلق بإثبات أصل النبوءات على الجملة، وغرضنا الآن الاعتناء بإثبات نبوءة نبينا محمد ﷺ.

وقد أنكر نبوءته طائفتان، تمسكت إحداهما بالمصير إلى منع النسخ، وتمسكت الأخرى بالمماراة في آياته ومعجزاته. وذهبت طائفة من اليهود يسمون العيسوية[1]، إلى إثبات نبوءة محمد ﷺ، ولكنهم خصصوا شرعه بالعرب دون من عداهم.

فأما من أنكر النسخ، وإليه ذهب معظم اليهود، فمقصدنا في إبطال ما انتحلوه لا يتبين إلا بذكر حقيقة النسخ على اختصار واقتصار على ما فيه غنية.

فالمرضي عندنا، أن النسخ هو الخطاب الدال على ارتفاع الحكم الثابت بخطاب آخر، على وجه لولاه لاستمر الحكم المنسوخ. ومن ضرورة ثبوت النسخ على التحقيق، رفع حكم بعد ثبوته.

والمعتزلة يصيرون إلى أن النسخ لا يرفع حكماً ثابتاً، وإنما يبين انتهاء مدة شريعة، وإلى ذلك مال بعض أئمتنا، وقالوا: النسخ تخصيص الزمان؛ وعنوا به أن المكلفين إذا خوطبوا بشرع مطلق، فظاهر مخاطبتهم به تأبيده عليهم، فإذا نسخ استبان أنه لم يرد باللفظ إلا الأوقات الماضية.

وهذا عندنا نفي للنسخ وإنكار لأصله، ورد له إلى تبيين معنى لفظ لم يحط به أولاً وتنزيل له

(١) فرقة تنسب إلى أبي عيسى إسحاق بن يعقوب الأصفهاني وقيل: إن اسمه عوفيد ألوهيم أي عابد الله. كان في زمن المنصور وزعم أنه نبي وأنه رسول المسيح المنتظر. انظر الملل والنحل.

منزلة تخصيص صيغة عامة، والمخصص من الصيغة العامة غير مراد بها، ونحن نلزم المعتزلة ومن انتمى إلينا فصلين على موجب أصلين.

فنقول للمعتزلة: من أصلكم أن تأخير البيان عن مورد الخطاب إلى وقت الحاجة غير سائغ، فلو كان النسخ تبييناً له، لما استأخر عن اللفظ الوارد أولاً، كما لا يستأخر التخصيص عندهم عن اللفظة العامة لو جردت عن مخصصها، ولا محيص لهم عن ذلك.

ونقول للمنتمين إلينا: قد علمتم مصيرنا إلى جواز نسخ العبادة المفروضة قبل مضي وقت يسعها، ويستحيل مع المصير إلى ذلك القول بأن النسخ تبيين لانقطاع وقت العبادة، إذ يستحيل أن يقدر للعبادة وقت لا يسعها. ثم إبراهيم ﷺ، مأمور عندنا وعند أصحابنا بالذبح أولاً، ونسخ ذلك عنه آخراً، وعين المأمور به هو الذبح، ولم يكن أفعالاً تمتد وتتعدد، حتى يصرف الأمر إلى الشيء، والنسخ إلى غيره.

وإذا صرف النسخ إلى عين المأمور به، كان رفعاً للحكم على التحقيق؛ فإذا استبان ذلك رددنا على اليهود المنكرين للنسخ، وقلنا: ليس بين الجواز والاستحالة رتبة معقولة، ووجوه الاستحالة مضبوطة فرب شيء يستحيل لنفسه، كانقلاب الأجناس، واجتماع الضدين، والأمر بما نهى عنه ليس مما يستحيل لنفسه، فإن تصويره ممكن، لا استحالة فيه؛ فإذا لم يستحل لنفسه، امتنع صرف استحالته إلى غيره، إذ ليس في تجويزه خروج صفة من صفات الإلٰهية عن حقيقتها؛ فإن الحكم ليس بصفة للفعل نفسية كما قدرناه، وليس في تقدير النسخ ما يفضي إلى تغير العلم والإرادة، ولا يزال السبر يطرد حتى يستبين أن النسخ لا يستحيل لنفسه، ولا يفضي إلى استحالة في غيره.

فإن قالوا: بم تنكرون على من يزعم أنه يستحيل لإفضائه إلى اتصاف الباري تعالى بالبُداء، وهو متقدس عنه؟ قلنا: البداء يعبر عن استفادة علم ما لم يكن، ومن أحاط بما لم يكن محيطاً به، يقال بدا له، وقد يعبر به عن من يهم بأمر ثم يندم على ما هم، ولا يتقرر شيء من ذلك في النسخ؛ فإن علم الباري سبحانه متعلق بالمعلومات على ما هي عليه، ولا يتجدد له علم لم يكن، والإرادة على أصولنا لا يعتبر بها الأمر؛ فإن الرب سبحانه وتعالى يأمر بما لا يريده، ويريد ما لا يأمر به، فلم يبق لادعاء البداء وجه.

وقد تمسك نفاة النسخ بتخيل لا يقوم بالانفصال عنه إلا متبحر في هذا الشأن، وذلك أنهم قالوا: ما أوجبه الله تعالى فقد أخبر عن كونه واجباً؛ فلو حظره وأخبر عن كونه محظوراً، لانقلب الخبر الأول خلفاً واقعاً على خلاف مخبره، وذلك مستحيل.

والذي ذكروه تخييل ليس له تحصيل وذلك أن الوجوب ليس بصفة للواجب على أصلنا؛ والمعنى بكون الشيء واجباً أنه الذي قيل فيه «افعل»: فإذا أخبر الرب تعالى عن وجوب الشيء فمعناه أنه أخبر عن الأمر به؛ فإذا نهى عنه أخبر عن النهي عنه؛ فليس بين الإخبار عن الأمر به تحقيقاً وبين

الإخبار عن النهي عنه تناقض، فلا يتصف كل واحد من الخبرين بالخروج عن كونه [illegible].

وإنما تخيل هؤلاء ما قالوه، من حيث اعتقدوا الوجوب صفة للواجب، وقدروها مخبراً عنها، ثم قدروا الخبر عن نفسها. وصعب موقع ذلك عندهم من حيث علموا أن النسخ رفع حكم ثابت، وليس بآيل إلى تبيين ما لم يثبت. ومن أحاط بما ذكرناه، هان عليه مدرك الانفصال عن السؤال. وإذا ثبت جواز النسخ عقلاً، فليس تمنع منه دلالة سمعية.

وقد نبغت شرذمة من اليهود وتلقنوا من ابن الراوندي[1] سؤالاً واستذلوا به الطغام والعوام من أتباعهم، وقالوا: النسخ جائز عند الإسلاميين، ولكنهم قالوا بتأبيد شريعتهم إلى تصرم عمر الدنيا، فإذا سئلوا الدليل على ذلك، رجعوا إلى إخبار نبيهم إياهم بتأبيد شريعته؛ ونحن نقول قد أخبرنا موسى بتأبيد شريعته، فلتتأبد، وهو المصدق إجماعاً، وهذا الذي ذكروه باطل من وجهين.

أحدهما ما نقلوه لو صح لكان صدقاً، ولو ثبت صدقاً حقاً، لما ظهرت المعجزات على يدي عيسى ومحمد عليهما السلام، فلما ظهرت دلت على كذب اليهود. ومهما ظهرت معجزة في شرعنا على يد متنبي تنبأ، تبين إذ ذاك كذبنا في تأبيد شريعتنا، فهذا وجه ظاهر. فإن عادوا إلى القدح في معجزة عيسى ومحمد عليهما السلام، لم يبدوا وجهاً في مرامهم، إلا انقلب عليهم مثله في معجزة موسى، عليه السلام.

والوجه الثاني أن نقول لو صح ما قلتموه ولقنتموه، لكان أولى الأعصار بإظهار ذلك عصر النبي ﷺ، ومعلوم أن الجاحدين منكم لنبوءة محمد ﷺ لم يألوا جهداً في رد النبوءة، وغيروا نعت محمد ﷺ في التوراة، فلو كان فيها نص لا يقبل التأويل، في تأبيد شريعة موسى عليه السلام، لأظهر وعد من أقوى العصم. فلما لم يظهروه في زمن عيسى وعصر محمد عليهما السلام، إذ لو أظهروه لتوفرت دواعيهم على نقلهم، فاستبان بذلك، أن ذلك مما اخترعه نابغتهم، ويأبى اللَّهُ إلا أن يتمّ نوره.

فهذا غرضنا من الكلام في النسخ، وقد حان أن نتكلم في معجزة الرسول، بعد ما ثبت جواز النسخ بقضيات العقول.

فصل

الأولى بنا تصدير هذا الفصل بما يتعلق بالقرآن وتحقيق كونه معجزاً، ومقاصدنا نبينها في معرض أجوبة عن أسولة.

---

(١) أحد مشاهير الزندقة كان أبوه يهودياً فأظهر الإسلام ويقال أنه حرّف التوراة كما عادى ابنه القرآن بالقرآن وألحد فيه وصنف كتاباً في الرد على القرآن سماه الدافع توفي عام ٢٩٨ هـ. انظر تاريخ ابن كثير جـ ١١.

فإن قال قائل: ما دليلكم على أن نبيكم أظهر القرآن؟ وما يؤمنكم أن يكون ذلك مختلقاً بعده؟ قلنا: لا حجاج في درء الضرورات ونحن باضطرار نعلم أن نبينا عليه السلام كان يدرس القرآن ويتلوه، ويعلمه صحبه وأتباعه، وما ثبت تواتراً معلوم على الضرورة. وجحد ذلك بمثابة جحد كون محمد ﷺ في الدنيا، وهذا كجحد الدول والوقائع وأيام الماضين. ولا معنى للإطناب في ذلك.

فإن قيل: فإن سلم لكم ظهور ذلك منه في زمانه، فما دليلكم على تحديه به وتعجيزه الأمم بالدعاء إلى معارضته؟ قلنا: هذا أيضاً معلوم على الضرورة. فإن رسول الله ﷺ لم يزل مدلياً بالقرآن، مُدِلاً به، مدعياً اختصاصه بكتاب الله تعالى المنزل عليه. ومن أنكر ادعاء استيثاره به، وتعلقه بتخصيص الرب تعالى إياه بكتابه، فقد جحد ما تواترت الأخبار عنه.

والذي يحقق ما قلناه، أنا على البديهة نعلم أن واحداً من العرب لو أتى - تقديراً - بمثل القرآن، لكان ذلك قادحاً فيما يعهد من دعوى النبوة مزرياً به حاطاً من رتبته، وهذا ما لا سبيل إلى إنكاره، ولولا تحديه به لما كان الأمر كذلك. ولا خفاء بما قلناه وقد نصت آي من القرآن على التحدي وتعجيز العرب ومنها قوله تعالى: ﴿قُل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله، ولو كان بعضهم ظهيراً﴾ [سورة الإسراء: ٨٨]، إلى غيرها من الآي في معناها.

فإن قيل: لا يبعد تقدير الاختلاف في هذه الآي بأعيانها، فإنها لا تبلغ مبلغ الإعجاز فيمتنع تقدير اختراعها. قلنا: ما من آية هي من القرآن إلا ونقلها ثابت على التواتر، إذ تلقاها قراء الخلف عن قراء السلف. ولم يزل الأمر كذلك، ينقله أصاغر عن أكابر، حتى استند النقل إلى قراء الصحابة رضي الله عنهم، وما نقص عدد القراء في كل دهر عن عدد التواتر. والذي يوضح ما قلناه، أنا لو تشككنا في آية بعينها لاتجه ذلك في كل آية، وذلك يسقط الثقة بنقل جملة القرآن.

فإن قيل: ما الذي يؤمنكم أن القرآن عورض، ثم كتم ما عورض به؟ قلنا: هذا محال، إذ لو كان ذلك كذلك لظهر الأمر واشتهر، والخطب العظيم لا يخفي في مستقر العادة، وادعاء ما ذكره السائل بمثابة ادعاء خليفة قائم بأمر المسلمين قبل أبي بكر رضي الله عنه، وذلك يعلم بطلانه على الضرورة.

والذي يعضد ما قلناه، أن الكفرة من لدن رسول الله ﷺ إلى وقتنا، باذلون كنه مجهودهم في أن ينكثوا في الدين بأقصى الإمكان؛ فلو كانت المعارضة ممكنة غير متعذرة، لاحتالوا فيها على كرور الدهور وطول العصور، ولو خفيت معارضته لاستجد مثلها.

ثم إن كان هذا السؤال وضربه من القائلين بالنبوءات، انعكس عليهم جميع ما أوردوه في معجزات نبيهم. فيقال لليهود: ما يؤمنكم أن موسى عليه السلام عورضت آياته، ثم تواضع بنو إسرائيل على طمس الخبر عما جرى من معارضته؟.

فإن قيل: بم تنكرون على من يزعم أن العرب ما انكفت عن معارضة القرآن عن عجز، إنما

العرب في تحاورها وتفاوضها، كانت تتشمر إذا تهاجت لمعارضة الركيك من الشعر والرصين المتين منه. وباضطرار نعلم أن القرآن في اعتقادهم لم ينحط عن شعر لشاعر ونثر لناثر، حتى يحملهم الازدراء به على الانكفاف عن معارضته.

كيف، وقد كان الرسول عليه السلام وأنصاره يقولون: لو عارضتم سورة من القرآن لألقينا إليكم السلم وآثرنا النواجز بعد التناجز، وأذعنا لكم. فإن تكن الأخرى، ألفينا ضرام الحرب، وأدمينا مراسها وأحكمنا أساسها، ومددنا الأيدي إلى قتل النفوس وهتك السُّجوف عن العواتق العربيات. وكيف يخطر لعاقل، وقد ظهرت كلمة الإسلام وخفقت على المسلمين الرايات والأعلام أن يؤثر الكفار أهوالاً تشيب النواصي وأحوالاً تزيل الرواسي ولا يعارضوا بسوارة ازدراء بها.

فقد ثبتت المعجزة والتحدي بها، والعجز من معارضتها، وهذا القدر مغن فيما نريده، والله الموفق للصواب.

فصــــل

فإن قيل: أوضحوا لنا وجه الإعجاز في القرآن، ثم بينوا القدر المعجز منه. قلنا: المرضي عندنا أن القرآن معجز لاجتماع الجزالة مع الأسلوب والنظم المخالف لأساليب كلام العرب. فلا يستقل النظم بالإعجاز على التجريد، ولا تستقل الجزالة أيضاً.

والدليل عليه أنا لو قدرنا الجزالة المحضة معجزة، لم نعدم سؤالاً مخيلاً. إذ لو قال قائل: إذا قوبل القرآن بخطب العرب ونثرها وأشعارها وأراجيزها، لم ينحط كلام اللُّدّ البلغاء واللُّسُن الفصحاء عن جزالة القرآن، انحطاطاً بيناً قاطعاً للأوهام. وإن ادعينا الإعجاز في الأسلوب المحض، والنظم المخالف لضروب الكلام، فربما يتجه تقدير نظم ركيك يضاهي نظم القرآن، كما يؤثر من ترهات مسيلمة الكذاب حيث قال: الفيل ما الفيل، وما أدراك ما الفيل، له ذنب وثيل وخُرطوم طويل. فلا يعجز عن مثل ذلك، مع الرضى بالركيك والكلام المرذول الذي تمجه الأسماع. فيلزم من مجموع ما ذكرناه ربط الإعجاز بالنظم البديع مع الجزالة.

فإن قيل: ما وجه البلاغة في القرآن؟ وما وجه خروج نظمه عن ضروب الكلام؟ قلنا: أما وجه البلاغة فبينة لا خفاء بها. والبلاغة التعبير عن معنى سديد بلفظ شريف ذلق رائق، مُنبىء عن المقصود من غير مزيد؛ فهذا الكلام الجزل، والمنطق الفصل. ثم البليغ من الكلام يتفنن أقسامه.

فمن جوامع الكلم الدلالة على المعاني الكثيرة بالعبارات الوجيزة، وهذا الضرب لا يعد في القرآن كثرة.

فمنه إنباء الله تعالى عن قصص الأولين، ومآل المسرفين وعواقب المهلكين، في شطر من آية،

وذلك قوله عز وجل: ﴿فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً، ومنهم من أخذته الصيحة، ومنهم من خسفنا به الأرض، ومنهم من أغرقنا، وما كان الله ليظلمهم، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ [سورة العنكبوت: ٤٠].

وقال الرب على مفتتح أهل السفينة وإجرائها وإهلاك الكفرة، واستقرار السفينة واستوائها، وتوجه أوامر التسخير إلى الأرض والسماء، بقوله تعالى: ﴿وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرساها﴾، إلى قوله: ﴿وقيل بعداً للقوم الظالمين﴾ [سورة هود: ٤١ ـ ٤٤].

وأنبأ عن الموت وحسرة الفوت، والدار الآخرة وثوابها وعقابها وفوز الفائزين، وتردي المجرمين، والتحذير من التغرير بالدنيا، ووصفها بالقلة بالإضافة إلى دار البقاء: بقوله تعالى: ﴿كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة﴾ [سورة آل عمران: ١٨٥] الآية.

ومن أقسام الكلام البليغ قص القصص من غير انحطاط عن الكلام الجزل، ومعظم البلغاء يعلو كلامهم ما شببوا، فإذا لابسوا حكايات الأحوال جاؤوا بالكلام الرث والقول المستغث، وإن حاولوا كلاماً جزلاً، لم يدرك الكلام مقصده من المعنى.

وهذه قصة يوسف ﷺ، مع اشتمالها على الأمور المختلفة، والمؤتلفة مسرودة، على أحسن نظام وأبلغ كلام متناسقة الأطراف، متلائمة الأكتاف، كأن آياتها آخذ بعضها برقاب بعض. ثم القصص لا تخلو عن التردد والتكرار سيما إذا اتحدت المعاني، وما لنا نكلف أنفسنا في هذا المعتقد نزف بحر لا ينقص!

ومن صدق الآيات على بلاغة القرآن اعتراف العرب قاطبة بها، صريحاً وضمناً؛ فمنهم من اعترف وأفصح، ومنهم من سكت وصمت ولو كان في القرآن ما يجانب الجزالة، لكان أحق الناس بالتعريض لنسبته إلى الركاكة أهل اللسان.

فإن قيل: هل في القرآن وجه من الإعجاز غير النظم والبلاغة؟ قلنا: أجل فيها وجهان معجزان:

أحدهما الإنباء عن قصص الأولين على حسب ما أُلقي في كتب الله تعالى المنزلة، ولم يكن رسول الله ﷺ ممن عانى تعلماً ومارس تلقف كتاب. وكان ينشأ بين ظهراني العرب، ولم تعهد له خرجات يتوقع فيها تلقف علم ودراسة كتاب، وكان في ذلك أصدق آية على صدقه.

واشتمل القرآن على غيوب تتعلق بالاستقبال والإخبار عن المغيب، قد يوافق كرّة أو كرّتين. فإذا توالت الأخبار كانت خارقة للعادات. فمن غيوب القرآن قوله تعالى: ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن﴾ [سورة الإسراء: ٨٨] الآية، وقوله تعالى: ﴿فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا﴾ [سورة البقرة: ٢٤] وقوله تعالى: ﴿لتدخلن المسجد الحرام﴾ [سورة الفتح: ٢٧]، وقوله تعالى: ﴿الم غلبت الروم﴾ [سورة الروم: ١] وقوله تعالى: ﴿وعدكم الله مغانم كثيرة﴾ [سورة الفتح: ٢٠]، إلى غير ذلك مما يطول تعداده.

نصـــــ

للرسول ﷺ آيات لا تحصى سوى القرآن؛ كانشقاق القمر، وإنطاق العجماء، ونبع الماء من خلل الأصابع، وتسبيح الحصى، وتكثير الطعام القليل.

والمرضي عندنا، أن آحاد هذه المعجزات لا تثبت تواتراً، لكن مجموعها يفيد العلم قطعاً لاختصاصه بخوارق العادات، كما أن آحاد البذل من حاتم لا تثبت تواتراً، ولكن مجموعها يفيد العلم على الضرورة بسخائه، وكذلك القول في جسارة أمير المؤمنين «علي» رضي الله عنه، وشجاعته. وأما انشقاق القمر، فقد أنبأت عنه آية من كتاب الله ثبت نقلها تواتراً، فهذا القدر بالغ كاف فيما نرومه.

بـاب

القول في أحكام الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين.

اعلموا أن أحق ما يفتتح به الباب، معنى النُّبُوءة؛ فليست النبوءة راجعة إلى جسم النبي، ولا إلى عرض من أعراضه، ويبطل صرفها إلى علمه بربه إذ ذلك يثبت من غير تقدير النبوءة. وباطل أيضاً صرف النبوءة إلى علم النبي بكونه نبياً، فإن المعلوم ما لم يتقرر فلا يتقرر العلم به. فإن كان النبي عالماً بنبوءته فما نبوءته؟ وفيها السؤال.

فالنبوءة ترجع إلى قول الله تعالى لمن يصطفيه: «أنت رسولي». وهذا بمثابة الأحكام، فإنها ترجع إلى قول الله تعالى. ولا تؤول إلى صفات الأفعال، فليس للفعل الواجب صفة لوجوبه نفسية. بل الفعل المقول فيه: «افعل»، واجب بالقول، وذلك بمثابة المذكور الذي لا يكتسب من الذكر صفة في نفسه.

فصـــل

فإن قيل: بينوا لنا عصمة الأنبياء وما يجب لهم. قلنا: يجب عصمتهم عما يناقض مدلول المعجزة، وهذا مما نعلمه عقلاً، ومدلول المعجزة صدقهم فيما يبلغون. فإن قيل: هل تجب عصمتهم عن المعاصي؟ قلنا: أما الفواحش المؤذنة بالسقوط وقلة الديانة، فتجب عصمة الأنبياء عنها إجماعاً.

ولا يشهد لذلك العقل، وإنما يشهد العقل لوجوب العصمة عما يناقض مدلول المعجزة. وأما الذنوب المعدودة من الصغائر، على تفصيل سيأتي الشرح عليه، فلا تنفيها العقول ولم يقم عندي دليل قاطع سمعي على نفيها، ولا على إثباتها. إذ القواطع نصوص أو إجماع، ولا إجماع إذ العلماء